

# اثر القراءة في

في النجوى العربي

تأليف

الدكتور

محمد سمير نجيب اللبدي

الناشر

دار الكتب الثقافية

الرياض - مملكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أثر القرآن والتراجم  
في النحو العربي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

دار الكتب الثقافية الكويت - حولي - مجمع الأندلس

هاتف ٥٣٢٨٩٥

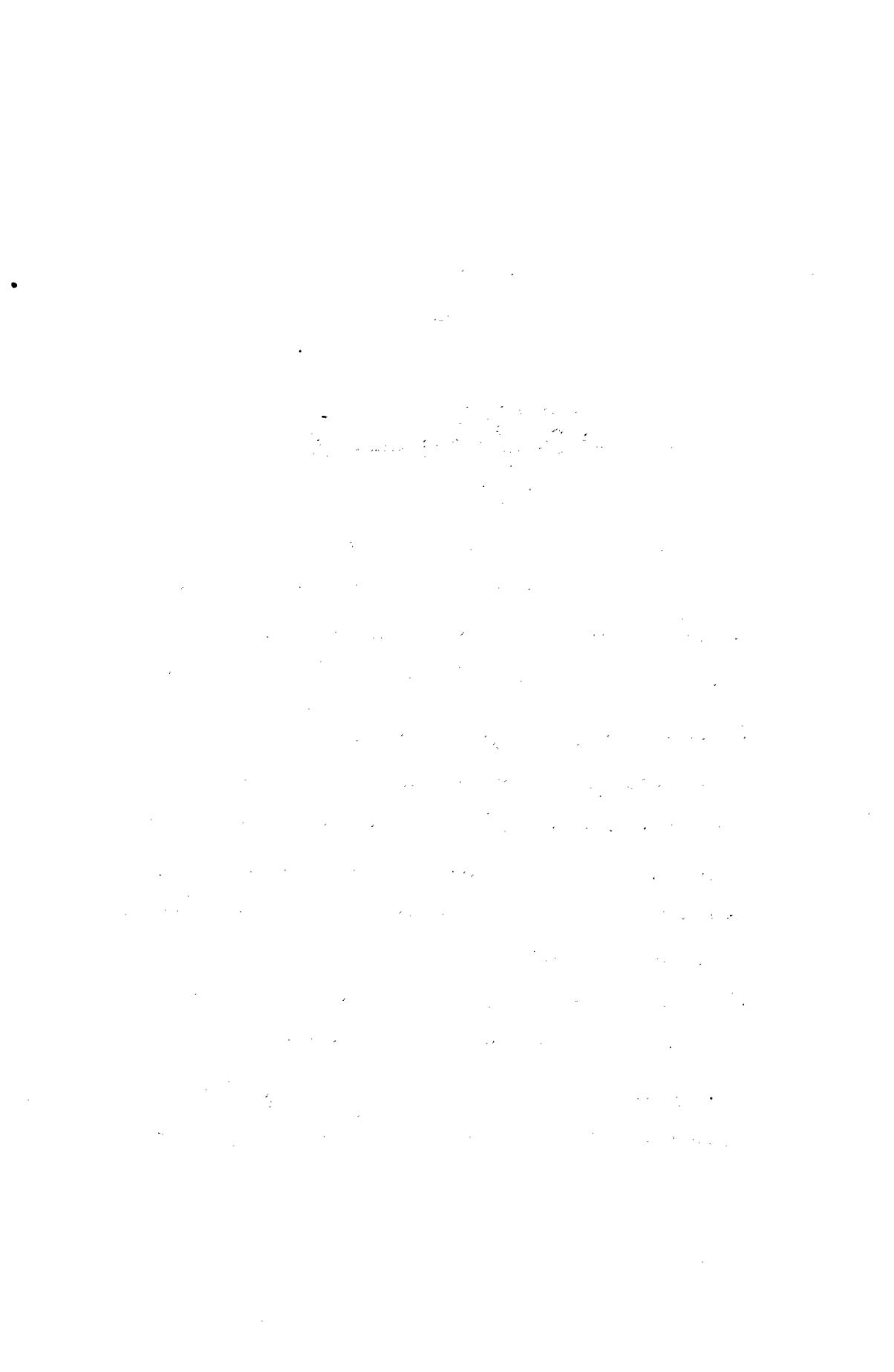
ص ب ٦٥٩٠

# للهدوء

إليك يا والدي - يا من علمتني القرآن ، وأدبتني بأدابه ،  
وحببت إليّ أن أتخلق حوله وأعيش في رحابه حتى هذب عقلي  
وروحي وسما بوجداني وحسي .

أهدي أول ثمرة من غرس كفيك وزرع يديك لتكون مني إليك  
نبع دعاء لا ينضب من الرحمة والفران .

يا أعز الناس .



# مقدمة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد شاء الله لي وهدأ علي مشيئته أن أشغف باللغة العربية منذ صغري شغفاً واكبني دراسة وتديساً وتعلماً وتعلماً ، ولقد كنت خلال ذلك كله مشدوداً بكياني إلى كنوز هذه اللغة الشريفة ، أستشف منها وأعجب من روائها ونميرها ، فأعجب بأسرارها وبلاغتها فأستزيد منها . لقد كان أشد مراعي وجلب انتباهي واهتمامي قواعد هذه اللغة نحوها وصرفها ، فقد لمست فيها رياضة عقلية تتواءم ورغبي العلمية في البحث والتنقيب والتحليل والتعليل ، فأقبلت على هذه القواعد أجمعها وأستوعبها حتى حظيت بقسم كبير دفعني إلى أن أعيش في كنفه فأتحسس مافيه من روائع وأتمس مااحتوى عليه من بدائع - فكان أن ألهمني السؤال والتساؤل كما ألهمني رغبة الكشف عن أهدافه ومراميه وغوامضه حتى اخترته فيما بعد مادة لدراستي العالية كما أبحث في مسأله وأقف على جوانبه فحصلت به على درجة الماجستير ثم الدكتوراه .

والحقيقة التي لا بد من ذكرها هي أنني قد ترددت كثيراً في اختيار البحث الذي أبحث فيه لأنال به درجة الدكتوراه ، ولقد هديت إلى

موضوعات كثيرة ولكنها لم تكن لتروق لي حتى أثار الله لي بصيرتي  
فهداني إلى هذا الموضوع الذي أقدمه الآن بين أيدي القراء .

وبما يجدر بي أن أذكره هنا هو أن الدافع إلى اختياري هذا  
الموضوع هو شعوري من خلال دراستي للنحو وتدريبه بأن القرآن  
الكريم كان له فضل عظيم على هذا العلم ، سواء في نشأته أم في مراحل  
نموه وكاله وأن من الواجب حيال هذا أن يتخذ القرآن منطلقاً فسيحاً  
نطلق منه إلى تنقيح قواعد النحو وتخليصها من الشوائب والأخلاق  
التي كانت سبباً في رميها بالجهود والتشميب والتفريع الزائدين بما كان سبباً  
على المدى الطويل في الحيلولة دون انتشار اللغة وسهولة تناولها وبخاصة  
أن لغة أي قوم في وقتنا الحاضر تعد عنوان حضارتهم ومدنياتهم وثقافتهم .

لهذا كله أردت من بحثي أن أبين أثر القرآن في علم النحو لاعتقاداً  
مني بأن الناس يجهلون هذا الأثر ولكني أعتقد أنهم على الرغم من معرفتهم  
له وإحساسهم به ربما لا يتبينون حدوده ومرامييه . فعمدت أنا بصنيغي  
هذا إلى تبيان هذا الأثر بمرامييه وأبعاده ومظاهره مثبتاً بذلك أن نحواً جديداً  
سهلاً يمكن أن يوضع من خلال كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل  
من بين يديه ولا من خلفه . ومقرأ في الوقت ذاته بفضل من سبقني  
إلى ارتياد هذا البحر واكتشاف مجهولاته وأمراره ومدخولاته وهو الدكتور  
عبد العال سالم في كتابه « القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية »  
هذا الكتاب القيم الذي اتسع للكثير مما يقال في مثل هذا الموضوع .

ولكن لما كان هذا الحديث دائراً في مجال القرآن الكريم وما  
يتعلق بالآثار العظيمة التي خلفها في الفكر الإنساني مدى السنين  
والدهور - فإن بحثنا كهذا أو ذاك لا يمكن لها أن يكتملا بهذا القدر

المتواضع من صنيع من صنع - بل يحتاج إلى جهود متواصلة ممتدة  
لا تكمل ولا تمل ولا تقف - فالقرآن الكريم في النحو وغيره بحر  
لا تحمد له سواحل ولا تحصر له شواطئ .

وإني تحمداً بنعمة الله واعترافاً مني بما عانيتها في هذا البحث أسجل  
لقلمي كما أحمد لنفسي أنني استطعت ما أمكنتني أن أركز من خلالها  
حقائق هذا الكتاب وأن أسلط الضوء على عنوانه بالربط بينه وبين  
معارضته بحيث أنني لم أخرج عن الموضوع الذي وضعت من أجله هذا  
الكتاب إلا بقدر ما يستوجبه استهلال البحوث والخروج منها .

وعليه فإني أتقدم بيمدي المتواضع هذا إلى كل قارئ كريم ، فإن  
رأى أنني قد أحسنت فيما صنعت فهذا توفيق من الله رغبة ما أرجوه  
وإن كان يرى في عكس ذلك فإن سلوتي فيه وعزائي به أن للمجتهد  
إن أصاب أجرين وله إن أخطأ أجر واحد وحسي من الأجر أقله ،  
والله خير مسئول وأكرم مأمول ، وعليه توفيقنا ومنه سدادنا وله  
الحمد أولاً وآخرأ .

د. محمد سمير نجيب اللبدي

القاهرة ١٦ شوال ١٣٩٣ هـ

١٠ نوفمبر ١٩٧٣ م



## نمريه

### (العرب قبل الاسلام)

كان العرب قبل الاسلام قبائل شتى متنافرة لا يكاد يربط بينها إلا عادات أو تقاليد غابرة ، وإن كان هناك شيء مما يعتقد فيه الناظر لأول وهلة بأنه تقارب أو تمازج في التقاليد فما ذلك إلا لأن البيئة الجغرافية تعتبر عاملاً قوياً في إيجاد قدر من التجانس لانستطيع أن نجزم معه بأنه أوجه يفني وجودها عن الصفات التي يجب أن يشترك فيها أفراد معينون يعيشون على بقعة معينة وتربط بينهم آمال وآلام ولفحة واحدة .

فهذه المجموعة البشرية التي تعيش في ثنايا الصحراء وفي جوف جزيرة شاسعة لم يكن ليجمع بينها إلا أنظمة قبلية وعادات موروثية يخضعون لها فرئيس القبيلة هو حاكمها وإرادته المطلقة هي أنظمتها التي تحكمها ، وأفرادها هم الرعية الجاهلة التي تأتمر بما يأمر به الرئيس استبداداً وتسلطاً بلا حرية تحدهما ذلك بالإضافة إلى طريقة الحياة التي كان العرب يجيئونها آنذاك فضلاً عن جفاف الجزيرة وقسوة العيش فيها ، مما جعل العرب مجموعات يطلق عليها المؤرخون القبائل العربية أو العرب قبل الاسلام أو في الجاهلية أو ما إلى هنالك من التسميات التي نجدتها في كتب التاريخ وأسفاره .

فالعرب في جاهليتهم إذن : مامم إلا قبائل متفرقة لا ترتبط إلا بأواصر اللغة وطريقة الحياة التي فرضتها عليهم صحراء قاحلة ورمال محرقة جعلتهم يتطبعون بطبائع أممتها عليهم هذه البيئة الجافة ، حتى وجدنا فيهم سمرة أودعتها الشمس في بشراتهم وفضاظة (١) خلفتها لهم قسوة الصحراء فحياتهم الاجتماعية حياة مفككة لم تنظمها قوانين ولم تحدها أنظمة ، وشاعت الفوضى في الأسرة مما أدخل في ترابطها وتماسكها. فالرجل في بعض القبائل ينظر إلى المرأة على أنها متاع من أمتعة البيت لا يعرف منها إلا متعة له ومسلاة يتسلى بها كما أصبح بعضهم يرى فيها مجلبة للعار ومدعاة للسبة ، فوآد البنات في طفولتهن دون رحمة أو شفقة خوفاً من عار متوقع أو فضيحة محتملة أو فقر منتظر كان موجوداً في كثير من القبائل العربية .

وقد كان لتفكك حياتهم الاجتماعية أثر كبير في تفكك حياتهم السياسية والاقتصادية وضيقت نظرهم للحياة جعلتهم يقصرون همهم على إغارة بعضهم على بعض والإغراق في السلب ، مما جر على القبائل العربية في تلك الحقبة ويلات وحروباً ظلت قهشهم سنين وسنين دون أن يكون لها سبب معقول ، وقد أوجدت هذه العوامل في حياتهم الاقتصادية سوءاً كبيراً أورث عامتهم فقراً مدقعاً .

وما ذلك إلا لأن حياة البداوة كانت تفرض عليهم حياة قوامها خيمة تظلمهم من وهج الشمس وغنيزات (٢) تدر عليهم قوت يومهم (٣) ،

---

(١) في أخلاقهم .

(٢) وغنيزات .

(٣) وناقة تحمل متاعهم .

فهذه البيئة القاسية جعلت الحياة تستغلق عليهم فلم يعودوا يرونها في أعينهم إلا صحراء ممتدة ورمالاً مصفرة ، فحياة مثل هذه تجعل الباحث فيها إذا ما أراد استقصاء لها أن ينظر فيها فيميز ما كان العرب في تلك الحقبة من صفات حميدة وعادات حسنة ، وما كان لهم من صفات قبيحة أو عادات رذيلة .

ولكن لما كان البحث في هذا سيطول ويطول ونحن لسنا في صدق البحث عن حياة العرب الاجتماعية أو التاريخية أو الاقتصادية ، وإنما نريد أن نتكلم عن إحدى النواحي العقلية التي حفظت للعرب تاريخهم ، أرى لزاماً علي أن أقصر البحث على ما ذكرت اكتفاء واستعانة به على الدخول إلى مقصد البحث وهو لغة العرب ونحوها .

### لغة العرب وخصائصها :

ليس للباحث في تاريخ أية لغة أو استكناه خصائصها الربط التام بين الحياة الاجتماعية لأهل هذه اللغة والحياة العقلية لهم ، فربما يكون للحياة الفكرية أثرها الكبير في توجيه المجتمع من حيث أساليب الحياة العامة التي تسلكها المجتمعات عادة عبر نشأتها وأثناء تطورها ولكن ليس من اللازم أن ينعكس هذا التأثير دائماً على إحدى النواحي العقلية ألا وهي اللغة بأصواتها وألفاظها وأساليبها وهذا ما نجد عند العرب في الجاهلية ، فرغم ما كانوا عليه من جاهلية حمقاء إلا أن لغتهم كانت من أعظم اللغات حتى عصرنا هذا وستظل هكذا إلى أن تقوم الساعة ، وحسبنا دليلاً على ذلك أن أخواتها من اللغات السامية قد لفها الزمن في طياته فمات قسم كبير منها واقتصر الآخر على أهلها ولم تنطلق

من بينها إلا لغة العرب التي أكتسبها الله فيما بعد عزة وشرفاً ورفعةً بعد أن مرت في أطوار عديدة حتى وصلت صافية شفافة يتكلم بها الملايين من سكان المعمورة .

وإذا أردنا تعليلاً شافياً لانتشار لغة العرب دون أخواتها انتشاراً يلفت النظر ويستدعي الوقوف عليه ، فلن نجد عاملاً أقوى من ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين كما أن في اللغة العربية ذاتها عوامل ذاتية وخصائص لم تهباً لغيرها مما كان له أثر كبير في امتداد نفوذها وانطلاقها من السنة الملايين ممن يعيشون على سطح الأرض .

وإذا كان خوف الخروج عن الموضوع يفرض علينا أن نغفل الحديث عن كل خصائص اللغة فلن يكون هذا مبرراً لإغفال أهم هذه الخصائص وأبرزها وهي ميزة الإعراب التي تكاد لغتنا تختص بها دون بقية اللغات السامية ماعدا اللغة البابلية القديمة قبل نوحها وازدهارها ' الأدبي (١) . وهذه الميزة في حقيقتها هي أهم مظاهر العربية على الإطلاق كما ذكرت ولأجلها سمي العرب بهذه التسمية (٢) . لأن الإعراب وهو الإبانة والإفصاح من خصائص لغتهم ، إذ لولاه لاشتبهت الأساليب وخفيت المقاصد ، فإذا قال قائل مثلاً : ما أحسن محمد ووقف بالسكون فإن الأمر يلبس على السامع ويشته عليه مراد المتكلم هل يريد نفي الإحسان عن محمد أو يريد التعجب من حسنه ، فإذا أراد الأول فعليه أن يرفع محمد وإن أراد الثاني فعليه أن ينصبه وإلا ظل التسكين مصدراً للاشتباه

(١) العربية / دراسات في اللغة والأساليب واللهجات ليوهان فك ص ٣ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

(٢) الخصائص لابن جني - ١ ص ٣٦ تحقيق محمد علي النجار طبعة بيروت .

والالتباس طالما أن الكلام لا توجد فيه قرينة تُحدد المراد وثبتين المقصود.  
 وكما جاء في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١) وقوله  
 ( وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ ) (٢) ، فلو تركت هذه الكلمات بدون إعراب  
 لتبادر إلى الذهن توهمًا واعتباراً للترتيب المنطقي للفاعل أن الله وإبراهيم  
 في الآيتين فاعلان فمثل مواقع هذه الكلمات لا يمكن إلا أن يكون في  
 لغة لا يزال الإعراب فيها حياً صحيحاً (٣) ، إذ أن الحفاء يزول بواسطته  
 ويتضح مراد المتكلم .

وفي رأيي أن الإعراب لا يقصد منه فقط ضبط أواخر الكلمات  
 لتمييز معانيها بل يقصد به كذلك ضبط حروف الكلمة جميعها وهو  
 مانسميه بالتشكيل الهيكلي ، فكما تتباين الكلمات في معانيها بتباين  
 حركاتها في أواخرها فإنها تتباين كذلك بحركاتها في أواسطها وبداياتها  
 وتتنوع معانيها تبعاً لذلك . فمهر بفتح الميم غيرها بضمها وملك بكسر  
 اللام . غير ملك بفتحها . ويساعدني على ذلك المعنى اللغوي للإعراب  
 وهو الإبانة والإفصاح (٤) .

ومن أدلة ذلك أيضاً ما يروى من أن الكسائي أراد أن يتحدى  
 أبا يوسف الفقيه في حضرة الرشيد ، حيث وجه إليه مسألة فقهية مؤداها  
 أنه قال له : ماتقول في رجل قال لامرأته : أنت طالق إن دخلت  
 الدار؟ فقال أبو يوسف : إن دخلت فقد طلقت فقال الكسائي :

(١) سورة فاطر آية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٣) العربية / دراسات في اللغة والأساليب واللهجات ليوهان فك ص ٤ ترجمة الدكتور  
 عبد الحلیم النجار .

(٤) القاموس المحيط ص ١٠٦ - ١٠٧ .

خطأ : إذا فتحت « أن » فقد وجب الأمر وإذا كسرت فإنه لم يقع بعد . فنظر بعد ذلك أبو يوسف في النحو بعد أن كان يهزأ به وبعلمائه (١) .

### السليقة الاعرابية :

لقد عاش العرب في جزيرتهم دون أن يتركوا لأي مؤثر خارجي أن ينفذ إلى تقاليدهم فيغيرها أو إلى عاداتهم فيحرفها أو إلى لغتهم فيزيد جرسها أو يبدل طريقة إعرابها وترتيبها ، وقد كان من أهم ما حافظوا عليه هو لسانهم العربي الخالص ، فقد كانوا يتكلمون على سليقتهم دون أن توجه أساليبهم قاعدة أو تحد من انطلاق ألسنتهم نظرية أو رأي فهم يحافظون على قواعد اللغة دون أن تكون هناك قواعد وبهذا يعمل أبو علي الفارسي أغلاط الإعراب حيث يقول : « إننا دخل هذا النحو كلامهم أي كلام العرب لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستمعصمون بها وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون فرجما استهواهم الشيء فزاعوا به عن القصد » (٢) .

وليس أدل على ذلك من أن أعرابياً قد سئل هل تجر فلسطين فأجاب إني إذا لقوي (٣) فلم يفهم الأعرابي أن الجر المقصود في السؤال هو الأثر الذي يجلبه العامل إلى المفعول وهو انزلاق اللسان إلى أسفل

(١) معجم الأدباء - ١٣ ص ١٧٦ طبعة دار المأمون - القاهرة .

(٢) الزهر للسيوطي - ٢ ص ٤٩٤ ، الخصائص لابن جني - ٣ ص ٢٧٣ .

(٣) المقدم الفريد لابن عبد ربه - ٣ ص ٤٧٥ - عيون الأخبار لابن قتيبة - ٢

بما يعبر عنه النحاة بالجر أو الخفض أو الكسر ، بل فهم أن الجر هو السحب كما تدل عليه إجابته .

وهذا يعني أن العرب إبان خلوص لغتهم لم يكونوا يعرفون شيئاً اسمه النحو بل كانوا ينطقون على سجيبتهم التي ظلوا عليها حتى أظهر الله الاسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه بكثرة كانت سبباً في نشر الفساد في اللغة (١) .

وقد كانوا من أجل ذلك يعيرون اللحن ويخشون وقوعه ويحسبون لذلك كل حساب ، فعبد الملك بن مروان وهو من أفصح العرب نراه يقول : شيني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن (٢) .

وهذا نستخلص أن بيئة العرب الصحراوية فيما قبل الاسلام وبعده بقليل حيث لم يكونوا ببعيدي عهد عن الصحراء ، لم تجعل الخلل يتطرق إلى ألسنتهم وبالتالي لم يكونوا بحاجة إلى قواعد يسلكونها أو أنظمة ينتهجونها خاصة وإن القرآن الكريم كما سيأتي قد حفظ عليهم خلوص لغتهم وصحة ألسنتهم .

## ظهور الاسلام

عرفنا فيما سبق ما كان عليه العرب في جاهليتهم من عادات وتقاليد وأخلاق كما عرفنا الخصائص التي تميزت بها لغتهم ، والأسباب التي جعلتها لا تنحرف عما فطرت عليه ألسنتهم من فصاحة ونقاء وإعراب .

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٠١ بتصرف .

(٢) المعقد الفريد لابن عبد ربه - ص ٢٧٩ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

وقد ظلت اللغة هكذا حتى جاء الإسلام ومعه كتاب الله وهو أساس اللغة ومنبع البلاغة الذي حفظ على العرب فصاحتهم وأضفى على لغتهم روعة وسحراً حيث استطاع بأساليبه الباهرة وقوة إعجازه الخارقة أن ينتزع إعجاب العرب ويرغمهم على الإجماع عليه ، فتأثروا به وحفظوه حفظاً رقيقاً أساليهم وقوّم تفكيرهم .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد ، ولم يخرج القرآن من الجزيرة إلى ما يجاورها لظل العرب في أسنى درجات الفصاحة وأعلى مراتب الإفصاح فهم فصحاء بطبيعتهم وجاء القرآن وثبت لهم ذلك بل وزاد فيه وهكذا فإن الإسلام كما استطاع أن ينير الجزيرة العربية بنوره الوقاد فإنه استطاع أيضاً بكتابه الخالد أن يجعل من لغة العرب أعظم اللغات ومن لسانهم أبين الألسنة وأفصحها .

#### الفتوحات الإسلامية :

لم يكن الإسلام رسالة للعرب خاصة كما لم يكن القرآن كتاباً للعرب خاصة بل أنزل الله هذا الدين ليهدي به العرب والبشرية جمعاء فمحمد الرسول العربي رسول للعرب والعالم كافة فقد قال الله تعالى : ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ) (١) .

فكان من الطبيعي إذن ألا ينحصر الإسلام بجزيرة العرب فهو رسالة لجميع من في الكون ، لم يخص به شعب من الشعوب أو أمة من الأمم وكان لا بد من أن يخرج هذا الدين العظيم هو وحملته من نطاق بلاد

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨ .

العرب إلى غيرها من البلدان لفتحها ونشر لواء الدين فيها ، فانطلق المسلمون وفي أيديهم أسنة الحق وفي صدورهم نور الإيمان ، ففتحوا الممالك والأمصار ، ودخل الإسلام أخلاط من الناس وكثير من الشعوب كان لدخولهم فيها بعد أثر كبير في خلق نهضة علمية كما كان لهم الأثر المباشر في انحراف اللسان العربي .

### اختلاط العرب بالعجم وأثر ذلك :

كان لابد لانطلاق المسلمين عبر المعهورة ينشرون دين الله في أرجائها أن يدخل كثير من الأمم غير العربية في هذا الدين الجديد دخولاً لم يقتصر على إيمانهم بما جاء به المسلمون بل تعدى ذلك إلى الاندماج التام بين المسلمين وأهالي تلك البلاد المفتوحة فتمازجوا فيما بينهم وتصاهروا وأنجبوا ذريات مختلطة الجنس واللون والعادات .

ولما كانت طبيعة الفتح الإسلامي تختلف عن بقية الفتوحات في كونه فتحاً دينياً يقضي على شعوب تلك البلاد التي يفتحها تعلم لغة الدين الجديد ليستطيعوا أن يؤديوا بلغتهم شعائرهم الدينية التي آمنوا بها واستسلموا لها بالإضافة إلى أن طبيعة الغلبة ونظامها يقضيان على المغلوب أن يقلد الغالب في كل شيء ، كل هذا كان سبباً في اتجاه أهل تلك البلاد بكل حرص وجد إلى تعلم اللغة العربية بما يقوم على الأقل بأمر عبادتهم وشئون دينهم ، بل ان منهم من غالى في ذلك وتعلم العربية قراءة وكتابة حتى نبغ فيها وألف الكتب العلمية وترجم منها وإليها .

## انحراف الألسنة :

لم تكن حركة خروج العرب من الجزيرة إلى غيرها لتمر هكذا دون أن تتأثر اللغة تأثراً كبيراً بلغة هؤلاء الطارئين من أهل البلاد المفتوحة ، بل كان في الواقع لتلك الفتوحات أثرها الكبير في انحراف الألسنة والاعراب عن الاعراب وليس لهذا أدنى نصيب من العجب ، فأمام لها لغاتها الخاصة ألزما الفتح بتعلم لغة الفاتحين لا يمكن بأي حال إلا أن يسري الفساد التبعيري واللفظي من أفواهما إلى أساليب اللغة وألفاظها التي يريدون أن يتعلموها ، وهذا ما وقع بالفعل . فإبان ظهور الإسلام وجدنا اللحن قد أخذ طريقه إلى ألسنة العرب كما تبين لنا ذلك في قصة الأعرابي الذي أخطأ في حضرة الرسول خطأ يدلنا على أن هذا الارتباك قد وقع للعرب رغم قرب عهدهم بالبداءة والفصاحة ولو تتبعنا الفترة التي بدأت بالإسلام وانتهت ببداية العصر العباسي وسقوط الدولة الأموية لوجدنا بعض الزلات اللسانية التي لم يقلل من حدتها إلا كون العرب كما تقدم يميئون اللحن ويرونه سبة لصاحبه كما يرونه كذباً عليهم لأنه تغيير في لغتهم وجرأة عليها تستوجب عقاب الله (١) .

ومن أمثلة هذا اللحن الذي أشرنا إليه ما يلي :

يروى أن رجلاً قد دخل على زياد فقال له : ان أبنينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا ، فقال له زياد : ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك (٢) .

---

(١) الاتجاهات الحديثة في النحو للاستاذ محمد أحمد برانق ص ٦٦ .  
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ص ١٥٩ - ٢ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب طباعة المؤسسة المصرية للنشر .

ويروى كذلك أن عمر بن عبد العزيز كان جالساً عند الوليد بن عبد الملك وكان الوليد لحاناً فقال : يا غلام ادع لي صالح فقال الغلام يا صالحاً فقال الوليد : انقص ألفاً فقال عمر وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفاً (١) .

### ظهور اللحن في القرآن الكريم :

عرفنا فيما تقدم كيف تطرق الحلل إلى لغة العرب وكلامهم ، وقد يكون الخطأ في التماييز الكلامية العادية أمراً ليس له خطورة كبيرة لأنه اقتصر على كلام الناس وأقوالهم فقط ، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل تمدها إلى ما يجعله خطيراً بالفعل ، فقد انتقل اللحن إلى كتاب الله انتقالاً لو تسوهد في أمره لاختل كثير من الأحكام الشرعية والأفكار التوحيدية وهذا ما جعل ابن جني يعلل لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « رحم الله امرأً أصلح من لسانه » بقوله : وذلك لما علمه ﷺ مما يعقب الجهل لذلك من ضد السداد وزينغ الاعتقاد (٢) وهو ما قد نلمسه في قراءة أحد الاعراب لقوله تعالى ( أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ) (٣) يجز رسولهُ بدل نصبه (٤) وهو ما يترتب عليه أن الله بريء من الرسول كما هو بريء من المشركين ، فخلل لساني بين فتح وكسر أطاح بالمعنى إطاحة تودي بزينغ عقيدته لو يقصد

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه - ٢ ص ٨٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .

(٢) الخصائص لابن جني - ٣ ص ٢٤٦ تحقيق محمد علي النجار - طبعة بيروت .

(٣) سورة التوبة آية ٣ .

(٤) نزهة الالباء لعبد الرحمن بن محمد الانباري ص ٧ - الخصائص لابن جني ص ٢٨ .

ذلك وإذا كان هذا اللحن قد وقع في زمن عمر بن عبد العزيز فقد وقع مثله كذلك في زمن علي ، وهو ما جعل أبا الأسود كما سيأتي يشعر بخطورة الأمر ويتقدم إلى أمير المؤمنين علي يعرضه عليه ويبينه له فيشاركه الرأي في ضرورة وضع ما يقوّم اللسان وينعه من الانحراف حفاظاً على القرآن ولغة العرب إلى يوم القيامة .

### الحاجة إلى ضوابط للاستعانة بها في قراءة القرآن الكريم :

لم تكن قضية اللحن في اللغة أمراً يلفت النظر كثيراً حتى يوضع لمنع ذلك والحد منه علم له قواعد وأصول ، ولولا تطرق ذلك إلى أمس شيء في حياة المسلمين وكيانهم وهو كتابهم المنزل لما كانوا يقدمون على صناعة هذا العلم وتكوينه فقد كان اللحن فيه أمراً له خطورته ومساوئه وخاصة على المتدينين الذين يخافون على القرآن خوفاً دعاهم إلى الحرص على عمل شيء يحفظونه به (١) .

وليس هذا بالغريب فالسكوت عن مثل هذا الانحراف يعتبر إثماً على من يعمل ولا يحاول دفعه ، فمقيدة مثل هذه تبرر لهؤلاء حرصهم وحذرهم من التحريف الذي كان سيقع بشكل أوسع لو سكت عن اللحن في أول أمره ، وهذا ما جعل العمال في شتى الولايات يتذمرون بما كان يقع في أسماعهم من لحن في القرآن بما جعلهم يحسون بضرورة وضع قواعد لضبط ذلك (٢) استجابة منهم لذلك النداء الذي أطلقه الرسول عليه الصلاة والسلام عندما قال : أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن (٣) .

(١) الاتجاهات الحديثة في النحو : مجموعة محاضرات لمحمد برانق ص ٦٧ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ١٠١ .

(٣) الاضداد لمحمد بن قاسم الأنباري ص ٢٤٤ طبعة الكويت .

## نشأة النحو وعلاقة القرآن بها

إذا كانت نشأة النحو والحديث عنها يعتبر في هذا المجال فضولاً من القول وزيادة فيه حيث تحدث فيها الكثيرون وأطالوا عنها الحديث والكلام ، إذا كان الأمر كذلك فإن سياق بحثنا يفرض علينا أن نخرج قليلاً على هذه النشأة لتتعرف على الأقل ما كان للقرآن الكريم من نصيب فيها وحفظ وجودها فقد عرفنا فيما تقدم كيف كانت اللغة تجري على ألسنة أهلها دون قاعدة تضبطها أو أنظمة تقيدها حتى إذا ما هلّ الإسلام بطالعه وجدنا هؤلاء الفصحاء يستجيبون للفتح الذي دعاهم إليه الإسلام فيحملون السيوف وينطلقون في فجاج الأرض يفتحون الأقطار ويحتلون الأمصار فاختلفوا بأصحاب لغات جديدة كانت سبباً في اختلال لسانهم وارتباك فصاحتهم وانعكاس ذلك على القرآن الكريم حتى كان هذا سبب تفكيرهم في وضع علم النحو وقواعده .

وقد قدر الله لهذا العلم فيما بعد أن ينمو ويزدهر بعد أن ازدادت الألسنة انحرافاً وفشا اللحن حتى بين الأعراب الخالص حيث ازداد اقبال الناس على تعلم النحو وإدراك مسأله ، ثم إذا ما هلت طوالع العصر العباسي الذي ازدهرت فيه العلوم بشق أنواعها ومواضيعها وجدنا هذا العلم قد أخذ صبغة مدرسية بجمّة حيث أصبح علماً ينتشر شيوخه في الحلقات يدرسون جزئياته ويقبل عليهم الطلاب من كل نوع ومستوى اقبال المشغوف وتهالك الملهوف حتى إذا ما انتهت هذه الفترة كانت لهذا العلم قواعده ومقدماته ونتائجها وكانت له فيما بعد متونه وشروحه وحواشيه .

## من وضع النحو حقيقة؟

لم تضطرب الروايات حول من وضع علماً من العلوم كما اضطربت في تقرير من وضع علم النحو ، وقد ذكر في هذا المجال ثلاثة من الرجال هم : أبو الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز (١) كما ذكر ثلاثة من الآمرين بوضعه هم : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وزيايد بن عبيد الله .

وإذا كان لنا في هذا القول ما يعنيننا فليس أكثر من أن معظم الروايات تشير بشكل متواتر إلى أن أبا الأسود هو الرجل الذي وضع لهذا العلم أسسه وهو قول أكثر المراجع وأصحاب كتب الطبقات (٢) .

فأكثر الروايات تشير إلى أنه قد وضعه بعد أن دخل على أمير المؤمنين علي يشكو إليه ما يراه من فساد اللغة وانتشار اللحن فيها وهو ما جعل علياً كرم الله وجهه يقول له : ضع للناس حروراً أي حركات وهي الضمة والكسرة والفتحة ثم يلقي إليه رقعة قد كتب فيها - الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ به والحرف ما أفاد معنى : ثم يبين أمير المؤمنين لأبي الأسود أكثر من ذلك فيقول له : انسخ هذا النحو وأضف إليه ما وقع لك واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر (٣) .

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢ طبعة الخانجي - القاهرة ٥٤ هـ .

(٢) أخبار النحويين البصريين لسيرافي ص ١٣ المطبعة الكاثوليكية .

(٣) أنباء الرواة للقفطي - ص ١٤ هـ .

هذه الرواية وغيرها الكثير من الروايات المتعددة تبين لنا يجلاء  
ن شخصية أبي الأسود هي القدر المشترك بينها مما يدل دلالة فعلية  
على أن هذا الرجل إن لم يكن قد وضع علم النحو بما نمده عليه الآن  
من تبويب وترتيب واصطلاح بما لا يتناسب وعصره كما يرى البعض (١)  
فإنه يكون على الأقل قد وضع أسس هذا العلم أو كان له فضل التفكير  
فيه وبخاصة أن المؤرخين لم يختلفوا أبداً في نسبة شكل القرآن ونقطه  
إليه نقطاً يميز مرفوعه من منصوبه أو مجروره .

وعلى هذا الأساس أرى أنه ليس من المستبعد أن يكون ما نسب  
إلى أبي الأسود من شكل القرآن ونقطه أصولاً نحوية قد طورت فيما  
بعد وتدرجت في هذا التطور حتى وصلت إلينا كما هي الآن  
بين أيدينا (٢) .

وأما بالنسبة لما قيل حول عبد الرحمن بن هرمز والنصر بن عاصم ،  
فضحالة الروايات التي نسبت لهم وضع هذا العلم تبعد مثل هذا الاحتمال  
وليس بعيداً في رأيي في أن يكون لعلاقتها بأبي الأسود من حيث كونه  
أستاذاً لها أثر في هذه النسبة حيث اختلط الأمر على المؤرخين فنسبوا  
مالأستاذ إلى تلاميذه ، وإلا فما تفسير هذا الاضطراب لو لم يكن  
هنالك تشابك والتباس في أمور تجاورت وتشابهت وبالتالي تلابست  
ولم تنضح .

وخلاصة ما أراه في هذا الصدد أنه لا داعي أبداً لإثارة هذا  
الاضطراب في صدد التاريخ لنشأة النحو وعواملها لأن التعرض لمثل

(١) ضحى الاسلام أحمد أمين - ٢ ص ٢٨٥ .

(٢) ضحى الاسلام أحمد أمين - ٢ ص ٢٨٨ .

هذه الإثارة خروج بالموضوع إلى ما لا ثمره فيه ، ونحن إذا ما أردنا أن نرصد الحقائق ونحافظ عليها ووجب علينا أن نتحرى ماتواتر في تقريرها ولا نسمح لغير ذلك بأن يجرنا إلى جدل عقيم لا يعود على اللغة بأية فائدة .

ويكفيينا أن نقرر نهائياً أن أبا الأسود هو أول من وضع النحو وتكلم في أصوله إذ تواتر الروايات بهذا بالاضافة إلى ما أوتيه الرجل من علم واسع في اللغة <sup>(١)</sup> وقدرة وفهم لها لا يبعد عنه وضع أصول لعلم الجأت الظروف السياسية والدينية إلى التفكير في وضعه وتأسيسه .

#### عوامل وضع النحو :

إذا نحن تتبعنا تاريخ هذا العلم ونشأته فسنجد أسباباً كثيرة دعت العلماء في شق العصور الاسلامية إلى الاهتمام بهذا العلم وقواعده وآرائه، وإذا نظرنا كذلك بعمق باحثين عن أسباب نشأة هذا العلم فليس من السهولة أن نسلم بما ترويه الكتب في تعليل ذلك كقصة أبي الأسود مع ابنته مثلاً عندما جاءت ابنته فسألته ما أشد الحر فقال لها شهر تاجر فقالت إنني أتعجب ولا أسأل <sup>(٢)</sup> فهي قصة إن صححت ولا مانع من صحتها فليس من المعقول أن تكون سبباً مباشراً لوضع علم كهذا، علماً بأن وجود الرسول ﷺ بين المسلمين وبصره النافذ فيما قد يقع للغة العربية مما يؤثر على كتاب الله وسلامته أدعى إلى طلب كهذا تصان

(١) نشأة النحو للطنطاوي بتصرف ص ١٢ .

(٢) الاغانى - ١١ ص ١٩٩ طبعة دار الفكر / بيروت - أنباء الرواة للقفطي - ١٥

ص ١٦ بتصرف قليل ، شهر تاجر : رجب أو صفر وكل شهر من شهور الصيف .

به لغة العرب وبالتالي يحفظ بواسطته القرآن وبخاصة أن شيئاً من اللحن قد وقع أمامه ومع هذا فإننا إذا نفينا عن هذه القصة وأمثالها كونها التعليل المباشر لوضع النحو فإننا لانستطيع أن نغفلها كمظهر جزئي من ظاهرة عامة وهي تفشي اللحن بشكل واسع لفت أنظار العلماء والولاة إليه مما حدام إلى التفكير في ذلك .

وعليه فإن العوامل التي دعت إلى وضع النحو وبالتالي تظهر لنا أثر القرآن في هذا الوضع تتلخص كلها في أمر واحد وعامل واحد وهو : اختلاط العجم بالعرب وانصهار الفريقين وتأثر كل منهم بالآخر متأثراً انعكس أول ما انعكس على اللسان العربي بحيث سبب فيه انحرافاً بيناً ترتب عليه سقطات ولحنات كثيرة من عامة الناس وخواصهم وأمثلة ذلك زيادة على ما سبق ذكره أن عمر بن الخطاب مر على جماعة يرمون ويسيثون في رميهم فوبخهم على ذلك فلما سمعوه قالوا : نحن قوم متعلمين فغضب الخليفة لذلك وقال لهم موجحاً : « لحنكم أشد علي من فساد رميكم » (١) .

ويروى كذلك أن الحسين بن أبي الحر كتب إلى عمر كتاباً فلحن في أحرف منه فما كان من عمر إلا أن رد عليه قائلاً : قنع كاتبك سوطاً (٢) .

ولم يقف اللحن عند عامة الناس فقط فهو لو كان كذلك لكان هؤلاء من جهلهم وعامتهم ما يقوم عذراً لهم في لحنهم ولكن الأمر تجاوز ذلك إلى خاصة الناس ، فها هو ذا الحجاج وهو من قيل عنه انه أحد

(١) الاضداد لمحمد بن القاسم الانباري ص ٢٤٤ طبعة الكويت .

(٢) البيان والتبيين - ٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ - لسان العرب في باب العين فصل القاف .

ثلاثة لم يخطئوا ولم يلحنوا في حديث ، قد روي أنه سأل يحيى بن يعمر ما إذا كان غيبة بن سعيد يلحن أم لا ؟ فقال : كثيراً ثم قال له الحجاج أفأنا ألحن ؟ فقال له : لحناً خفيفاً قال وكيف ذلك ؟ قال : تجعل أن إن وإن أن ونحو ذلك ، فقال له : لا تسأكني في بلد ، اخرج (١) وأمثلة غير ذلك كثيرة قد رويت في هذا الصدد .

ولم يكن هذا الانحراف اللساني ليقصر على الكلام العادي بل تجاوزه إلى القرآن الكريم الأمر الذي أفرغ العلماء والولاة ، مما جعلهم يخشون من تحريف قد يزداد مع توالي العصور ، بحيث لا يستطيع رده وفي ذلك إثم كبير على العلماء لإهمال ضبطه وصيغته ، ومن أمثلة هذا اللحن : مارواه أبو الحسن عن الحجاج انه كان يقرأ قوله تعالى : ( إِنَّمَا مِنَ الْمُجْرِمُونَ مُسْتَقِيمُونَ ) (٢) ، وقد روي عن الحسن البصري وهو ممن شهرت عنهم الفصاحة والبلاغة أنه كان يغلط في حرفين من القرآن وهما قوله تعالى ( ص . وَالْقُرْآنِ ) (٣) بضم نون القرآن وقوله كذلك ( وما تنزلت به الشياطين ) (٤) .

وقد روي أيضاً أن أعرابياً سمع أبا الحسن يقرأ قوله تعالى : ( وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ) (٥) بفتح تاء تنكحوا بدل ضمها فقال الأعرابي : سبحان الله هذا قبل الاسلام قبيح ، فكيف بعده ! قيل له انه لحن والقراءة ولا تُنْكِحُوا ، بالضم فقال : قبحه الله ،

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٥ .

(٢) سورة السجدة آية ٢٢ .

(٣) سورة ص آية ١ .

(٤) سورة الشعراء آية ٢١٠ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٢١ .

لا تجعلوه بعدها إماماً فإنه محل ما حرم الله وقيل ان ابن جابان علق على ذلك فقال : وإن آمنوا أيضاً لم ننكحهم (١) .

وقد ورد كذلك أن الحجاج أمّ قوماً فقرأ (والعادياتِ ضببها) (٢) وقرأ في آخرها : (إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير) (٣) بفتح همزة إن ، ثم تنبه إلى اللام في ( لخبير ) وأن قبلها لا يكون إلا مكسوراً ، فحذف اللام منها (٤) .

وقد شاع اللحن في القرآن كثيراً حتى وصل إلى درجة الشرك بالله : فقد روي أن سابقاً الأعمى كان يقرأ : ( الخالق الباري المصور ) (٥) بفتح الواو بدل كسرهما ، وإذا لقيه ابن جابان يقول له ياسابق : ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه (٦) .

هذا العامل وما خلفه من استهجان قابل به الناس هذه اللحنات والسقطات التي لم تقع في الكلام العادي حتى يمكن التغاضي عنه ، بل وقع في أمس شيء في حياة المسلمين وهو القرآن الكريم ، هذا العامل هو السبب المباشر والرئيسي في وضع علم النحو ونشأته (٧) وفي هذا أيضاً يقول ابن خلدون في مقدمته « وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بما ينغلق به القرآن والحديث على الفهوم فاستنبطوا

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٦٠ ، العقد الفريد لابن عبد ربه

ص ٤٧٥ .

(٢) سورة العاديات آية ١ .

(٣) سورة العاديات آية ١١ .

(٤) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٦٠ .

(٥) سورة الحشر آية ٢٤ .

(٦) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٢١٩ .

(٧) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم ص ٤٥ .

من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر الكلام،<sup>(١)</sup> .

فالقرآن إذن والعمل على ضبطه والخوف من تحريفه كان من أهم العوامل التي جعلت العلماء يشمرون عن ساعد الجهد ويعملون على وضع النحو والإسراع في ذلك<sup>(٢)</sup> .

ويؤيد ما ذكرناه أن زياد بن أبيه قال لأبي الأسود: إن بني يلحنون في القرآن فلو رسمت لهم رسماً ، فنقط المصحف فقال : ان الظئر والحشم قد أفسدوا ألسنتهم ، فلو وضعت لهم كلاماً ، فوضع العربية<sup>(٣)</sup> .  
ومن هنا يتبين لنا أن أول علاقة ربطت القرآن الكريم بالنحو هي أنه السبب القوي والعامل الدافع إلى وضع هذا العلم وإنشائه وحسبه بهذا أثراً فيه .

## مصادر هذا النحو

لقد اعتمد النحاة في بناء هذا العلم وترسيخ قواعده وجزئياته على مصادر عديدة كانت لهم ذلك المنبع الثر الذي أفاض عليهم حتى طلغوا علينا بأضخم ثروة نحوية ولغوية .

وإذا نحن تتبعنا هذه المصادر كما توحي بها جزئيات النحو ونظرياته ومسائله وجدناها أربعة نرتب الحديث عنها حسب أهميتها في هذا المجال وهي :

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٤ ط الحلبي .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان - ١ ص ٢٥١ بتصرف .

(٣) أنباء الرواة للقفطي - ١ ص ١٦ .

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كلام العرب .
- ٣ - الحديث الشريف .
- ٤ - القياس .

## ١ - القرآن الكريم :

إن اللغة العربية كما نعلم لغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين الاسلامي وأكثر ما يظهر هذا الارتباط في العلاقة التي تربط بينها وبين القرآن الكريم الذي أنزله الله بلسان عربي مبين أعجز في ذلك الوقت وسيظل يعجز الى الأبد كل بليغ أو صاحب بيان ، وقد أوجبت هذه العلاقة بين اللغة والقرآن على كل من يريد أن يفهم آي الله أن يتقن العربية وأساليبها اتقاناً جيداً يأمن به العثرة في تفهم ما ترمي إليه الآيات الكريمة .

ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب كما تقدم فإن معظم آياته قد نزلت بلغة أفصح القبائل العربية وهي لغة قريش وذلك حتى يجمع بين الفصاحة والسهولة والوضوح .

ولقد كان القرآن الكريم فضلاً عن أنه كتاب تعبد وتلاوة مصدراً عظيماً لكثير من العلوم الاسلامية ومنها علم النحو ، حيث أخذ النحويون منه مادة لاشتقاق قواعدهم وتطبيقها ، كما أعربوه إعراباً كاملاً أعان فيما بعد على تفسيره تفسيراً شاملاً حتى أننا لنجد آثار ذلك منبثة في كثير من كتب التفسير .

لذا لا نجد عجباً في أن يكون القرآن مصدراً كبيراً للغة من حيث ألفاظها وصرفها ونحوها لأن قداسته التي لا مجال للشك فيها تعطى

لمصدريته صفة السلامة الراسخة والصحة الثابتة المطردة ، ولا غرو في ذلك فما ورد في القرآن هو أصح ما استعمله العرب من أساليب وألفاظ كانت أصح مصدر لعلماء اللغة (١) .

وهذا في الواقع ما يفسر لنا اعتماد النحاة واللغويين والبلاغيين الاعتماد المطلق على القرآن الكريم في تثبيت قواعدهم وبنائها ، فما فيه من قدسية بالاضافة إلى الإيمان الشديد بأن القرآن أفصح كلام في الوجود وأنه من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كان كفيلاً بأن يجعل هؤلاء يلتفتون حول آياته ويتخذون منه أدلة قاطعة على ما يقولون ، فالقاعدة النحوية التي كانت تدعم بدليل قرآني كان يكسبها هذا الدليل صفة القطعية والثبوت وهي الصفة التي لا يمكن لأحد أن يجادل فيها أو يبدي رأيه الشخصي حيالها إلا بتقدير ما تحتوي عليه الآية من دلائل ووجوه تحتمل تعدد الآراء اللغوية وتشعيب القواعد النحوية وإلا فإن الآية القرآنية جديرة بفصل القول وقطع الرأي ، ومن أجل هذا كان القرآن الكريم أول مصادر الفكر الاسلامي وأعظمها وأدقها على الإطلاق ، وفي ذلك يقول الدكتور مهدي الخزومي : « وهو أصدق مرجع وأصح مصدر يرجع إليه النحاة في تقنين القوانين واستخراج الأصول » (٢) .

قيمة هذا المصدر :

لسنا في الواقع بحاجة إلى بيان القيمة الفعلية لمصدرية القرآن الكريم

(١) ضحى الإسلام أحمد أمين - ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ٥١ .

في مجال اللغة كما سنفعل في تبيان هذا بالنسبة لبقية المصادر ، وذلك لأن هذه القيمة تملن عن نفسها من خلال ذلك الإعجاز الذي اتصف به القرآن الكريم منذ أن وجد إلى أن تنتهي الأرض ومن عليها ، فقد ثبت عجز العرب عن محاكاته والإتيان بمثله على الرغم من حرصهم على هذه المحاكاة وبالرغم مما كانوا يتصفون به من بلاغة وإعراب وفصاحة وحسب القرآن بذلك قيمة كبرى قد ترتبت عليها ثقة مطلقة في فصاحته ولغته وبيانه ، وإذا كان لنا قول نقوله في هذا الجانب فليس لنا إلا أن نردد قوله تعالى فيه : ( كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ )<sup>(١)</sup>.

وهل لنا نحن بعد ذلك أن نقومه بأكثر مما وصفه به خالقه جلت قدرته .

## ٢ - كلام العرب :

ليس للباحث في مصادر النحو أن يفغل كلام العرب كمصدر تاريخي ومنطقي للفهم فحقائق أية لغة لا يمكن أن تحرر وتبنى إلا على كلام أهلها وأصحابها فاستقصاء يسير للنحو يطلعنا على أن بدهياته أو قواعده المستخلصة عن طريق الاستقراء والاستنتاج لم يبدأ تحريرها إلا مستندة على أقوال العرب نفسها فرفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه ، وكثير من الحالات البديهية لم تعلم وبالتالي لم تثبت إلا بعد تتبع الجزئيات وتقصيها ، وكذلك الأمور القياسية لم تكن لتلقى القبول إلا إذا دعت

(١) سورة هود آية ١ .

بأحدى دعامتين ، هما القرآن الكريم وكلام العرب ، ولكننا نحن في صدد تقرير ما سبق لابد من أن نعين العرب الذين كانت لغتهم مصدراً لعلم النحو . لقد كان معظم النحاة وبخاصة البصريون يتحزون كثيراً في أخذ اللغة من أي عربي ، ولم يكونوا ليثقوا بأي كلام يصل إلى مسامعهم ، وقد حق لهم ذلك إذ لم يضعوا قواعد النحو وأصوله إلا حفظاً لكلام العرب كما ورد وتخليصاً له من كل شائبة قد اعترته أو استعريه .

وإذا علمنا أن الخليل بن أحمد ومن هم على شاكلته من البصريين كانوا يذهبون إلى الصحراء ويتلقون اللغة ممن يتأكدون بأنه لم يغادرها إلى الحاضرة ، عرفنا تماماً مقدار الحرص الذي كان عليه النحاة في مبدأ الأمر ، وهذا ما يفسر لنا أسباب حصر الاستدلال والاستشهاد بأقوال بعض القبائل العربية في عصري الجاهلية وبني أمية دون بقية العصور التي تفتش فيها اللحن تفتشاً شمل العامة والخاصة من الناس حتى بلغ درجة يمنع النحاة من أن يأمنوا جانبه ، لذلك إذا تتبعنا تاريخ النحو وتدوينه نجد أن غالب علماء النحو كما تقدم قد نظروا إلى العصور التي سبقت تدوين هذا العلم نظرة فاحصة كان من نتائجها أن بنوا ثقتهم متدرجة حسب هذه العصور ، فأولوا عصري الجاهلية وصدر الاسلام كل ثقتهم وتبع ذلك العصر الأموي ثم العصور اللاحقة أما نظرتهم إلى الجاهلية فلم تكن لتفوقها أية نظرة ، فالعرب إبان ذلك قد خلصت لغتهم كل الخالص وأبعد تراخي الصحراء ، وتباعد أطرافها كل شائبة من شأنها أن تحرف كلامهم أو تذهب به إلى غير مسالكه . ولعل ما رواه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ما يدل على ذلك

حيث قال : جلست إليه عشر حجج فما سمعته يمتج ببيت أسلامي (١)  
وعندما سئل عن المولدين قال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ،  
وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحداً (٢) .  
فمن الطبيعي اذن والحال كذلك أن تكون الأشعار الجاهلية وغيرها  
من فنون القول أسساً يستقي منها النحاة نحوهم وقواعدهم .

وهذا ما نجده بالفعل في شتى الكتب النحوية الزاخرة بالقواعد  
المتنوعة والتي أكسبتها أدلة هذا العصر صفتي الثبوت والصمود ، وهما  
الصفتان اللتان دفعنا بالمنتحلين فيما بعد أن ينتحلوا أشعاراً متنوعة ثم  
ينسبونها إلى شعراء جاهليين لكي تكفل لهم هذه النسبة استتباباً  
لقواعدهم وقبولاً لأرائهم التي رأوها في النحو .

وأما بالنسبة لعصري صدر الاسلام والأموي فقد كان العرب في هذه  
الفترة قريبي عهد بالصحراء ولم يكونوا بعد قد استمرأوا للحن استمرأء  
يدخل الخشية إلى قلوب النحاة ، لذلك نجد في الغالب يثقون في أقوال  
هذين العصرين وبخاصة عصر صدر الاسلام وأما الأموي فقد وقف  
اللغويون إزاءه موقفين فمنهم من اعتبر بعض رجاله كالفرزدق والأخطل  
وجرير فحولاً يطاولون غيرهم من شعراء العصر الجاهلي ويشابهونهم في  
فصاحتهم وصحة لسانهم وفي ذلك يقول السيوطي نقلاً عن الرواة قولهم :  
الفحول في الجاهلية ثلاثة متشابهون زهير والفرزدق - والنايبة ، والأخطل  
والأعشى وجرير (٣) .

(١) خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي - ١ ص ٦ تحقيق عبد السلام هارون .

(٢) اللغة والنحو لمعباس حسن ص ١٢٠ .

(٣) المزهر للسيوطي - ٢ ص ٤٧٩ .

ويعلق الأستاذ عباس حسن على ذلك بقوله : ولن يصف الحذاق شاعراً بأنه من الفحول إلا إذا كان قويم اللغة ، صحيح اللسان لأن هذه أولى صفات الفحولة بل أول شرط لوجودها (١) .

ومن اللغويين أمثال أبي عمرو بن العلاء والأصمعي من وقف موقفاً ضد هذا حيث رأوا في هؤلاء أنهم مولدون ولا مرتبة لهم بين الفصحاء والثقات الذين يستشهد بكلامهم في اللغة والنحو (٢) .

وإذا ما كانت ثقة العلماء في هذا العصر ثقة غير مطلقة فلن يكون حظ العصر العباسي ، وما أعقبه من عصور بأحسن حظاً من سابقه وبخاصة أنها عصور قد استشرى فيها اختلاط العرب بالمعجم اختلاطاً عرض اللغة للتحريف والتغيير كما ذكرنا .

وعلى هذا لم تكن ثقة النحاة في العصور المتأخرة تصل بهم إلى حد الاستدلال بأقوالها وبناء القواعد عليها وهذا إن كان له دليل على شيء فأنما يدل على أن القواعد النحوية قد وصلتنا مبنية على أسس سليمة تجعلنا نؤكد أن النحو في أصوله قد بني بناء سليماً وصحيحاً دون ريب أو شك .

فحرص هؤلاء الأوائل الذين رسخوا هذه القواعد وأسسوها على صفاء المصدر ونقاء المنبع دليل على أنهم قد خدموا لغة القرآن خدمة جلي بكل صدق وأمانة . وحسبنا دليلاً على ذلك قصة بشار بن برد الذي كان معتداً بلغته حيث بلغه أن سيبويه عاب عليه شيئاً من شعره فقال بهجوه :

(١) اللغة والنحو لعباس حسن ص ١٢١ .

(٢) اللغة والنحو لعباس حسن ص ١٢٧ .

أسبويه يا ابن الفارسية ما الذي تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذ  
أطلت تغني سادرآفي مساءتي وأملك بالمصرين تعطي وتأخذ

فتوقاه سيبويه من أجل ذلك وكان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه  
ووجد له شاهداً من شعر بشار احتج به ، استكفافاً لشره (١)  
وتقرباً إليه (٢) .

وهذا يعني لو أن سيبويه لم يخش بشاراً لما اعتد بشعره مما يدل على  
أن النحاة لم يكونوا يبنون قواعدهم على أي قول يسمعونه .

ومن ناحية أخرى فإن قصة بشار مع سيبويه لا يصح أن تتخذ  
دليلاً على عكس ما نريد أن نثبتته هنا فهي وإن وقعت خوفاً وخشية  
إلا أنها لم تقع مجاملة أو محاباة كما أنها لم تتمكرر تكراراً من شأنه  
أن ينفي عن النحاة حرصهم على نقاوة ما يبنون عليه أسس علمهم وأصوله .

ولعل أوضح تعليل لإغفال النحويين واللغويين لهذه العصور هو  
ذلك الاختلاط الشامل بين العرب والعجم الذي دخل القصور وشق  
الدور وشاع بين الصفيير والكبير حتى شابت اللسان العربي لكنة  
واضحة ووطانة غريبة لم ينج منها شاعر أو كاتب حتى تفسى اللحن  
في القول وفي قرارة القرآن تفسياً نزع من النحاة ثقتهم بكل ما يقول  
أهل هذه العصور من فنون القول وصنوفه .

---

(١) الاغانى - ٣ ص ٢١٠ صورة عن طبعة دار الكتب القاهرة .

(٢) خزنة الآداب لعبد القادر البغدادي - ١ ص ٨ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

## قيمة هذا المصدر :

إن الاعتماد على كلام العرب كمصدر من مصادر النحو العظيمة أمر لا عجب فيه إذ أن نحو العرب يجب أن يؤخذ أول ما يؤخذ من كلام العرب ، وهذا أمر طبيعي ، إلا أن شيئاً من التقويم يجب أن نجعله في هذا الصدد حكماً نتبين من خلاله القيمة الواقعية لهذا المصدر إذ أن لغة العرب في ذاتها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم وهو ما يحتم عليها أن تعتمد عليه في بنائها والحفاظ على كيائها ولا تعتمد على أقوال قد تتعرض في تقريرها لكثير من الانتحال وعدم الدقة في الرواية .

ولست بقولي هذا أهون من شأن كلام العرب كمصدر من مصادر النحو كما لا أريد كذلك أن أهون منه كمستقى واقعي لهذا العلم بل مع تقرير من الناحية المنطقية أنه يجب أن يكون أول المصادر اعتماداً عليه وركوناً إليه غير أنني أعتقد بإمكان جعله مصدراً أقدر على احتواء اللغة وقواعدها- وذلك إذا ما ضبطت حدوده واتسعت آفاقه فهو من الناحية المنطقية كما ذكرنا أجدد ببناء اللغة التي لا تؤخذ عادة إلا من خلال أبنائها وما يجري على السنة المتحدثين بها غير أن معنى هذا المصدر بحسب ما يوحى به لفظه واسع المدلول الزمني ويتضمن من الزمن فترات طويلة تحتوي على كل كلام قاله العرب منذ أن كانوا إلى عصرنا هذا ، ونحن إذا ما أردنا أن نتخذ من هذا المفهوم مصدراً لنحونا فإننا بذلك نفتح المجال لكل تعبير وصياغة بشكل لا نستطيع معه أن نضبط ونحدد من خلالها أساليبنا واستمالاتنا ولعل ذلك الخلاف الذي كان يقع بين العلماء في تحديد العصور والفترات التي يجب أن يولوها تقمهم كما يستقوا منها لغتهم وقواعدهم كما تقدم أكبر دليل على أن تحديد الفترات

الموثوقة أعون على ضبط اللغة والاستيثاق من سلامتها ، ومن أجل هذا وجدناهم يحرصون على الاستشهاد والاستدلال من فترات معينة حرصاً كان من جرائه أن طوقت اللغة في حدود ماري من سلامتها دون أن تتجاوز ذلك إلى آفاق أرحب بحيث تواكب تقدم الإنسان وحضارته .

ولكن هل يشفع لهم حرصهم في مواقفهم حيال هذه العصور وأقصاء فترات طويلة منها عن مجال الاستشهاد والاستدلال مغالاتهم التي ترتب عليها فيما بعد أن تعثرت اللغة في فترات طويلة كانت تتجاوزها في أثنائها من كل ناحية آراء نحوية تتراوح بين الرفض والقبول والرضا والظعن والتخطئة . نعم هل يشفع لهم حرصهم ذاك فيما قد وقع في اللغة مما ذكرنا ؟ : إن وقفة اللغويين تلك وما ترتب عليها من تضيق في اللغة وقبض لها من أن تنطلق مع فترات الزمن تأخذ منها ما يتقدم بها ويحملها مواكبة لكل تقدم وازدهار لم تكن في الواقع نابعة من سوء نية أو قصد سيء فلم يكن هؤلاء النحاة اللغويون ليقتصدوا بذلك إلا سلامة اللغة وصفاءها ، ولكن هل يجدر بنا الآن أن نحمد على ما أراده العلماء والأولون فنقصر اللغة ومظاهر الصحة والسلامة فيها على فترات زمنية معينة مجرد أنهم كانوا يرون ذلك .

إن هذه مشكلة يجب أن يوجد لها حل سريع ولعل المجمع اللغوي قد استطاع أن يضع ما يمكن أن يعتبر انفتاحاً للفتنا على آفاق من التقدم والتطور وذلك عندما جدد عصور الاستشهاد التي يوثق بها إذ أعلن « أن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرون الرابع » (١) .

(١) اللغة والنحو لعباس حسن ص ١٢٩ نقلاً عن مجلة المجمع ج ١ ص ٢٠٢ .

وإنه لرأي جيد يخدم اللغة ويعينها على التقدم كما أنه يفتح الطريق مستقبلاً لمنح فترات زمنية أخرى تلك الثقة التي تمتعت بها الفاترة المذكورة فتمتجدد اللغة وتفتح لكل جديد .

ونحن إذا ما سرنا على هذا النهج أمكننا أن نجعل من كلام العرب في هذه الحدود عاملاً على طواعية لغتنا وازدهارها وموامتها لكل حديث وبديع في الوقت الذي نكون فيه قد بنينا جديدها على مصدر سليم ومنيع .

### الحديث الشريف

لم يكن للنحو كما تقدم مصدر واحد استقيت منه قواعده ، بل له كذلك الحديث الشريف فرغم كونه أحد هذه المصادر إلا أن النحاة لم يولوه اهتمامهم الشديد كما أولوا غيره ، مما تقدم فقد وقفوا حياله موقفين متغايرين ، أحدهما موقف المعارض للاحتجاج به وثانيهما موقف المؤيد للاحتجاج ، وقد اعتمد كل من الفريقين على مبررات لرأيه ولوجهة نظره ، فأما المانعون وهم معظم النحاة (١) سواء أكانوا بصريين أم كوفيين (٢) أم من أي مذهب آخر فقد اعتمدوا فيما ذهبوا إليه على مايلي :

أولاً : جواز رواية الحديث بالمعنى دون التقييد بلفظه (٣) وقد قال ابن الضائع في هذا الخصوص : لولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى

(١) القواعد النحوية - مادتها وطريققتها الاستاذ عبد الحميد حسن ص ١٨٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٩٠ - مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ٣٤٨ .

(٣) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ٣٤٨ .

في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي ﷺ لأنه أفصح العرب (١) .

ثانياً : كثرة الأحاديث الموضوعية التي لا يؤمن جازئها وبالتالي لا يحسن الاستشهاد بها وهي ليست من قول الرسول ﷺ طالما أن الأحاديث الصحيحة لم يحسن العلماء الاستشهاد بها لمجرد صحة روايتها بالمعنى .

ثالثاً : وقوع اللحن كثيراً في الأحاديث الشريفة لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب (٢) .

وأما المؤيدون للاحتجاج به فيتمدون في ذلك على ما أحيطت به الأحاديث من ضبط في الرواية وتشديد في النقل يجعله بعيداً عن أي اشتباه أو شك ، كما أنه تكفي فيه غلبة الظن بأنه منقول عن النبي ﷺ فضلاً عن أن عدم احتجاج المتقدمين به لا يلزم منه عدم صحة الاستدلال به (٣) .

ولقد ذكر ابن الضائع أن ابن خروف كان ممن يستشهد بالحديث كثيراً (٤) وكذلك ابن مالك الذي كان له حظ وافر في الاستشهاد به وفي تأييد هذا القول يقول فيه السيوطي : كان أمة في الإطلاع على الحديث فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن الكريم فإن لم يكن فيه شاهد

---

(١) خزنة الادب لعبد القادر البغدادي - ١ ص ١٠ تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون ط دار الكتاب .

(٢) ضحى الاسلام - ٢ ص ١٣٤ أحمد أمين - مدرسة الكوفة للدكتور الخزومي ص ٣٤٨ .

(٣) القواعد النحوية - مادتها وطريقتها للاستاذ عبد الحميد حسن ص ١٩١ خزنة الادب - ١ ص ٩ .

(٤) خزنة الادب - ١ ص ١٠ لعبد القادر البغدادي تحقيق عيد السلام هارون .

عدل إلى الحديث (١) ولعل كتابه المسمى : شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، وما جمع فيه من القواعد التي استدل لها بالأحاديث أولاً ثم بالقرآن وكلام العرب مايدل على احتفائه الشديد به في هذا المجال .

ونخلص من هذا كله الى أن العلماء في معظمهم قد أقصوا الحديث عن مجال الاستشهاد ولم يعتمدوه كمصدر في ذلك إلا نفر قليل منهم ، ولعل عودة أخرى إلى أسباب هذا الصنيع توضح لنا يجلاء حرص النحاة على بناء قواعد سليمة يحفظ بواسطتها كتاب الله ولغة العرب ، فرواية الحديث بالمعنى واجازه بعض الصحابة والتابعين لها (٢) جملة النحاة - يتحرزون من اتخاذ دليلك لعل لم تبين قواعده إلا على الأقوال التي لا يصح الوثوق بها إلا إذا تأكدت صحة روايتها بنفس ألفاظها التي وردت فيها دون تحريف أو تغيير .

#### قيمة هذا المصدر :

إذا أردنا أن نقوم هذا المصدر تقويماً حقيقياً فلا بد من أن نقرر بأن هؤلاء الذين منعوا الاحتجاج به قد غالوا في موقفهم هذا مغالاة أبعدتهم عن الحق وجانبتهم سواء السبيل ، فالحديث وهو كلام أفصح الخلق وأوضحهم بياناً ، لا يجوز أن يقصى عن مجال الاستشهاد به وتحرم اللغة من مصدر ثمر معطاء فإن من الأحاديث ما هو في مرتبة أقوى المصادر - وأسلمها وهو ما لا يجوز للغوي أن يهمله أو يقصيه ، ولقد كان ابن

(١) بغية الدعاة للسيوطي ص ٥٥ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ القاهرة .

(٢) ضحى الاسلام - ٢ ص ١٢٣ أحمد أمين .

مالك ومن تابعه محققين في موقفهم الذي وقفوه حيال الحديث الشريف : ولكن هل نتخذ من الحديث مصدراً واسعاً لبناء اللغة والاعتماد عليه في قواعدها دون تحديد لمجرد أنه حديث منسوب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ إن الواجب في الحقيقة يقضي علينا أن نتحرى ونبحث عن الأحاديث الصحيحة ونتخذ منها أدلة على ما نتجه به في لغتنا ، أي أن شيئاً من التعميد في هذا المجال يجب أن يكون المحجة التي يسلكها اللغويون والنحاة حيال هذا المصدر العظيم إذ إن من الأحاديث بالفعل ما لا يركن إليه في صناعة اللغة ووضع قواعدها وضوابطها ولقد سجل المجمع اللغوي في هذا الصدد حسنة عظيمة وخدمة كبيرة للغة حيث وضع للمسألة ميزانها وحدد حدودها وأقر الاستشهاد بالحديث بما يصح الأخذ منه والاستدلال به ، فأصدر بذلك قراراً ذكر فيه أنه لا يجوز الاستشهاد بالحديث إلا مادون منه في الكتب الستة الصحاح بشرط أن يكون من الأحاديث المتواترة والأحاديث التي تستعمل في العبادات والمتعلقة بكتب النبي عليه الصلاة والسلام والأحاديث التي يخاطب بها قوماً بلغتهم وكذلك الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم والأحاديث التي دوتها من نشأ بين العرب الفصحاء وكذلك المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة (١) .

وبهذه الخطوة الكبيرة نجد أن المجمع قد أخرج المسألة من قيودها وأوجد للغة منفذاً واسعاً تنفتح فيه ومنه على آفاق أرحب وأوسع .

(١) القواعد النحوية - مادتها وطريقاتها ، عبد الحميد حسن ص ١٩٣ نقلاً عن مجلة

مجمع فؤاد الاول - ٤ ص ٧ .

## القياس

يعتبر القياس من المصادر الهامة التي بني عليها علم النحو وأسست بها قواعده وجزئياته ، فنحن لو تتبعنا ما احتوت عليه المراجع النحوية لوجدنا كثيراً من الآراء الشخصية الذاتية التي اعتمدت في صناعتها على القياس ، مما كان سبباً في تكوين ثروة ضخمة من القواعد النحوية .

ولم يكن أي علم من العلوم ليخلو من القياس في تقرير مسأله وجزئياته ولقد كان علم النحو من أكثر العلوم اعتماداً عليه ، إذ لا يكاد نحوي من النحاة إلا وله أقيسة معينة ، سواء أكان بصرياً أم كوفياً أم بغدادياً أم أندلسياً ، ولعل ما يحظى به النحوي من حرية في هذا المجال تتيح له أن يشيد ويبني آرائه الشخصية بدون قيد كان سبباً في إقباله على هذا النوع .

ومن أجل أن نتعرف أكثر وأكثر على هذا المصدر وما كان له من أثر في بناء النحو ، لا بد من معرفة معنى القياس في اللغة والاصطلاح لنستطيع بذلك إدراك ما نرمي إليه .

فالقياس في اللغة كما في القاموس : تقدير الشيء على مثاله (١) ومعناه في الاصطلاح لا يكاد يعتمد عن ذلك كثيراً فقد قيل في تحديده عدة حدود وتعريفات نختار منها .

أ - أنه محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية وحمل كلامنا على كلامهم في صوغ أصول المادة وفروعها وضبط الحروف وترتيب الكلمات وما يتبع ذلك (٢) .

(١) القاموس - ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) اللغة والنحو لعباس حسن ص ٢٢ .

ب - حمل كلمة على نظيرها في حكم ، ولا يحمل على هذا النظر  
إلا إذا لم يوجد ما يعارضه البتة (١) .

ومن يحمل هذه التعريفات يتبين لنا أن القياس هو إلحاق مسألة  
ليس لها حكم معين بمسألة لها حكم مع ملاحظة ما بين المسألتين من تشابه  
يستدعي قياس إحداهما على الأخرى .

وعلى كل فمهما كانت هذه التعريفات التي دارت حول اللفظ فإنه  
ليس في النهاية أكثر مما قلنا من أنه تشبيه أمر بأمر وإلحاقه في حكمه  
وهو ما كان في حقيقته أداة عقلية فكرية استعملها النحاة واللغويون  
استعمالاً كان له أثره على اللغة والنحو فيما بعد .

ويبدو أن البصريين كانوا هم السباقين إلى الاعتماد على هذا النوع  
في صنع قواعدهم حتى قيل إنهم أهل قياس في الوقت الذي نسب فيه  
إلى الكوفيين أنهم أهل سماع (٢) .

والصواب أن البصريين والكوفيين قد اعتمدوا على القياس والسماع  
على السواء (٣) فكل منهم قد سمع وقاس وإذا كان هنالك من فرق  
بينهما فقد يكون في دقة البصريين في قياساتهم ونقيض ذلك في  
قياسات الكوفيين ، وفي ذلك يقول الأفغاني عن البصريين : « وهم  
الذين أمعنوا في أحوال الكلام العربي واستنبطوا علله وحكموا فيها  
المنطق والعقل حتى جاءت قواعدهم في القياس والنحو الذي بني عليها  
متأسكة متناسقة في الجملة » . . . . . بينما نجد يقول عن الكوفيين : « فلما

(٢) نفس المرجع ص ٣٩ .

(٢) من تاريخ النحو للأفغاني ص ٧٢ .

(٣) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ٣١٧ .

أقنضتهم المنافسة أن يكون لهم قياس كما لأولئك بنوه على ما عندهم  
ما يتنزه عن روايته البصري ، ثم جعلوا كل شاذ ونادر قاعدة لنفسه  
فانتشرت عليهم قواعدهم ولم يعد لها ما يسكها من نظام أو منطق» (١) .

ويقف الدكتور - مهدي الخزمي مندداً - بما نسب إلى الكوفيين  
ويعتقد بأن ما قيل من إفساد الكسائي لقياسات الكوفة واعتماده فيها على  
غير الفصح وجعله أصلاً يقيسون عليه ، إنما هو اتهام بصري للطعن في  
قواعد الكوفيين والتشكيك في سلامتها وفي ذلك يقول : « وهذا  
الإفساد الذي اتهم البصريون به الكسائي إنما هو لإفساد أصولهم  
ومقرراتهم ، أما كونه يمس اللغة أو يمس النحو فيحتاج إلى برهان  
لا أظنهم استطاعوا أن يأتوا به » (٢) .

والحقيقة أنه لا يستبعد أن يكون لمنافسة البصريين للكوفيين أثر في  
مغالاتهم باتهام نحو الكوفة وفساد قياساتها في قواعدها .  
وعلى أية حال فإن القياس كان منهج النحاة الذي سلكوه وبنوا عليه كثيراً  
من قواعدهم وآرائهم سواء أكانوا بصريين أم كوفيين أم غير ذلك .

#### قيمة هذا المصدر :

ليس لأحد قط أن يعتقد بأن القياس النحوي لم يكن عاملاً كبيراً  
في رصد جزئيات لاتعد ولا تحصى من قواعد النحو كما ذكرنا ، وإن  
نكون مبالغين إذا قلنا بأن تلك هذه القواعد وقد يكون أكثر من ذلك  
هي في الواقع من صنيع القياس ، إذ لا يوجد نحوي من النحاة إلا وله

(١) من تاريخ النحو للأفغاني ص ٧١ .

(٢) مدرسة الكوفة للخزمي ص ١١٧ .

أقيسة متنوعة وآراء خاصة ، وهذا الكسائي نفسه لا يعتبر النحو إلا قياساً فقط حيث يقول في ذلك :

إنما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع (١)

وهذا الحصر الذي تضمنه البيت إن دل على شيء فإنا يدل على أن كبار النحاة أنفسهم كانوا يسنون القياس سنة لهذا العلم بكل موضوعاته وأبوابه فقد روي عن ابن الأنباري أنه كان يقول ان إنكار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس ولهذا قيل في حده : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو (٢) .

ولكن لما كانت النظرة إلى القياس الذي تمخضت عنه قواعد كثيرة نظرة تختلف بين نحوي وآخر او بين بلد وبلد ، كان لا بد إزاء ذلك من تقويم القياس كمصدر من مصادر النحو تقويماً قائماً على أساس النظرة التي ينظرها النحاة أنفسهم .

فإذا عرفنا أن أقيسة البصرة صحيحة لسلامة نتائجها المتعلقة بصحة مقدماتها (٣) وأن أقيسة الكوفة أقيسة تتسم كما يقول الناقدون بتساهل لا تطمئن إليه النفوس ، أدركنا من ذلك أن القياس الصحيح وهو الذي تستبثق عنه نتائج سليمة هو في الحقيقة مصدر قوى من المصادر التي اعتمد عليها النحو ويمكنه أن يعتمد عليها في كل حين

(١) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٣٧ .

(٢) الاقتراح للسيوطي ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) نشأة النحو للطنطاوي ص ٦١ .

سواء انبثق هذا القياس عن نحوى بصري أم كوفي أم بغدادى أم  
عن نحوى حديث .

وأما أن القياس كان مصدر ثروة ضخمة للقواعد النحوية والكتب  
التي ألفت فيها فهذا أمر لانستطيع أن ننفيه ، ولكن طالما أننا في صدق  
التقويم فلا بد أن نقرر بأن القياسات المبينة على التحفظ والدقة  
والأمانة هي في واقعها أقوى على الصمود في تحرير نحو حديث سليم  
من ذلك القياس المضطرب المبني على التساهل وعدم التدبر .

وفي الواقع أن هذا المصدر إذا أحسن استغلاله كان من الممكن  
أن يكون بالنسبة للغة مصدراً عظيماً يعمل على معالجة ادائها وإزالة  
مشكلاتها لتكون قادرة فيما بعد على التهام كل جديد تفرضه حضارة الوقت  
ومدنية الإنسان .

#### هذه المصادر في الميزان :

ان هذه المصادر التي تقدم ذكرها كانت هي المعتمد الفعلي في بناء النحو  
وتأسيسه وإنشائه ولكنها في الواقع تتفاوت فيما بينها بالنسبة لمدى الاعتماد  
عليها والركون إليها في هذا البناء ، وإذا كنا سنضعها في الميزان  
لنتعرف من خلال ذلك على أي من المصادر قد حار قصب السبق في  
هذا البناء ، فإننا في الواقع لن نجد أولى من القرآن الكريم ننسب  
إليه فضل البناء وتوسمته وتقويته وترسيخه فهي أمور لم تتوفر في  
الحقيقة لأي مصدر من المصادر المذكورة بنفس الحجم والقدرة والمدى  
الذي توفر للقرآن الكريم . وذلك لأن كلام العرب لم يكن من السهولة  
ضبطه وحصر ما صح منه أو فسد ، ومن هنا اختلفت الآراء والمذاهب

فِي اعْتِمَادِ الْكَثِيرِ مِنْهُ وَالْأَسْتِنَادِ عَلَيْهِ فَإِنَّ مِنَ اللَّغَوِيِّينَ مَنْ تُحْرَاهُ بَدَقَّةُ  
وَحَرَصِ شَدِيدِينَ فَكَثُرَ لَدَيْهِ النَّادِرُ وَالشَّاذُّ وَمِنْهُمْ مَنْ تَسَاهَلَ فِي أَمْرِهِ  
فَارْتَبَّ فِي قَوَاعِدِهِ وَأَرَائِهِ ، وَمَنْ أَجَلَ هَذَا لَمْ يَكُنْ كُلُّ كَلَامِ الْعَرَبِ  
مَصْدَرُ ثِقَةٍ كَامِلَةٍ لِعَدَمِ الْقَطْعِ فِي صِحَّةِ الْكَثِيرِ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ  
الشَّرِيفُ فَقَدْ تَجَنَّبَهُ مَعْظَمُ النَّحَاةِ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرَهَا وَأَمَّا الْقِيَاسُ  
وَمَا تَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ آرَاءِ شَخْصِيَّةٍ فَهُوَ فِي مَجْمَعِ مَصْدَرِ اجْتِهَادِي شَخْصِي  
قَدْ يَصِحُّ وَرَبْمَا لَا يَصِحُّ وَقَدْ يَكُونُ ضَعِيفًا وَرَبْمَا يَكُونُ قَوِيًّا بِالْإِضَافَةِ  
إِلَى أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ وَلَا يَسْتَسَاغُ إِلَّا حَيْثُ يَمُزُّ الدَّلِيلُ وَيَمْتَنَعُ .

وَلَكِنِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْمَصَادِرِ قَدْ خَلَا مِنْ كُلِّ مَا كَانَ  
سَبَبًا فِي ارْتِيَابِ اللَّغَوِيِّينَ وَالنَّحَاةِ . فَنَسَبْتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى نِسْبَةً مَقْطُوعَةً بِهَا  
وَلَا يَخْتَلَفُ فِيهَا إِثْنَانُ كَمَا أَنَّ تَارِيخَ جَمْعِهِ وَتَوْثِيقَ نَصُوصِهِ وَمَا تَخْلُصُ  
ذَلِكَ مِنْ حَرَصِ شَدِيدٍ وَرِقَابَةٍ عَظِيمَةٍ وَرِعَايَةٍ أَكِيدَةٍ كَانَ سَبَبًا فِي جَعْلِهِ  
كِتَابَ الْأَبَدِ الَّذِي لَا يَنْسَرِبُ الْبَاطِلُ إِلَيْهِ وَبِالتَّالِي كَانَ لَهُ الْأَثَرُ الْكَبِيرُ  
فِي عِلْمِ النَّحْوِ ، الْأَمْرُ الَّذِي يَحْمِلُنَا وَيُدْفَعُنَا إِلَى التَّعَرُّفِ عَلَى كُلِّ مَا أَحَاطَ  
هَذَا الْكِتَابُ الْكَرِيمُ مِنْ عَنَاءٍ وَرِعَايَةٍ جَعَلْتُهُ فِيهَا بَعْدَ مَصْدَرِ كُلِّ عِلْمٍ  
وَفِكْرٍ كَمَا كَانَ كَذَلِكَ مَصْدَرُ اللَّفْظِ وَالنَّحْوِ بِكُلِّ مَا تَعْنِيهِ هَذِهِ الْعِبَارَةُ  
مِنْ مَفْهُومٍ .

## مظاهر العناية بالقرآن الكريم

لقد تناول العلماء كلمة القرآن ومعناها اللغوي بالشرح والتحليل تناولاً مختلفاً جعلهم يختلفون حياله ويتقولون فيه ما إذا كان مهموزاً أم غير مهموز ونحن هنا لا يعنيننا هذا الأمر ولا يهمننا تفصيل القول فيه بأكثر من ذكر أقوى رأيين قبلاً وهما رأي اللحياني إذ يقول بهمزية اللفظ وأنه مشتق من قرأ بمعنى تلا وقد أطلق المصدر على اسم المفعول<sup>(١)</sup> ورأي الإمام الشافعي الذي يرى أنه اسم وليس بهموز ولم يؤخذ من قرأ ولكنه اسم وعلم على التزليل<sup>(٢)</sup> وذلك لأن الخوض في تفصيلات هذا الموضوع بأكثر مما قلنا لا يعود على البحث بأية فائدة .

وأما معناه الاصطلاحي فهو كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي ، المنقول بالتواتر والكتوب في المصاحف المبدوء بصورة الفاتحة ، المختوم بسورة الناس<sup>(٣)</sup> .

وإن أروع ما في تاريخ القرآن الطويل أنه أحيط بسياج متين من الحفظ والصيانة بشكل لم يتوفر لغيره من الكتب السماوية على الرغم مما تعرضت له الأمة الإسلامية من قذورات وفتن ومنازعات ، ولا عجب في ذلك فقد أنزله الله العلي القدير وتمهد بحفظه وصيانته حيث قال :  
( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )<sup>(٤)</sup> .

ولقد تحققت هذه الصيانة التي أشرنا إليها في ثلاثة أمور هي :

- 
- (١) الاتقان للسيوطي - ١ ص ٥٠ الطبعة الثالثة ١٩٥١ طبعة الحلبي .
  - (٢) المستدرک للحاکم - ٢ ص ٢٣٠ - مع القرآن للباقری ص ٦٦ .
  - (٣) أصول الفقه الاسلامي زكي الدين شعبان ص ٣٠ .
  - (٤) سورة الحجر آية ٩ .

لجمعه وكتابه وإعجابه وقد حظي القرآن من كل هذا بما يستحق أن  
نسجله له ونتحدث فيه .

ففي جمعه مثلاً وجدنا المسلمين يولونه جل اهتمامهم وعظيم رعايتهم فقد  
كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعرض على الصحابة كل ما يتلقاه من  
الوحي فيحفظونه ويكتنونه في صدورهم ، ثم يأمرهم زيادة على هذا  
بكتابه حيث وجدناه يخصص من أجل ذلك عدداً منهم أطلق عليهم  
كتاب الوحي وهم الخلفاء الأربعة وخالد بن الوليد وثابت بن قيس  
وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وفي هذه المهمة  
يقول زيد : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن  
من الرقاع <sup>(١)</sup> وروى البخاري عن البراء قال : لما نزلت آية :  
(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ) <sup>(٢)</sup> قال النبي : ادع لي زبداً وليجئء باللوح والدواة  
والكتف ثم قال : اكتب لا يستوي القاعدون . . . الخ <sup>(٣)</sup> .

وقد روي كذلك عن ابن عباس قوله : كان رسول الله إذا نزلت  
عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال : ضعوا هذه السورة في الموضع  
الذي يذكر فيه كذا وكذا <sup>(٤)</sup> .

وحرصاً من الرسول عليه الصلاة والسلام على ما يكتب من القرآن  
فقد نهى عن كتابة أي شيء آخر معه في صفحة واحدة حتى لا يشبهه

---

(١) المستدرك للحاكم - ٢ - ص ٦١١ .

(٢) سورة النساء آية ٩٥ .

(٣) البخاري - ٦ - ص ٢٢٧ .

(٤) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري ص ٢٧ - ١٠١ .

أمره على القارىء حيث قال : لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن (١) .  
لذا لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يتلقى وحى الله دون أن يحيطه  
بالحرص والتمكين والرعاية وكيف لا يكون ذلك وهو الرسول الأمين  
المكلف بتبليغ ما يوحى إليه إلى الأمة التي تنتظر التشريع لتهتدي به  
وتسلك بنوره مسالك الخير والهدى والرشاد .

ثم إن هذه الرعاية لم تتوقف بموت الرسول عليه الصلاة والسلام  
بل ظلت هي هي في عهد أبي بكر الصديق الذي أقدم هو الآخر على جمع  
القرآن وتثبيت محفوظه في الصدور فقد كانت موقعة اليمامة التي وقعت  
بين المسلمين والمرتدين بقيادة مسيلة الكذاب دافعاً إلى هذا الجمع والحرص  
عليه حيث فزع إليه عمر بن الخطاب قائلاً : إن القتل قد استحر يوم  
اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن  
فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن (٢) .

ويفاجأ أبو بكر بمثل هذا الطلب ويمجب من إقدام عمر عليه  
فيقول له : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟  
فيجيب عمر : هذا والله خير .

ويريد الله لمشيئته أن تنفذ فيلح عمر على أبي بكر حتى شرح الله  
صدره لذلك فنراه يكلف زيد بن ثابت في هذا الأمر بقوله : إنك  
رجل شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله  
فتتبع القرآن واجمه ، فيقول زيد : فوائده لو كلفوني نقل جبل من  
الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن قلت : كيف

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي - ١ ص ٥٧ .

(٢) صحيح البخاري ٢٢٦ - ٦ .

تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري .

وفي الواقع لم يكن اختيار أبي بكر لزيد كيما يؤدي مثل هذه المهمة مجرد مجاملة له أو مجرد اختيار خال من أي معنى أو مقصد فقد جاء في تكليف أبي بكر له قوله : « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن واجمه ، »<sup>(٢)</sup> .

من هذه العبارة نلاحظ أن الخليفة قد رأى فيه من المؤهلات ما يرشحه لمثل هذا العمل ويجعله جديراً به ، فشباب زيد وفتوته ونضجه وأمانته بالإضافة إلى كونه من كتاب الوحي وقد مارس العمل وعاش فيه ، كل هذا كان كفيلاً في نظر الصديق لأن يؤهل زيدا للقيام بعمل كهذا .

ولعل أروع مظهر لعناية أبي بكر في جمع القرآن الكريم قوله لعمر وزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه<sup>(٣)</sup> وإذا كان أبو بكر كذلك فإن عثمان رضي الله عنه لم يكن بأقل منه إخلاصاً في هذا الجانب فعندما نمي إليه أن المعلمين والعلماء يختلفون في القرآن حتى كادوا يقتتلون قال لهم : عندي تختلفون وتكذبون به وتلحنون فيه ، يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً يجمعهم<sup>(٤)</sup> .

(١) المسند للامام أحمد - ١ ص ٧٧ .

(٢) صحيح البخاري - ٢ ص ٢٢٥ .

(٣) الاقنات في علوم القرآن للسيوطي - ١ ص ٥٨ طبعة الحلبي .

(٤) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه لمحمد بن طاهر الكردي ص ٥٠ .

ويترجم القول إلى عمل فيرسل إلى حفصة يقول لها : أرسلني إلينا  
الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلتها واختار لهذا  
النسخ ثلاثة أنفار قرشيين هم : عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص  
وعبد الرحمن بن الحارث ومعهم زيد بن ثابت ويوصيهم بقوله : إذا  
اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما  
نزل بلسانهم (١) .

وتنسخ المصاحف وتكتب من خلال ضبط وتوثيق لأمثيل لها وأقل  
ما يدل عليها أن عثمان رضي الله عنه قد طلب من الناس أن يأتي كل  
منهم بما لديه من القرآن فكانوا ييمينون بالآيات مكتوبة على ورق أو  
أديم حتى إذا تجمع لديه كثير منها دعا أصحابها رجلاً رجلاً فناشدهم : أسمعت  
رسول الله ﷺ ، وهو أملاه عليك فيقول : نعم ، فلما فرغ من ذلك  
قال : من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول الله زيد بن ثابت قال :  
فأي الناس أعرب ؟ قالوا سعيد بن العاص قال فليملل سعيد وليكتب  
زيد (٢) .

وإذا كان هذا أمر الجمع فإن أمر الكتابة هو كذلك حيث تجلس  
هذا في تخصيص طريقة معينة لكتابة المصاحف الشريفة عرفت بالرسم  
العثماني . وقد تعرضت هذه الطريقة لآراء شتى حول ما إذا كان من  
الجانز تغييرها واستبدال الكتابة الإملائية بها ، وإن ما جرى حول  
هذه المسألة من خلاف ليدل دلالة أكيدة على مدى العناية بهذا الكتاب .  
ولكن إلى أي مدى من التقديس أحاط السلف به هذا الرسم ،  
وإلى أي مدى يجب علينا نحن أن نتمسك بهذا الرسم ونحتفي به ، وهل

(١) البخاري - ٦ ص ٢٢٦ .

(٢) من تاريخ القرآن لمحمد بن طاهر الكردي ص ٥٩-٦٠ .

من الجائز أن توجد هوة عميقة بين كتاب الله ومن يتخرجون في المدارس والجامعات ولا يكادون يحسنون قراءة القرآن الكريم ، فيقع المحذور ويأخذون بالتخبط واللحن الذي لا يجوز في آيات الله وكتابه .

للإجابة على هذا السؤال نقول : يرى جمهور العلماء أن الرسم الذي ورد في المصاحف العثمانية لا يجوز أن تستبدل به طريقة الرسم الحديثة التي يكتب الناس بها كتبهم ورسائلهم وأنه من الواجب الالتزام بالرسم العثماني .

ولقد ذهب الإمام مالك إلى مثل هذا الرأي ولم يجز كتابة المصحف إلا بالطريقة التي كتب عليها وقد قال عندما سئل عن جواز كتابته بغير ذلك : لا ، إلا على الكتبة الأولى (١) .

ويرى بعض العلماء عكس ذلك إذ يجوزون أن يكتب المصحف بما أحدثه الناس من الكتابة المعهودة ومن هؤلاء القاضي أبو بكر الباقلاني حيث يقول : كل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه وأنتى له ذلك ؟ فإنه ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع (٢) ، وفي هذا يرى العز بن عبد السلام أن العامة لا يستطيعون بل لا يقيمون قراءة القرآن بالرسم العثماني فحتمى لا يقعوا في اللحن فيه أو إشاعة الخطأ في آية فيجوز كتابة القرآن لهم باللغة التي يفهمونها مع الحفاظ على الرسم العثماني ليقراه من يستطيع ذلك من خاصة الناس وعلمائهم (٣) .

وفي الرأي الراجح بعد أن عرضت لآراء الفريقين أن الرسم العثماني

(١) الاقنات في علوم القرآن للسيوطي - ٢ ص ١٦٧ .

(٢) مناهل القرآن للزرقاني - ١ ص ٣٧٤ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٧٨ بتصرف .

ليس أمراً توقيفياً ، ومن ثم لا يجوز أن نخطئه بهالة التقديس التي أرادها له بعض العلماء كما يقول الدكتور صبحي الصالح (١) ، غير أنني في الوقت ذاته أرى المحافظة عليه لا لكونه توقيفياً ولا لأنه أثر يجب المحافظة عليه ليعمل به الخاصة من الناس كما يرى العزبن عبد السلام وإنما لانطباعه في أذهان الناس ولتعودهم عليه وللتمييز الذي حصل بوساطته بين القرآن وغير القرآن .

وأرى كذلك أن من الأفضل كتابة القرآن بالرسم الذي عهد عليه وأن تلقى هذا الرسم للمتعلمين كقواعد إملائية ليعتادوها وتنطبع عليها عيونهم فئامن بذلك زلتهم! في قراءة القرآن وتلاوته .

ولعل في ضرورة الاهتمام بما يرى صحابة رسول الله - والرسم العثماني مما رأوه - ما يبرر تفضيلنا لهذه الطريقة أما أنه أمر واجب لا يجوز المدول عنه فهو حكم لا تختمه النصوص والآراء التي أوردتها أصحاب هذا الرأي . إذ ليس فيها زجر الإثم ووعيده ولا نهي الحرام وتهديده وإنما قصارها الدلالة على جواز الكتابة بالرسم العثماني ووجاهته ودقته ، وذلك على اتفاق وتسلم (٢) .

وأما عن نقط القرآن وشكله فقد مر بنا أن العرب كانوا ينطقون فيعربون دون الاعتماد في ذلك على قواعد حتى إذا ما كثرت الفتوحات الإسلامية واختلط العرب بغيرهم انحرفت ألسنتهم وانتقل هذا الانحراف إلى كتاب الله فيها هو ذا الخطأ والتصحيف ينتشر في العراق انتشاراً يلفت النظر فقد ظل الناس كما يقول أبو احمد العسكري يقرؤون

(١) مباحث في علم القرآن ص ٢٧٥ ط الرابعة .

(٢) مناهل القرآن للزرقاني ص ٣٧٣ - ١

القرآن في مصحف عثمان بعضاً وأربعين سنة حتى خلافة عبد الملك ،  
وحينئذ كثرت التصحيفات وانتشرت في العراق (١) .

ولعل السبب في ذلك هو أن القرآن الكريم كان خالياً من  
الشكل أو النقط اللذين لم يكونا معروفين في الغالب عند العرب مما  
كان عاملاً من العوامل التي جعلت الألفاظ تختلط على الناس وبالتالي  
يقعون في تحريفها أو تصحيفها وهذا ما أفزع الخلفاء والولاة فلجأوا إلى  
خاصتهم وكتائبهم يطلبون منهم وضع قواعد تحفظ على الناس قراءتهم  
وتبعدم عن إثم الخطأ وعاقبة التحريف في كتاب الله .

وقد مر التحريف كما يبدو بمرحلتين زمانيتين وضع الشكل في  
أولهما كما وضع النقط في الثانية ولكل مرحلة رجال قاموا بها وظروف  
دفعتهم إلى ما قاموا به ففي عملية الشكل وتعليل الاقدام عليها روي أن  
أبا الأسود الدؤلي قد سمع أعرابياً يقرأ قوله تعالى : ( أن الله بَرِيءٌ  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ) (٢) يجر لفظ رسول فعظم ذلك لديه ففزع  
إلى زياد بن عبيد الله حيث أبدى له استعداداً للقيام بوضع ما يضبط  
كلام الناس وهو العمل الذي سبق وان رفض القيام به ولكنه الآن  
يطلبه بنفسه فيوافقه زياد ثم يطلب منه أبو الأسود أن يعين له كاتباً  
ولما تم له ذلك : قال لكاتبه إذا رأيت شفتي تفتح بالحرف فضع نقطة  
فوقه وإن رأيتها تكسرانه فضع نقطة أسفله وإن رأيتها تضمانه فضع  
نقطة بين يدي الحرف ، وهكذا تم لأبي الأسود ذلك (٣) ثم تطورت

(١) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٩٠

(٢) سورة التوبة آية ٣ .

(٣) مناهل القرآن للزرقاني ج ١ ص ٣٩٩-٤٠٠ بتصرف .

طريقته إلى ما نسميه الآن بالشكل والضبط بالحركات (١) .

وأما عن نقط القرآن فقد ذكر في وضعه عدة رجال هم الحجاج  
ابن يوسف وزيايد ابن عبيد الله وأبو الأسود الدؤلي (٢) ونصر بن عاصم  
ويحيى بن يعمر (٣) وقد قيل في تعليل وضعه ان الحجاج قد فزع من  
التصحيف الذي وقع في العراق فأمر نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر  
بالقيام بهذا العمل وامثل الرجلان امر الحجاج .

وقيل ان ابا الأسود هو الذي طلب إليه ذلك من قبل عبد الملك  
ابن مروان (٤) .

ومن هذا التداخل بين مرحلي الشكل والنقط ما رأيناه فيها من  
خلط وتقول حيث يقال ثارة : ان أبا الأسود هو الذي نقط القرآن  
ثم لا يلبث أن يقال أنه الذي شكله ثم تفيدنا رواية أخرى تقول بأن  
الحجاج هو الذي أمر نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بنقط القرآن  
كما يقال أن عبد الملك بن مروان أمر أبا الأسود بذلك ثم نجد رواية  
أخرى تحدثنا بأن زياد بن سمية أمر أبا الأسود ، فمن ياترى أمر بنقط  
القرآن ؟ ومن الرجال الذين أمرهم بذلك فامثلوا امره ؟ ومن هو الذي  
شكل القرآن وأمر بذلك على التحقيق ؟ .

أقول من وسط وخلال هذا التداخل والتشابك أن زياد بن عبيد  
الله والحجاج بن يوسف وأبا الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم ويحيى بن

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٧١

(٢) مناهل القرآن للزرقاني - ١ ص ٤٠٠

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) الاتقان - ٢ ص ١٧١ .

يعمر رجال قد تضافرت جه-ودهم لوضع ما أمروا به من شكل أو  
نقط ، وهم حقيقة أصحاب هذا العمل الخطير ولا يجوز أن نتمسك  
برواية معينة لنثبت العمل لشخص وننفيه عن آخر .

ولكن تفصيلاً للحقيقة التي رأيتها من خلال بحثي أرى أن هؤلاء  
الرجال قد اشتركوا بالفعل في أداء هذا الصنيع سواء من امر فيهم بذلك  
او من نفذ ما أمر به ، وما الخلط الذي ورد في الروايات إلا لأن  
الرواة كما يقول بعض الفضلاء قد نظروا إلى عمليتي الشكل والنقط  
على انها عمل واحد رغم أنها عملان مختلفان . فقد نسبوا الشكل إلى  
من قام بالنقط كما نسبوا النقط إلى من قام بالشكل فاضطربت الروايات .

وهنا أقول : ان الحجاج بن يوسف هو الذي أمر بالفعل بنقط  
القرآن وليس عبد الملك بن مروان كما قيل وإذا تلمسنا توفيقاً بين  
الروایتين فنرى أن امراً كنقط القرآن ليس بالأمر السهل الذي يجرؤ  
الحجاج على فعله دون أن يأخذ رأي الخليفة فيه فلا بد إذن من أن  
الحجاج قد استأذن عبد الملك بن مروان بذلك ووافق هذا على الأمر  
وأذن للحجاج به وعلى ذلك يكون عبد الملك هو الأمر المجازي  
والحجاج هو الأمر الحقيقي ولكن الكارهين له كما يبدو أرادوا أن  
يحولوا عنه هذه الفضيلة فنسبوها إلى عبد الملك مجرد ملابسة استئذانه  
بذلك بصفته خليفة للمسلمين .

ويؤيد ما أقول ان الحجاج كان في العراق وما نقط القرآن إلا  
لتصحيف أهل العراق لأنهم اول من اوقعوا هذا وعليه يكون  
الحجاج اسبق من غيره إلى الإحساس بخطورة هذا الأمر والشعور المباشر  
بضرورة معالجته قبل استفحاله ، وهذا كله بالإضافة إلى أن اكثر  
الروايات تشير إلى الحجاج على أنه الذي قام بهذا العمل .

وأما تنفيذ نقط القرآن فأرى حصره في نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر كما تنص الروايات ، ولا مانع من أن يكونا قد اهتديا بأبي الأسود وبصفته استاذاً لهما ، ولكن يجب أن نبعد عن أبي الأسود كونه نقط القرآن أو أسهم في ذلك وما النقط الذي فعله إلا تشكيلاً إعرابياً لا تمييزاً بين الحروف (١) كما يعنيه اعجام الحروف ونقطها .

وملخص ذلك أنني أرى حصر عملية القرآن بالحجاج أمراً بذلك وبنصر بن عاصم ويحيى بن يعمر منفذين لهذا الأمر وبذلك نخلص من خلط الروايات وكثرتها وأمامسألة الشكل فرجالها ثلاثة وهم عبيد الله ابن زياد وأبو الأسود الدؤلي والخليل بن احمد ولا علاقة لغيرهم بها .

وأما عن دور ابن زياد في هذا الموضوع فهو دور الأمر به المقترح له فقد روى انه طلب من أبي الأسود أن يقوم بعمل كهذا فأبى أبو الأسود في البداية حتى كان ما بينه وبين الأعرابي كما تقدم .

وقيل ان زياداً قد تأمر على أبي الأسود فأوعز إلى رجل من أتباعه ليقف في طريق أبي الأسود ويعمد إلى الخطأ في الآية المتقدمة . وعلى كل فهذا كان السبب فإن أبا الأسود له دور المنفذ في مسألة التشكيل حيث قام بما طلبه منه ابن عبيد الله فوضع نقطاً على الحروف وبين أيديها وهو ما نسميه الآن بالحركات (٢) .

ولعل تسمية أبي الأسود لكل منها بالنقطة كانت سبباً في الاشتباه في أنه قد نقط القرآن علماً بأن ما فعله أبو الأسود لم يقصد به

(١) أحسن الحديث للدكتور البوطي ص ٤٦ .

(٢) الاتقان للسيوطي ج ٨ ص ١٧١ .

تُمييز الحروف المهملة من المعجمة كما هي وظيفة النقط وإنما كان يراد به الشكل الذي يقوم مقام الفتح والكسر والضم منعاً من اللحن في القراءة (١) وانا لنجد في نسبة وضع النحو وقواعده إلى أبي الأسود ما يؤيد كون نقطه للقرآن تشكيلاً لا إعجازاً .

وأما دور الخليل بن أحمد فهو دور المحسن والمطور لما فعله أبو الأسود إذ يبدو أن ما فعله هذا لم يكن بمنع لتيار التصحيف منعاً يجعل العلماء يقفون عند عمله ولا يحاولون تحسينه أو تطويره .

لذا وجدنا الخليل بن أحمد بما أعطاه الله من عقلية فذة وذكاء نادر يتقدم إلى مثل هذا الصنيع فيطور ما فعله أبو الأسود فيغير النقط فوق الحروف وهي الفتحة ألفاً مسطوحة وجعل الكسرة ياء تحته والضممة واواً في أعلى الحرف كما وضع علامات للمد والتشديد تطورت فيما بعد إلى ما نعهده الآن من علامات وأشكال (٢) .

وبكل ما تقدم مما ذكرناه حول القرآن الكريم يتبين لنا مدى الجهد الذي بذل في سبيل حفظ هذا الكتاب ليتحقق فيه وعد الله إذ قال: ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّارَاتِنَا الذَّاكِرَاتُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) (٣) .

وبذلك كله أيضاً لانجد عجباً إذا ما كان القرآن هو أوثق المصادر وأصحها وأضبطها في مجال كل علم وفكر وبخاصة علوم اللغة بكل أنواعها وفنونها .

(١) أحسن الحديث للدكتور البوطي ص ٤٦ .

(٢) أصول الفقه الاسلامي لزي الدين شمان ص ٤٣ بتصرف .

(٣) سورة الحجر آية ٩ .



# الباب الأول

## القرآن الكريم أول مصادر النحو

٤١ - ١٣٨

### وفيه فصول

الفصل الأول : المذاهب النحوية ومواقفها من الاستدلال بالقرآن الكريم

الفصل الثاني : القرآن في المناظرات والمجالس النحوية

الفصل الثالث : القرآن في معضلات النحو وطرائفه

الفصل الرابع : أخطاء العامة ولحونها في ميزان القرآن



## التمهيد

لقد تناول تأثير القرآن في العقلية العربية أكثر من مظهر من مظاهر الفعل ومناحي التفكير ، إذ لم يقتصر هذا التأثير على تغيير عقيدة العرب وصهر عقولهم كما تستسيخ ما جد من أفكار إسلامية وعقائدية بل تعدى التأثير إلى أكثر من ذلك ، حيث أصبحت عقول العرب أكثر تفتحاً وانفتاحاً على ما يحيط بها من عوالم فكرية جديدة وآفاق علمية واسعة .

فقد استطاع القرآن بما حوى من فصاحة وبلاغة وأدب وعلم وقصص وتاريخ أن يجعل من هؤلاء الأعراب رجالاً مفكرين قادرين على أن يضعوا لظواهر الطبيعة قواعدما ونظرياتهما حتى رأينا فيهم الفلاسفة والأدباء واللغويين والعلماء ولا غرو في ذلك فقد جذبهم القرآن إلى أسرارها فالتفوا حوله يفسرون آياته ويحللون غرائبها ويتعرفون على أساليبه الرائعة يولدون منها قواعد البيان والبلاغة ، كما التف الفقهاء على مبادئه يستنبطون منه أحكام الله وتشريعه ، وذهب اللغويون والنحاة يضعون من خلال آياته قواعد الفصاحة والسلامة .

وبذلك كان القرآن الكريم أكبر مولد لحركة فكرية عرفت للعرب عبر تاريخهم الطويل .

إذ خرجوا على العالم بعلوم كانت ولا تزال منارة للفكر واشماعاً للهدى والخير ، وفي هذا المعنى يقول المستشرق هرتشفلد « ليس للقرآن

مثيل في قوة اقتناعه وبلاغته وتركيبه وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة أنواعها ونواحيها في العالم الإسلامي<sup>(١)</sup>.

ولهذا فقد استطاع العرب أن يولدوا من أسلوب القرآن ووحيه علوماً شتى كانت على أنواع أربعة :

- ١ - العلوم التشريعية كالفقه والحديث وأصولها .
  - ٢ - العلوم اللسانية كالنحو والصرف والبلاغة .
  - ٣ - العلوم الفلسفية كعلم الكلام والمنطق والفلسفة الإسلامية والتوحيد .
  - ٤ - العلوم العلمية التي دعت إليها الحاجة واقتضاها الفكر والتأمل في ملكوت الله وخلقه وذلك كعلم الجغرافية والتاريخ .
- وفي هذا كله نبغ كثير من العرب والمسلمين كان لهم فيما بعد الفضل العظيم على حضارة الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها .

ولعلنا نخرج عن موضوعنا لو تعرضنا لتاريخ هذه العلوم كلها ولكن حسبنا منها ما يتعلق باللغة من كل جوانبها حيث كان للقرآن الكريم دور كبير في حفظها ومواكبة مراحل بنائها حتى تمت ونضجت واكتملت. وعليه فإن لهذا الكتاب العظيم في مجال اللغة منزلة لاتضاهيها أية منزلة وليس هذا بغريب إذا عرفنا أن كل العلوم التي عرفها العرب من تفسير وبلاغة ونحو وقرارات لم تعرف إلا بعد أن نزل القرآن الكريم ، كما أن جزئياتها وشواهداها لم تكن إلا من الآيات الكريمة التي بلغ إعجازها مبلغاً جعلها تفتتح لكل فن ولكل علم .

---

(١) أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والاسلام لعلي الجندي ومجموعة ص ٣٣٦

ولما للقرآن من قدسية في النفوس ولما يحتوي عليه من أساليب رائعة لا يتطرق إليها الباطل بأي حال لأنها من كلام الله الذي يستحيل أن يناله الخلل أو تجافيه السلامة ، رأينا العلماء كما ذكرنا يتجهون إلى القرآن وينهلون من مناهله معتقدين أنها أسانيد قوية لإثبات آرائهم وقواعدهم .

ولقد كان من هؤلاء العلماء علماء اللغة الذين اعتمدوا في جمعها على مصادر كثيرة كان القرآن أهمها وأولها لما فيه من مفردات واستعمالات كانت أصح مصدر لهم (١) .

ومن هنا يتبين لنا أن للقرآن في اللغة منزلة لم تكن لتضاهيها أية منزلة لأي مصدر آخر ، فقد استنهى والاطمئنان إليه وتواتره تواتراً يقطع بصحته ، كل ذلك كفيلاً بأن يهيب له أسباب الثقة به والاعتماد عليه . ومن هنا كانت الصلة التي ربطت كتاب الله بعلم النحو وعلامته حيث اتخذ منه هؤلاء العلماء مناراً يتمدون به في صناعة قواعدهم وضبط آرائهم وميزاناً يحكمونه في صحة نظرياتهم واتجاهاتهم .

وقد كان القرآن هكذا في كل ما يتعلق بهذا العلم سواء في مذاهبه أو علامته أو مشكلاته أو قواعده ومناظراته .

وبتتبع لكل مراحل العلاقة التي ربطت بين القرآن الكريم وعلم النحو لانجد من خلاله أن هذه العلاقة لا تعدى كونها تأثيراً للقرآن في نشأة هذا العلم فقط بل تعدت ذلك إلى أكثر وأكثر ، حيث ظل تأثير كتاب الله فيه ملازماً لشق مراحلها منذ أن نشأ إلى أن تم ونضج .

---

(١) ضحى الاسلام أحمد أمين ج ٢ ص ٢٥٥ .

لما أن وضع أبو الأسود أسس هذا العلم حتى وجدنا تلامذته أمثال  
عنبسه الفيل ويحيى بن يعمر ونصر بن هاصم وميمون الأقرن وعطاء  
ابن أبي الأسود يتلقون عنه هذه الأسس ويتعلمونها (١) .

ولم ين هؤلاء الرجال في مدارس النحو واستنباط قواعده وتوسيع  
مسائله قاصدين بذلك خدمة اللغة وخدمة القرآن الكريم .

ولعل في مراقبة يحيى بن يعمر للحجاج وملاحظة لحنه في القرآن  
دليلاً على أن هذه الطبقة كانت تجتهد ما تعلمته من مسائل النحو في سبيل  
خدمة كتاب الله وتجنبيه كل خطأ أو لحن ، فقد روي أن الحجاج قد سأله  
يوماً أسمعني ألحن فقال له يحيى : نعم في حرف واحد قال : في أي ؟ قال :  
في القرآن الكريم . قال الحجاج : ذلك أشنع ، ثم قال له ما هو ،  
قال : تقول : ( 'قل' إن كان أبؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم  
وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتتموها وتجارةٌ نخشون كسادها ومساجنٌ  
ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ) (٢) فتقرأ أحب بالرفع ، قال  
الحجاج لا جرم ، انك لا تسمع لي لحناً بعد هذا ، ثم ألحقه بخراسان (٣) .

ومن خلال آراء العلماء التي دارت حول آيات القرآن الكريم ، رغم  
قلتها نستطيع أن نخرج بدليل يبين لنا مقدار تأثير هذا الكتاب في  
أفكارهم واستحواذه على فئهم وعلمهم وخاصة إذا تتبعنا آراءهم وقراءاتهم  
التي اقتصروا بها ونسبت إليهم وكانت لها علاقة بوجوه نحوية أو لغوية .  
ونترك طلبة أبي الأسود ونمضي بالزمن قليلاً فيفجؤنا علماء أفذاذ

(١) من تاريخ النحو للأفغاني ص ٢٩ .

(٢) سورة التوبة آية ٢٤ .

(٣) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٤ ص ٦٥ ط روضة الشام .

تلقوا النحو عن تلاميذ واضعه فكانوا بمجموعهم طبقة ثانية امتازت عن سابقتها بكثرة العدد وغزارة البحث وإضافة كثير من القواعد استطاعوا بها أن يؤلفوا المصنفات ويدونوا الكتب (١) .

ومن رجال هذه المرحلة عبد الله بن إسحق الحضرمي ، وأبو عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر ، وقد نشط هؤلاء كما قلنا في مجال البحث حيث تمخض هن ذلك نتاج نحوي عظيم توارثه الخلف فيما بعد فسجلوه ودونوه وأيدوه أو رفضوه .

وقد كان للقرآن في هذا النتاج أثره البين الواضح حيث رأينا هؤلاء العلماء يبدون ما يرونه في آيات الله من وجوه إعرابية ونحوية ، من ذلك مثلاً ما قيل في قوله تعالى : ( يا جبالُ أوتبي مَعَهُ والطَّيْرُ ) (٢) حيث اختار عيسى بن عمر وأبو عمرو ويونس والجرمي نصب الطير وهي قراءة العامة بينما يختار غيرهم كالحليل وسيبويه والمازني رفعه وبذلك قرأ الأعرج (٣) .

ويختلف النحاة في إعراب آي الله ومواقع لمعاتها فنجد هؤلاء يدلون بدلائهم فيما اختلف فيه فما هو ذا عيسى بن عمر يقرأ بنصب السارق من قوله تعالى : ( والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ ) (٤) وكذلك الزانية في قوله ( الزَّانِيَةُ والزَّانِي ) (٥) بينما يقرأ غيره من الناس برفع هذين الاسمين (٦) .

(١) نشأة النحو لمحمد الطنطاوي ص ١٨

(٢) سورة سبأ آية ١٠ .

(٣) المقتضب للمبرد ج ٤ ص ٢١٢ .

(٤) سورة المائدة آية ٣٨ .

(٥) سورة النور آية ٢ .

(٦) اعراب القرآن للزجاج ج ٣ ص ٩٣٧ - ٩٣٨ .

وبيننا نجد عامة القراء يجمعون على رفع البحر من قوله تعالى :  
( وَالْبَحْرُ يَمْدُهِ ) (١) نجد منهم من يقرأ بنصبه وذلك كأبي عمرو  
ابن العلاء (٢) .

وفي قوله تعالى : ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) (٣) برفع  
كلمة أظهر على أنها خبر لهؤلاء وهي مبتدأ ولكنها نجد عيسى بن عمر  
وابن أبي إسحق وغيرهما يقرأنها بالنصب (٤) في الوقت الذي يضعف فيه  
سبويه هذه القراءة بيننا يصححها ابن جني بتفخريج أظهر على أنها حال  
من هن أو بناتي والعامل فيه معنى الإشارة (٥) .

وهكذا نجد هذا الرعيل من العلماء ممن أسهموا في نشأة النحو  
وتوسيع مسأله ينكبون على آيات الله ويعملونها مهم الشاغل ويبدون  
فيها ما يكشف الله به عن بصائرهم فيجادلون ويناقشون وكل ذلك في سبيل  
توطيد النحو وتدعيمه حتى يكون محجة يمتدي بها اللسان في قراءة  
القرآن وتلاوته .

ولم يكن حظ هذا العلم من جاء بعد هؤلاء بأقل نصيباً منهم ، فقد  
دخل في عهدهم مرحلة جديدة من مراحل تكوينه فعندما انتهى العصر  
الأموي وابتدأ العباسي بدأت السليقة بابتدائه ترتبك مما جعل اللحن  
يشيع بشكل لم يعهد في المجتمع الأموي ، الأمر الذي جعل الناس  
يقبلون بلهفة على دروس النحو وحلقاته ، وقد قبض الله له من جمع

(١) سورة لقمان آية ٢٧ .

(٢) اعراب القرآن ج ٣ ص ٩٣٩ للزجاج .

(٣) سورة هود آية ٧٨ .

(٤) اعراب القرآن للزجاج ج ٢ ص ٥٤٤ - المحتسب لابن جني ج ١ ص ٣٢٥

(٥) المحتسب لابن جني ج ١ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

مسائله ودققها ونقحها بعمق وإخلاص ، ولم يقتصر هذا الصنيع على البصرة فقط بل أسهمت الكوفة في ذلك أيضاً ، مما أكسب النحو حياة جديدة امتازت بخصوبة ونماء ، فعلى يدي شيخ البصرة وعبقرها الخليل بن أحمد انتشر النحو انتشاراً واسعاً فقد ابتدع هذا الرجل الرحلة إلى الصحراء ومشافهة الأعراب والأخذ عنهم مباشرة ثم العودة إلى البصرة وتمييز المسائل ووضع قواعد لها ، وبالمثل كان الكسائي شيخ الكوفة ورئيس أول طبقة فيها فقد شمر هو الآخر عن ساعد الجهد والتف أهل الكوفة حوله يعبون من علمه ومعرفته حتى أصبح هذا العصر يحق أزهى عصور الفكر الإسلامي حيث كثرت فيه الرحلات والمناظرات والتأليف المنوعة ، كما ازدادت المنافسة واحتدم أوارها بين البلدين ، فالبصرة قد رسخت أقدامها في هذا المجال وضربت فيه جذوراً أصيلة ، والكوفة تسمى لأن تلحق بمنافستها وقد زادت المنافسة بينهما زيادة جعلت الطرفين يتدافعان لحوز السبق على الآخر بما يحصل عليه من أدلة وأقيسة وشواهد ، جعلت هذا العلم يفتشر ويزدهر وتتفرع أصوله وتتضح مسائله نضوجاً أدى إلى خلق حركة فعالة أثارت الأذهان وفتقت العقول عن اجتهادات كثيرة وعظيمة كان لها الأثر الكبير في إيجاد مكتبة نحوية تعتبر كنزاً ثراً في المكتبة العربية .

ولم يكن القرآن وسط هذا الزخم الفكري بمنأى عنه بل كان المحرك لكل ذلك إذ لم ينشط العلماء في مجال اللغة والنحو وجمع مسائلها إلا عندما رأوا اللحن يشيع في السنة القوم شيوعاً لم يقف عنده بل تمدها إلى القرآن كما ذكرنا آنفاً .

لذا لا نجد عجباً في أن تقوى حركة هذا العلم وتتناسب قوته هذه مع مقدار شيوع اللحن وقدر الخوف منه على كتاب الله .

ونحن إذا تتبعنا هذه المرحلة من مراحل علم النحو نجد أن علماءها قد جعلوا القرآن مادتهم التي يدورون حولها في مناظراتهم ومناقشاتهم وقواعدهم ، ولا غرو في ذلك فانقرآن كلام الله ، وهل بعد كلام الله كلام توضع فيه ثقة المرء ويتخذ منه دليل على قوامه اللسان وصحته؟! فلقد كان القرآن إذن ، الحديث الذي يتحدثون فيه والدليل القاطع الذي يؤيدون به أقوالهم وآراءهم :

فالخليل بن أحمد وأبو جعفر الرّوامي ويونس رجال أسهموا في هذا المجال إسهاماً كبيراً كما اتخذوا من القرآن الكريم مادة خصبة لأرائهم وأفكارهم .

ولم يكن أبرز علماء المصريين سيديويه والكسائي بعبدين عما كان عليه سابقوهما ممن ذكرنا فقد كان الأول يمثل البصرة بشموخها العلمي وسبقها الفكري كما كان الثاني يمثل الكوفة بنشاطها الجاد وحركتها الدائبة وهما في الجانبين زعياً مدرستيها . وبفضلها اشتد أوار التنافس بين قطريها فتراهما يتداعيان للمناظرة ويترقب كل منها غلبة الآخر فينمو النحو بذلك ويرقى وتضاف إلى بنائه لبنات ولبنات والقرآن في كل هذا وذاك حجر البناء الأساسي .

وتتضافر كل هذه القمم في جهودها لخدمة القرآن ولغة العرب فيحيون ليلهم ونهارهم يقيدون الشوارد ويتصيدون الأوابد ويحبرون ويدونون ويتبارون فيما بينهم فتنمعد الندوات وتنفض لتنعقد فاجتمع لهم بذلك من قواعد النحو ما زخرت به الكتب وامتألت بشماعه بطون الأسفار ، حتى إذا ما تلاشى هؤلاء الرجال واستلم الأمانة من بعدهم رجال ورجال دخل هذا العلم في دور التنقيح والشرح وفصل مسائله بعضها عن الآخر

حيث كان نحوها يختلط بصرفها اختلاطاً جعلهم يعرفون النحو بأنه علم يعرف به أحوال الكلم العربية أفراداً وتركيباً أو هو علم تعرف به أحوال الكلم من حيث الاعلال (١) .

وقد ظل كذلك حتى ابتدأ مرحلة جديدة من مراحلها ألا وهي مرحلة الكمال والتام وقد ترأس قيادة هذه المرحلة علماء من الكوفة والبصرة كالمازني وابن السكيت وثلعب والطوال والجرمي والسجستاني والمبرد والرياشي .

وقد تضامن هؤلاء العلماء وانكبوا على علم النحو يقعدونه ويعرفونه ويفلسفونه حتى كان له ما كان وتمخض عنه علم آخر قيل له علم الصرف ، حيث استقل عن النحو استقلالاً تاماً وكاملاً جعل لكل منها مباحثه وفصوله وعلماءه وكتبه ، وبهذا تم لهذا العلم أن يكتمل اكتتالاً لم يدع مجالاً لمن جاء فيما بعد أن يزيد فيه أو يضيف إليه إلا بمقدار ما يحتمله فن الاختصار والمتون ووضع الشروح والتنبيهات والترجيحات كما يدرك ذلك قراء النحو وطلابه .

وفي هذه المرحلة أيضاً وجدنا القرآن فيها منار السالكين ومحجة المهتدين ففي كل آية يدلي العلماء بدلائم فيها يحيطونها ويحرسونها بكل ما أوتوا من بصيرة يبينون إعرابها ومواضع كلماتها وما تحتمله من وجوه تيسيراً لفهمها وإعانة على إدراكها ، ولا عجب في أن يتصل آخر البناء بأوله فطالما أن النحو لولا الحشية على القرآن ما وجد فمن الطبعي إذن أن يظل هذا البناء قائماً على ذلك السبب والأساس ، ولهذا نرى علماء هذه المرحلة قد طلعموا علينا بآراء حول القرآن فمنها ما يراه المازني في

---

(١) كتاب التعريفات لعلي بن الجرجاني ص ٢٦ طبعة مكتبة لبنان .

رفع كلمة الطير من قوله تعالى : ( يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ) (١)  
وما يراه كذلك ابن السكيت من كسر عين كلمة متاع تبعاً لكلمة  
أنفسكم (٢) في قوله تعالى : ( إِنَّمَا بَفَّيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) (٣) وكذلك كثير من الآراء التي ارتأها أفراد  
عديدون مما سنوفي البحث فيها فيما بعد .

وإذا كان الأفراد هذا ديدنهم : التفاف حول القرآن واعتماد عليه  
فإن هذا كذلك ديدن المذاهب والمدارس النحوية فقد احتضنت النحو  
أقطار عديدة أکبت عليه تحلله وتشرحه وتبسطه أحياناً وتختصره  
أحياناً أخرى .

فبعد أن كانت البصرة والكوفة تهيمان على هذا العلم أخذت أمصار  
أخرى تتبناه وتحتضنه فكانت لها مدارس ومذاهب ونحو ونحاة وأساتذة  
وطلاب فهذه مدرسة مصرية وتلك أندلسية وهذه بغدادية .

ولم تكن مهمة هذه المدارس في الحقيقة إضافة ما هو جديد في بناء  
هذا العلم بل كان دورها دور التنسيق والترتيب والتهذيب ، حتى تم على  
أيديها صرح النحو شامخاً عظيماً بحيث لم يعد لجديد أن يجد كما لم يعد  
يوجد نقص ليتم أو يسد .

ولقد كان للقرآن في هذا الدور وهو دور التنسيق أثره البالغ ،  
كما كان في جميع الأدوار ، فقد تحلق الناس حول علماء هذه المرحلة  
يعبون بما أعطاهم الله من بصر بالنحو واللغة ليتمكنوا بذلك من قراءة

---

(١) سورة سبأ آية ١٠

(٢) اعراب القرآن للزجاج ج ١ ص ٣٨١ تحقيق الأبياري .

(٣) سورة يونس آية ٢٣ .

القرآن قراءة سليمة وليستطيعوا في الوقت ذاته فهم ما وصلهم من  
أدب العرب ولغتهم .

ففي بغداد ظهر ابن الخشاب وابن الشجري والجواليقي وأبو البقاء  
العكبري كما ظهر في الأندلس الزبيدي وابن القطاع الباذش وابن خروف  
وفي مصر ظهر ابن الحاجب وابن بابشاذ وأبو جعفر النحاس وابن يعيش  
وغير هؤلاء وهؤلاء ممن كان لهم الفضل الأكبر في تنقيح علم النحو  
وتجديد علمهم وفهمهم لخدمة القرآن والدين .

وإنه ليجدر بنا الآن وبعد أن تحدثنا عن مراحل البناء وواكبنا  
مسيرته وتطوراته أن نوفي البحث فنتكلم عن المذاهب النحوية أولاً  
ومواقفها من الاستشهاد بالقرآن الكريم ثم نختار من النحاة من أسهم  
في هذا البناء وكان ينتمي إلى مذاهب خاصة وأقطار معينة أو من  
وقف وقفة الحياد بين هذه المذاهب فاختر منها ما اختار ورجح  
منها ما رجح .

ولهذا نبدأ بالحديث عن مذاهب النحو في تاريخها ومناهجها ومواقفها  
حيال القرآن الكريم من حيث الاستدلال بآياته والاعتماد عليه .

★ ★ ★

## الفصل الأول

### المذاهب النحوية

#### ومواقفها من الاستدلال بالقرآن الكريم

لقد كان من الطبيعي وقد تم للنحو خلال مائة سنة من نشأته ما قد تم له من وضع ونشأة ونضج وانتشار ان تتفتق عنه آراء ومذاهب ذهبت إليها الأمصار والأقطار ورأت فيها ما رأت حسب سمعت من كلام العرب وما نبي إليها بما يحيط بها من قبائل ضاربة او راحلة ، بالإضافة إلى ما تفتقت عقول أهلها عن وجهات ومفاهيم حول آيات القرآن الكريم فما كان من نتيجة ذلك إلا أن أصبحت للنحو مذاهب شق واتجاهات عديدة عبر عنها البعض بالمدارس النحوية كما أطلق عليها آخرون - المذاهب النحوية - .

ولقد تعددت هذه المذاهب وتنوعت في اتجاهاتها ومناهجها وهو ما سنوفي الحديث فيه .

ولما كانت البصرة أول من احتضن هذا العلم ووضع مسائله وجزئياته وتبنى نقله ونشره مدة طويلة دون أن يزاحمها أحد حتى تم على يدها بناء الصرح وتشيينه فإنه لا بد من البدء بالحديث عن مذهبها وتبيين منهجها فيه ومدى اعتمادها على القرآن الكريم في كل ذلك .

## ١ - المذهب البصري ؛

لقد هيا الله للبصرة أن تكون حاضنة لعلم النحو ومشيدة لصرحه ، فلقد توفرت فيها من العوامل الطبيعية ما يسر لها أن تكون رائدة في هذا المضمار وزعيمة في هذا المجال ، فهي على مقربة من البادية حيث تقع في غربها نجد وتهامة وفي جنوبها الاحساء ومنطقة البحرين مما جعلها وقد بلغت من الحضارة آنذاك ما بلغت منتجعاً لأهل تلك البوادي يفدون إليها فيقيمون فيها أحياناً ويتخذون منها دار إقامة أو يقضون فيها فترة طويلة ثم لا يلبثون أن يعودوا لبوادئهم ليستعدوا مرة أخرى للرحيل إليها وهكذا دواليك وهم بين هذا وذاك سواء منهم من أقام أو ظعن ينقلون إليها الفصيح من القول ويشيعون في ربوعها البلاغة والبيان .

وعلى المقابل لذلك كله وجد في ربوع البصرة مجموعة من المواالي ينتسبون إلى أمم ذوات فكر وحضارة وثقافة كانت من أول من أقبل على النحو وحلقاته يصبون من روائه ونغره حتى كانوا سبباً كبيراً في تنشيط حلقاته ودروسه درساً وتدريساً وتعلماً حتى بزوا فيه وصنفوا المصنفات والمؤلفات (١) .

وليس من البعيد أن يكون هؤلاء المواالي هم السبب المباشر (لما في ألسنتهم من رطانة أثرت مع الأيام على لغة القوم) في تفكير علماء البصرة في أن يضعوا قواعد النحو وحدوده ومفاهيمه . ولقد نجحت البصرة في هذا نجاحاً كبيراً واستأثرت به مدة طويلة

(١) أطوار الثقافة والفكر لعلي الجندي ص ٤٤٣ ، ج ٢ ، في أصول اللغة والنحو

للدكتور فؤاد حنا ترزي ص ١٠٥ .

تقترب من المائة عام كانت الكوفة خلالها منشلة بتسدين الأشعار والأخبار والنوادر (١) .

وليس من سبب أو تغليل لما حققته البصرة من نجاح في هذا المضمار سوى قربها كما ذكرنا من البادية مما سبب الارتحال إليها من القبائل العربية العريقة كأسد وتميم اللتين أقامتا فيها (٢) وكان وجودهما السبب المباشر في صحة كثير مما دونه البصريون من قواعدهم .

أضف إلى ذلك وجود سوق المربرد قربها (٣) وهو سوق يعتبر في قيمته الأدبية كسوق عكاظ فقد كان الأعراب يرون فيه ويفدون إليه ويعرضون ما لديهم من قول أو بضاعة .

كل هذه العوامل الطبيعية والمادية كانت السبب الذي جعل البصرة مأوى لهذا العلم ومنشأ له حق تكون لها فيما بعد من جراء هذه الصناعة وما ذهبت إليه من آراء واستنتاجات وتحليلات مدرسة خاصة ومذهب معين أطلق عليه المؤرخون : المذهب البصري أو المدرسة البصرية .

### منهج البصرة في وضع قواعدها :

إذا أراد الباحث أن يتكلم عن منهج البصرة في وضع قواعدها فلا بد له من الإشادة أولاً وقبل كل شيء بالحذر والحيطنة اللذين كان البصريون يحيطون بها استقاهم للغة وبناءهم لقواعدها .

فقد عرف عنهم أنهم كانوا لا يأخذون للغة إلا بعد أن يستوثقوا

(١) نشأة النحو للطنطاوي ص ١٧ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٦ .

(٣) نشأة النحو للطنطاوي ص ٥٦ ، القواعد النحوية / عبد الحميد حسن ص ٧٤ .

من مصادرها ومآخذها إذ أنهم لم يكونوا ليضعوا فقتهم بالأعراب الذين هجروا البادية وأقاموا بالحاضرة وقاثرُوا بلغة أهلها تأثراً انعكس على لغتهم فنطرق إليها الخلل والاضطراب ، وكانوا في سبيل أن يحصلوا على لغة سليمة لا خلل فيها يستخفون الرحلة إلى الصحراء والـبـوادي ويقيمون فيها بين الأعراب الخالص الذين يتأكد لديهم أنهم لم يدخلوا الحاضرة أو دخلوها ولم يتأثروا بها .

ولا يقف بهم الأمر عند رحلات قصيرة ثم يعودون بل كانوا يقيمون سنين طويلة يتحملون أثناءها غربة الدار ومشقة المسار وهم في كل ذلك<sup>٩</sup> سعداء كل السعادة حيث يتيح لهم هذا الصنيع أن يحصلوا على ماتمئن إليه نفوسهم وتأنس به من أقوال صحيحة وشواهد سليمة فيقدمون بذلك إلى التاريخ لغة لاشك فيها ولا جدل حولها .

وكان ممن رحلوا إلى البادية وأقاموا بين أهلها مدداً طويلة الخليل ابن أحمد ويونس والأصمعي (١) :

وقد سأل الكسائي الخليل عما أوتيته من علم فقال له : من بوادي نجد والحجاز وتهامة (٢) .

ولعل نشأة علم النحو على أيدي علماء البصرة الأوائل كان هو السبب في حرص هؤلاء كل الحرص ، فكل جديد تكون له لذة وعزيمة يقوى بها صانعه ومنشؤه وهذا ما يفسر لنا قعود علماء الطبقة الرابعة وما بعدها أو نفورهم عن الرحلة إلى البوادي كمن سبقهم .

ويدل على ذلك مثلاً ورود شواهد كثيرة في كتاب سيبويه لم يعرف

(١) من تاريخ النحو للأفغاني ص ٦٥ .

(٢) بنية الوعاة للسيوطي ص ٣٣٦ مطبعة السعادة بمصر .

قائلها أوردت لشاعر مشكوك فيه أو مجهول ، ولعل قبول سيبويه أن يستشهد بما سمع لمجرد سماعه له يؤيد ما ذهبنا إليه من أن طبقتهم ومن بعده لم يكونوا يتحرون كما كان أسلافهم ، ومن ذلك ما أوردته المراجع النحوية من أنه يروى عن اللاحقي أنه قال سألت سيبويه عن شاهد في تعدي ( فعل ) إحدى صيغ المبالغة فعملت له هذا البيت وهو :

حذر أموراً لاتضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار<sup>(١)</sup>

ومها قيل في تبرير قبول سيبويه لذلك فإنه لا عذر له . وبهذا كله وبما عرف عن البصريين من حذر وحيطة في بناء قواعدهم رسموا مذهبهم وطبعوا به منهجهم فساروا يبنون قواعدهم بطريقة مميّزة قامت على أمور أربعة :

- ١ - الاستشهاد بما صح لديهم من أقوال العرب .
- ٢ - الاعتماد على القرآن الكريم .
- ٣ - قياس الاشياء والنظائر .
- ٤ - تعليل القواعد وتحليلها .

فأما استشهادهم بما صح لديهم فهذا نتيجة ما أشرنا إليه من حرصهم على هذا البناء وتحملهم في سبيل ذلك كل مشقة وعسر . وأما اعتمادهم على القرآن فهذا ما سأوفيه حقه من البحث عند الكلام على أثر الكتاب الكريم فيهم وفي مذهبهم وأما القياس والتعليل فقد ضربوا في هذا المجال عروقا وجذوراً عميقة ( وكان زعيمهم في ذلك الخليل بن أحمد ) وفي

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشتوني ج٢ ص ٢٩٨ مطبعة الحلبي .

ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف « وأما من حيث القياس والتعليل فقد توسعوا فيها إذ طلبوا لكل قاعدة علة ولم يكتفوا بالعلة التي هي مدار الحكم ، فقد التمسوا عللاً وراءها وقانون القياس عام وظلاله مهيمنة على كل القواعد إلى أقصى حد » (١) .

فمن القياس تكون هذا العدد الضخم من القواعد التي قنسب إلى البصريين كما تراحم عليهم من جراء ذلك التأويل والرفض والشذوذ ، وكان على مر الأيام طابعا لمذهبيهم وطريقتهم ، وكان مما جرى على قياسهم مثلا : قياس سيوييه حذف العائد من الجملة التي تقع صفة ، على حذفه من الجملة التي تقع صلة (٢) ، ويضرب لذلك مثلا قول الحارث بن كلدة :

فما أدري أغيرهم تنساء وطول العهد أم مال أصابوا

كما قاس الخليل نصب المضاف في نحو يا عبد الله لطول الكلام كما نصبوا قبل وبعد في قولهم : هو قبلك وهو بعدك (٣) .

وأما عن التعليل لبعض المفاهيم النحوية فحدث ولا حرج عن ذلك ، فقد زخرت آراؤهم التعليلية حول كثير مما رأوا من الآراء النحوية واللغوية فمن ذلك : تعليلهم لبناء لفظ الآن بقولهم : إنه مبني لمشابهته لاسم الإشارة (٤) .. وتعليلهم لرفع الفعل المضارع بشبهه بالاسم من نواح ثلاث وهي (٥) :

(١) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٨٨ .

(٣) نفس المرجع ص ٥٢ .

(٤) الانصاف لابن الأنباري المسألة ٧١ ص ٢٩٩ .

(٥) شرح المفصل لابن يعين ص ٧٦ ص ٦ الانصاف لابن الأنباري مسألة ٧٣ ص ٣١٧-٣١٨ .

- ١ - تُخصّصه بعد شيوخته ،
- ٢ - دخول لام التأكيد عليه ،
- ٣ - وقوعه موقع الاسم وتأديته لعناه .

وتلبيح نظرية العامل وإقرار البصريين لها مجالاً خصباً لعلماء هذا المذهب كي يعللوا الرفع والنصب والجر ، فنراهم لإيمانهم بضرورة وجود عامل لهذه الحالات الثلاث يتلمسون لرفع المبتدأ عاملاً معنوياً ويفترضون وجوده ويقولون : ان المبتدأ مرفوع بالابتداء فأما الخبر فيذهبون في تعطيل رفعه مذاهب ثلاثة - أولها أنه مرفوع بالابتداء كالمبتدأ وثانيها أنه مرفوع بالابتداء والمبتدأ معاً وهو رأي المبرد<sup>(١)</sup> وثالثها مرفوع بالمبتدأ<sup>(٢)</sup> .

وهكذا وفي أكثر مسائل النحو وجزئياته نجد البصريين يخوضون فيها قياسين ومعللين ، يظلمهم في كل ذلك منطق فد وتوجيه شديد .  
وبهذا النهج العظيم كذلك من قياس وتعليل وهو قدر يشترك فيه معهم الكوفيون وضعوا قواعدهم وآراءهم .

#### ١ - المذهب البصري وموقفه من الاستشهاد بالقرآن الكريم :

إن أول ما يطاتلنا من أثر للقرآن في نحو البصرة وقواعدها هو أن آياته الكريمة كانت مصدراً من المصادر التي اعتمد عليها النحاة البصريون وبخاصة الأوائل منهم وذلك سواء في بناء القاعدة أو في الاستدلال لها .

(١) الأشموني - ١ ص ١٩٤ .

(٢) الإنصاف / المسألة ٥ ص ٣١ .

ونحن إذا تتبعنا الآيات التي تناولها هؤلاء وجدناها تتخذ شكلين ،  
أحدهما تلك الآيات التي استشهد بها النحاة لتثبيت قواعد رأوها أو  
استنتاج قواعد من خلالها . وثانيها - الآيات التي كانت محل بحث بينهم  
أو بينهم وبين خصومهم الكوفيين .

فأما النوع الأول فقد أكثر منه علماء البصرة ومشاهيرهم كالحليل  
وسيبويه غير أن اعتمادهم على ذلك في بناء القواعد بناء أولياً لم يكن  
بالدرجة التي كان عليها الكوفيون ، فقد ظهر لي من خلال البحث أنهم  
كانوا يعتمدون كثيراً في ذلك على ما كان يصح لديهم من أقوال العرب  
وفما ذكر صاحب الإنصاف من مسائل الخلاف بينهم وبين الكوفيين  
ما يؤيد ذلك ، فبينما نجد الكوفيين يعتمدون في أكثر المسائل على آيات  
من القرآن وجدنا البصريين يعتمدون في ذلك على العقل والقياس وما  
يثبت لديهم من كلام العرب ، فمن ذلك مثلاً ماورد في المسألة الخامسة  
والستين في جواز العطف على الضمير المخفوض فالكوفيون يرون جواز  
ذلك ويستدلون عليه بقوله تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ  
بِهِ وَالْأَرْحَامَ )<sup>(١)</sup> يجر كلمة الأرحام عطفاً على الضمير المجرور بالباء  
ويحتج البصريون لعدم جواز ذلك بأمر منطقي فيقولون : إنما قلنا أنه  
لا يجوز ذلك لأن الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد ، فإذا عطفت على  
الضمير المجرور - والضمير إذا كان مجروراً اتصل بالجار ولم ينفصل  
عنه ولهذا لا يكون إلا متصلاً بخلاف الضمير المرفوع والمنصوب -  
فكأنك قد عطفت الاسم على الحرف وعطف الاسم على الحرف  
لا يجوز<sup>(٢)</sup> .

(١) النساء آية ١ .

(٢) الإنصاف مسألة ٦٥ ص ٢٧٤ - ٢٨٠ .

غير أن ما قلناه لا ينقص أبداً من مقدار تأثرهم بالقرآن الكريم ، فقد أثبت صاحب الإنصاف ما يدل على أنهم قد بنوا كثيراً من آرائهم على كتاب الله ، فمن ذلك ما ورد من احتجاجهم بقوله تعالى و (آتوني أفرغ عليمه فطرأ) (١) وقوله كذلك : (هأؤم اقرءوا كيتآبييه) (٢) على أعمال الثاني من العاملين المتنازعين على معمول واحد ، وهو ما كانوا يرون فيه أفضلية الأعمال من السابق فيها (٣) .

ومن ذلك أيضاً أنهم كانوا يرون جواز تقديم خبر ليس عليها (٤) مستدلين ذلك بقوله تعالى (ألا يوم يأتيتهم لئيس مصروفاً عنهم) (٥) ، فكون يوم معمولاً للخبر مصروفاً وقد تقدم عليه ، فالخبر نفسه أولى من معموله بالتقديم .

أضف إلى ذلك تلك الآراء التي كان يراها علماء البصرة وقد انفرد كل منهم بما يرى ، ولعلنا نجد هنا تفاوتاً في اعتمادهم كأفراد على آيات القرآن الكريم إذ يبدو أن الأوائل أكثر دوراناً حولها واعتماداً عليها ممن جاء بعدهم وكما يتبين لنا ذلك ومدى ما تأثر به البصريون بالقرآن الكريم أعرض لبعض الشخصيات البصرية ممثلاً لكل منهم ببضعة آراء لعلها تلقي لنا بعض الضوء على ما قلناه من أن القرآن كان له الأثر الكبير في نحو البصرة ونحاتها .

(١) الكهف آية ٩٦ .

(٢) الحاقة آية ١٩ .

(٣) الانصاف مسألة ١٣ ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) الانصاف مسألة ١٨ .

(٥) سورة هود آية ٨ .

## آراء للخليل بن أحمد :

١ - قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ )<sup>(١)</sup> يرى الخليل ويؤيده في ذلك سيبويه أن ( خيراً ) في الآية الكريمة مفعول به لفعل محذوف تقديره « وأتوا خيراً لكم » بينما يرى الكسائي أنها خبر لفعل ناقص تقديره يكن أي : فآمنوا يكن الإيمان خيراً لكم<sup>(٢)</sup> .

٢ - قال تعالى : ( يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ )<sup>(٣)</sup> وقال كذلك : ( وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ )<sup>(٤)</sup> . يرى الخليل ويؤيده سيبويه أيضاً أن الفعلين يريد ، وأمرنا في الآيتين لا مفعول لهما سواء أكانت اللام زائدة أم للتعليل وأن كلا منهما مقدر بمصدر مرفوع بالابتداء واللام وما بعدها في موقع خبر : أي إرادة الله للتبيين ، وأمرنا للإسلام<sup>(٥)</sup> .

٣ - قال تعالى : ( قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً )<sup>(٦)</sup> .

اختلف في جزم الفعل المضارع ( يقيموا ) من الآية الكريمة ، فقد قيل أنه مجزوم بالشرط المقدر بعد الأطلب كما قيل بأنه مجزوم بالأطلب نيابة عن

(١) النساء آية ١٧٠

(٢) اعراب القرآن للزجاج ج ١ ص ١٩ تعليق الأبياري - تفسير أبو السعود ج ١ ص ٤٠٠

(٣) النساء آية ٢٦

(٤) الانعام آية ٧١

(٥) المغني ج ١ ص ٢١٦

(٦) سورة إبراهيم آية ٣١

الجازم بينما يرى الخليل ان الجزم واقع بنفس الطلب لتضمنه معنى الشرط (١) .

٤ - قال تعالى : ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَذُنُهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) (٢) :  
يرى الخليل أن لا في الآية زائدة بينما يرى غيره انها نافية ، كما يرى الخليل  
كذلك ان لفظ أنها بمعنى لعل وواقفه الزجاج على ذلك (٣) .

٥ - قال تعالى : ( لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ ) (٤) .  
يرى الخليل ويؤيده سيبويه فيما يراه من أن الفعل أكن من الآية مجزوم : على  
أن معنى لولا أخرتني هو نفس معنى إن أخرتني (٥) .

٦ - قال تعالى : ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) (٦) وقال كذلك :  
( وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِبَهُمْ هُتَنًا ) (٧) .

يرى الخليل أن محل أن وصلتها في الأولى وأن ومنصوبها في الثانية النصب  
بعد حذف الجار وذلك على معنى : شهد الله عدم وجود إله إلا هو وكذلك  
وترغبون نكاحهن (٨) .

٧ - قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ) (٩)  
يرى الخليل حمل ما في الآية على الإستفهام لمكان من في قوله : من شيء بينما يرى  
الآخرون أنها موصولة بمعنى الذي (١٠) .

(١) المغني ج١ ص ٢٢٦ .

(٢) سورة الانعام آية ١٠٩ .

(٣) المغني ج١ ص ٢٥١ .

(٤) سورة المنافقون آية ١٠ .

(٥) المغني لابن هشام ص ٢٠ ص ٤٧٧ .

(٦) آل عمران آية ١٨ .

(٧) النساء آية ١٢٧ .

(٨) حاشية الصبان على الأشموني ص ٢٠ ص ٩٢ .

(٩) سورة المنكيات آية ٤٢ .

(١٠) اعراب القرآن للزجاج ص ٣ ص ٩٢١ .

ولم يكن جهد الخليل في هذا المجال ليقصر فقط على آراء تبنى في الآية بل تجاوز ذلك إلى الاستدلال بالآيات الكريمة على ما يرى من قواعد : منها أن قد كما تكون للتوقع في المضارع فإنها تقع كذلك مع الماضي <sup>(١)</sup> وذلك كما في قوله تعالى : ( قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ) <sup>(٢)</sup> وقد منع بعض النحاة ذلك ونفوا أن تكون للتوقع لما فيه من تنافي بينه وبين دلالة الفعل على الماضي <sup>(٣)</sup> . وإذا كانت آراء الخليل في القرآن الكريم أو استناده عليه في تأييد قواعده مظهراً من مظاهر التأثير الذي خلفه القرآن في نحوه فإن أثره في شخصيته لا يقل عن ذلك إذ أن - هذا العالم كما اعتقد لم يبتدع الرحلة إلى الصحراء ولم يكن ليترك أهله وموطنه وبعاشر الأهراب لجرد هوى في نفسه أو رغبة في جزاء أو انتظار لمغرم وهو من عرف عنه الزهد والتقشف بدرجة كبيرة : مما يجعلنا نستبعد أن يكون صنيعه ذاك مدفوعاً برغبة دنيوية زائلة بل كان هدفه الأسمى خدمة القرآن ولغته وحسبنا ذلك أثراً للقرآن في شخصية شيخ النحاة وزعيمهم بدون منازع .

#### آراء لسبويه :

لقد كان لسبويه آراء عديدة دارت حول القرآن الكريم واستمدت منه قوتها ومن هذه الآراء ما كان يؤيد فيه الخليل بن أحمد كما تقدم ومنها ما كاد ينفرد به : وفيما يأتي بيان لذلك .

(١) المغني ١٠ ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) سورة المجادلة آية ١ .

(٣) المغني لابن هشام ١٠ ص ١٧٢ ، البرهان للزركشي ص ٣٠٥ .

- ١ - قال تعالى : ( فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ سِوَاهِ اللَّسَانِئِلِينَ ) (١) .  
يرى البعض أن سواء حال من النكرة لتخصصها بالإضافة (٢) بينما يرى سيدييه أن هذا النصب على المصدرية (٣) .
- ٢ - قال تعالى : ( أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ) (٤) .  
قيل ان من في الآية بمعنى اللام أي أطعمهم للجوع وقال النحاس :  
إنها لابتداء الغاية بينما يرى سيدييه أنها بمعنى عن (٥) .
- ٣ - قال تعالى : ( إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ) (٦) .  
يرى سيدييه أن لفظ ( ما ) مرفوع بالابتداء وخبره مقدم عليه  
وهو « مصيبيها » (٧) .
- بينما يرى الأخفش أن لفظ ما مرفوع بالفاعلية لمصيبيها لأنها بمنزلة  
يصيبيها (٨) .
- ٤ - قال تعالى : ( إِنَّا مُنَجِّوُكَ وَأَهْلِكَ ) (٩) وقوله كذلك :  
( وَتَحْمِيلُ أَنْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْقَبِيلِ ) (١٠) .

- 
- (١) سورة فصلت آية ١٠ .  
(٢) الأشموني ٢ > ص ١٧٥ .  
(٣) البرهان للزركشي > ص ١٧٤ .  
(٤) سورة قريش آية ٤ .  
(٥) البرهان > ص ٤٢٠ .  
(٦) سورة هود آية ٨١ .  
(٧) اعراب القرآن للزجاج > ص ٥١٦ .  
(٨) نفس المرجع .  
(٩) سورة العنكبوت آية ٣٣ .  
(١٠) سورة النحل آية ٧ .

يرى سيبويه أن الكاف من منجوك والهاء من بالغيه في موضع  
جر بالإضافة بينما يرى الأخفش أنها في موضع نصب ويستدل لرأيه  
بنصب أهلك وهو معطف على الكاف ولو لم تكن الكاف في محل  
نصب لما نصب المعطوف عليها : ويخرج سيبويه هذا النصب باضمار  
فعل (١) .

٥ - قال الله تعالى : ( والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا ) (٢) .  
يرى سيبويه أن خبر المبتدأ محذوف وتقديره : فيما أتوه وكذلك  
بالنسبة لقوله تعالى : ( الزَّانِيَةُ والزَّانِي ) (٣) وتقدير الخبر فيه : فيما  
نقص لكم (٤) .

وذكر غير سيبويه أن الخبر في الآية الأولى هو : فاقطعوا (٥) .  
وقد أيد صاحب البرهان ما ذهب إليه سيبويه من إضمار مستدلاً  
على ذلك بإجماع القراء على الرفع (٦) .

ولم يقتصر سيبويه كذلك على تخريج الآيات وتبيان مواقع ألفاظها  
من الاعراب بل وجدناه كذلك يؤيد ما قد يراه بالقرآن الكريم فـمـو  
مثلاً يتعقب يونس في مسألة اختلف معه عليها وهو أن سيبويه يجزم  
الجواب في قولنا : إن تأتي آتتك بينما يرفعه يونس على نية تقديمه ويقدره  
أأتيتك إن تأتي (٧) .

---

(١) اعراب القرآن - ١ ص ١٦٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٣٨ .

(٣) سورة النور آية ٢ .

(٤) البرهان للزركشي - ٣ ص ١٣٩ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) البرهان - ٣ ص ١٤٠ .

(٧) اعراب القرآن - ٣ ص ٧٨٢ .

ونجد سيبويه يحتج على يونس بآيتين وهما قوله تعالى ( أفأئنّ ماتَ أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم )<sup>(١)</sup> وقوله كذلك : ( أفأئنّ متّ فهم الخالدون )<sup>(٢)</sup> ، ووجه الاحتجاج بالآية الأولى أن الجزاء إذا نوي تقديمه كما يرى يونس كان التقدير : انقلبتم على أعقابكم فإن مات ، وكان التقدير في الثانية : أفهم الخالدون فإن مت وليس هذا في الآيتين وجه الكلام وإنما وجهه : أفهم الخالدون إن مت وكذا : أنقلبتم على أعقابكم إن مات<sup>(٣)</sup> .

ويعلل سيبويه لهذا الوجه فيقول : « لأن من قال أنت ظالم إن فعلت لم يقل فأنت ظالم إن فعلت فإن قيل : فإن الغاء زيادة قيل الغاء ها هنا نظير ثم في قوله : ( أنتم إذا ما وقع آمنتم به )<sup>(٤)</sup> . وكما لا يجوز تقدير الزيادة في ثم فكذا ها هنا »<sup>(٥)</sup> انتهى .

#### كتاب سيبويه :

إذا كنا نريد ان نلقي ضوءاً أسطع على مدى ما أثره القرآن الكريم في سيبويه فلا بد في الحقيقة من أن نتعرف على ذلك من خلال كتابه الذي وضعه في هذا العلم وكانت له في مجاله منزلة كبيرة لم ينلها أي كتاب آخر وفي هذا يقول الجاحظ مبرأً عن حيرته في اختيار الهدية المناسبة التي يريد أن يقدمها لمحمد بن عبد الملك الزيات : أردت

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٣٤ .

(٣) اعراب القرآن للزجاج ٣٠ ص ٧٨٢ .

(٤) سورة يونس آية ٥١ .

(٥) اعراب القرآن ٣٠ ص ٧٨٢ .

الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات ففكرت في شيء أهديه فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيديوه (١) .

ثم إن دراسة هذا الكتاب لم تكن لتيسر إلا لمن أوتي من النضوج والذكاء ما يؤهله لذلك وفي هذا يروى أن المبرد كان يقول لمن يريد أن يقرأ كتاب سيديوه : هل ركبت البحر (٢) وذلك تعظيماً له وارتفاعاً بقدره .

ولعل فيما روي من أن الفراء أحد رجال الكوفة ونحاتها كان يقتني الكتاب ويلزمه في كل أوقاته حتى وجد تحت رأسه عند وفاته (٣) مما يدل على مكانة هذا المصنف عند علماء النحو بصريين كانوا أو كوفيين . فكتاب هذا شأنه إذن لا بد من أن يكون قد بلغ من الشمول والاستيعاب ما حق أن يقال فيه انه أحد كتب ثلاثة عرفت بالسعة وغزارة المادة وهي : كتاب المجسطي في علم الفلك والثاني كتاب أرسطوطاليس في علم المنطق (٤) .

وكتاب هذا شأنه كذلك لا بد أن يدل على مالصاحبه من فضل وعلم وعلى ما للقرآن من أثر فيه وفي مسائله وجزئياته .

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ ص ١٣٣ - معجم الأدباء ١٥٠ ص ١٢٣  
نزهة الالباء ص ٦٢ .

(٢) نزهة الالباء في طبقات الادباء - ط دار النهضة مصر ص ٦٣ .

(٣) معجم الأدباء - ١٥ ص ١٢٢ .

(٤) نفس المرجع ١٥٠ ص ١١٧ .

## الكتاب والقرآن الكريم :

لقد ظهر أثر القرآن في كتاب سيديويه جلياً في تلك الشواهد القرآنية التي تعرض لها في هذا الكتاب ، إذ لم يكن لسيديويه أن يفغل القرآن في مثل هذا المجال حيث لم يبتدع النحو إلا لخدمته وحفظه وصيانتة ، ونحن إذا تتبعنا ماورد في الكتاب من آيات قرآنية نجدها قد اتخذت شكلين من العرض ، أحدهما تلك الآيات التي كان لسيديويه رأيها فيما أشكل فيها مع تسجيله لآراء غيره حولها وثانيها آيات استدل بها على قواعد نحوية ارتآها بعد أن وجد لها في التزويل ما يؤيدها ويسندها .  
فأما النوع الأول فقد مثلنا له بما سبق ذكره في بداية الحديث عن سيديويه ونزيد عليه بعض أمثلة أخرى ومنها : -

١- يعلل سيديويه لرفع الزانية والزاني والسارق والسارقة من قوله تعالى ( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا )<sup>(١)</sup> وقوله كذلك ( وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا )<sup>(٢)</sup> بعدم بناء هذين الاسمين على الفعل حيث قال في هذا الصدد : وأما قوله عز وجل كذا وكذا .. فإن هذا لم يبن على الفعل ولكنه جاء على مثل قوله تعالى ( مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ )<sup>(٣)</sup> ثم قال من بعد فيها أنهار من ماء - فيها كذا وكذا : فإنما وضع المثل للحديث الذي بعده فذكر أخباراً وأحاديث فكانه قال : ومن القصص مثل الجنة ، وما يقص عليكم مثل الجنة فهو محمول على هذا الاضمار ونحوه ،

(١) سورة النور آية ٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٣٨ .

(٣) سورة الرعد آية ٣٥ .

وكذلك الزانية والزاني : كأنه لما قال جل ثناؤه : ( سورة " أنزلناها وفرضناها )<sup>(١)</sup> وقال في الفرائض الزانية والزاني ثم قال : فاجلدوا ، فجاء بالفعل بعد أن مضى فيها الرفع<sup>(٢)</sup> .

ويعني كذلك ويتحدث عن قوله : والسارق والسارقة فيقول : وكذلك<sup>٣</sup> والسارق والسارقة كأنه قال : وفيما فرض الله عليكم ،<sup>٤</sup> السارق والسارقة ، فإنما دخلت هذه الأسماء بعض قصص وأحاديث<sup>(٣)</sup> .  
وكذلك يحمل سيبويه قوله تعالى : ( واللذان يأتيانها منكم فآذوهما )<sup>(٤)</sup> على ماتقدم من التعليل<sup>(٥)</sup> .

٢- نرى سيبويه كذلك يسجل للقراء قراءتهم إذ يروي في كتابه أن بعض القراء يقرؤون : والسارق وكذلك والزانية بالنصب في كليهما ، ويبدى رأيه في هذا الوجه قائلاً : وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع<sup>(٦)</sup> .

٣- وفي مثل آخر يعلل سيبويه نصب لفظ « كل » من قوله تعالى : ( إنا كُنا شيئا خلقناه بقدر )<sup>(٧)</sup> بقوله : فإنما هو على حد قوله : زيداً ضربته وهو عربي كثير<sup>(٨)</sup> أي على اعتبار أن الاسم المتقدم مفعول

(١) سورة النور آية ١ .

(٢) الكتاب لسيبويه ج ١ ص ١٤٣ تحقيق عبد السلام هارون ط دار العلم .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) سورة النساء آية ١٦ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الكتاب ص ١٤٤ - ١٤٣ .

(٧) سورة القمر آية ٤٩ .

(٨) الكتاب ص ١٤٨ .

لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور كما في المثال والتقدير في الآية : إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر .

٤ - وبين سيبويه سبب النصب في كلمتي منا وفداء من قوله تعالى : (فِيأَمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) <sup>(١)</sup> فيقول : إنا انتصب على تقدير : فأما تمنون منا وإما تفادون فداء <sup>(٢)</sup> أي على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره تمنون وتفادون .

٥ - يرى سيبويه أن لفظ كتاب من قوله تعالى ( كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) <sup>(٣)</sup> منصوب على التوكيد <sup>(٤)</sup> كما نراه يسجل رأياً آخر فيها لغيره وهو أنه منصوب بعليكم <sup>(٥)</sup> على اعتبار أنها اسم فعل والتقدير : عليكم كتاب الله أي : الزموا .

٦ - ويجوز سيبويه الرفع والنصب في كلمة بلاغ من قوله تعالى : ( لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَبَلَاغٍ ) <sup>(٦)</sup> فأما الرفع فعلى تقدير أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره ذلك <sup>(٧)</sup> وأما النصب فعلى أنه توكيد لفعل محذوف تقديره بلقوا بلاغاً وقد قرئ به <sup>(٨)</sup> .

وهناك من الآيات التي تحدث عنها سيبويه وأبدى رأيه فيها ما لا نود أن

- 
- (١) سورة محمد آية ٤ .
  - (٢) الكتاب = ١ ص ٣٣٦ .
  - (٣) سورة النساء آية ٢٤ .
  - (٤) الكتاب = ١ ص ٣٨٢ .
  - (٥) نفس المرجع
  - (٦) سورة الأحقاف آية ٣٥ .
  - (٧) الكتاب = ١ ص ٣٨٢ .
  - (٨) تفسير أبو السعود = ٥ ص ٧١ ط المصرية .

نظليل فيها الحديث ، ولعل اكتفاءنا بما أوردناه من أمثلة كفييل بأن يلقي الضوء أو بعضه على النوع الأول من مظاهر تأثير القرآن في هذا الكتاب .

وأما النوع الآخر وهو استدلال سيبويه على قواعده وآرائه بآيات من القرآن الكريم ، فقد امتلأ الكتاب بمثل هذا النوع من الأدلة : إذ لم يخل باب من أبوابه تقريباً إلا وتعرض فيه لبعض هذه الآيات كأدلة قاطعة على ما يرتئيه : ولقد وردت تعبيرات عديدة تبين مدى الأثر الذي خلفه القرآن في نحو سيبويه وانعكس بالتالي على كتابه مما يدل على قيمة القرآن العظيمة كمصدر مثبت لأية قاعدة نحوية يريد لها صاحبها البقاء والصمود فنجد سيبويه يعبر أحياناً بقوله : وما يقوي ، ثم يأتي بآية قرآنية كما يقول في موضع آخر : وتصديق ذلك قوله جل ثناؤه : ثم يأتي بالآية من بعد ذلك كما نراه في موضع ثالث يمثل لقاعدته بقوله كقوله تعالى ، أو منه قوله تعالى ، إلى مثل هذه التعبيرات التي عجز بها الكتاب هنا وهناك وأمثلة هذا ما يلي :

١- يرى سيبويه أن ( قلت ) لا تقسح في كلام العرب إلا ليحكى بها كلام لا قول وهذا في كل ما اشتق منها إلا ( تقول ) مسبوقة باستفهام لشبهها حينئذ بتظن<sup>(١)</sup> ويستدل على ذلك بقوله : وتصديق ذلك قوله جل ثناؤه ( وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ )<sup>(٢)</sup> بكسر همزة إن ، إذ لو لم يحك بها الكلام لفتحت هذه الهمزة .

٢- ينزل سيبويه الاسم الموصول منزلة الشرط ويرى دخول الفاء

(١) الكتاب - ١ ص ١٢٢ .  
(٢) سورة آل عمران آية ٤٢ .

على خبر هذا الاسم<sup>(١)</sup> ويمثل لذلك بقوله تعالى : ( الَّذِينَ يُنْفِقُونَ  
 أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً فلم أجروهم عند ربهم ولا  
 خوف عليهم ولا هم يحزنون )<sup>(٢)</sup> .

٣- يرى سيويه أن الصفة المشبهة إذا ثبتت أو جمعت ولم تحذف  
 منها في الحالين علامتا التثنية والجمع نصبت مابعدهما وقد مثل لذلك  
 بقوله : هم الطيبون الأخيار ، وهما الحسنات الوجوه<sup>(٣)</sup> ، وقد استدل  
 على ذلك من القرآن الكريم بقوله تعالى : ( قل هل ننبئكم بالآخسرين  
 أعمالاً )<sup>(٤)</sup> .

٤- يرى سيويه ان الاستفهام يمنع الفعل المتمدي من التعمدية إلى  
 مابعده لأنه من الألفاظ التي تتوجب لها الصدارة فلا يعمل مابعدهما فيما  
 قبلها وكذلك فيما لو دخلت على الاسم لام الابتداء فإنها توقف الفعل عن  
 العمل في مدخولها<sup>(٥)</sup> وقد مثل لذلك بقوله تعالى : ( لِنَعْلَمَ أَيُّ  
 الحِزْبِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدَانً )<sup>(٦)</sup> ، وقوله كذلك : ( فليَنْظُرْ  
 أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً )<sup>(٧)</sup> كما مثل للام الابتداء بقوله جل وعلا : ( ولقد  
 عَلِمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ )<sup>(٨)</sup> .  
 وإذا لم يقترن الاسم بلام الابتداء ولم يسبق بأداة استفهام وجب

(١) الكتاب - ١ ص ١٤٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٤ .

(٣) الكتاب - ١ ص ٢٠١ .

(٤) سورة الكهف آية ١٠٣ .

(٥) الكتاب - ١ ص ٢٣٦ .

(٦) سورة الكهف آية ١٢ .

(٧) سورة الكهف آية ١٩ .

(٨) سورة البقرة آية ١٠٢ .

أعمال الفعل فيه وأستدل كذلك بقوله تعالى : ( ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ) (١) . ويقول كذلك : ( لا تعلمونهم الله يعلمهم ) (٢) وقوله أيضاً ( والله يعلم المفسد من المصلح ) (٣) . وهكذا يمضي سيبويه في كتابه مستشهداً بالقرآن الكريم في كل موضع يجد له فيه دليلاً يدعم قوله ويسند رأيه .

وإذا كان سيبويه كما رأيناه في آرائه ومؤلفه العظيم فإنه كذلك في محاوراته التي كانت تقع بينه وبين أستاذه الخليل حول آيات من القرآن الكريم ومنها مثلاً ما قد تقدم من أن الخليل بن أحمد يرى أن حروف الجر تحذف قياساً مع أن وإن ويكون كل منهما مع صلتها منصوباً بنزع الخافض (٤) وقد سأله سيبويه عن قوله تعالى ( وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ) (٥) فأجاب الخليل بأن إن وما دخلت عليه منصوبان بنزع الخافض منها والتقدير ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (٦) وقد ذكر ذلك المبرد (٧) .

ولعل في القدر الذي عرضناه من أمثلة حول تأثر سيبويه بالقرآن الكريم ما يكفي للدلالة على ما أردنا إثباته من أن لكتاب الله في شخصية هذا الرجل وفي مؤلفاته وآرائه ومحاوراته الأثر البالغ ، وليس

(١) سورة البقرة آية ٦٥ .

(٢) سورة الأنفال آية ٦٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٠ .

(٤) حاشية الصبان - ٢ ص ٩٢ .

(٥) المؤمنون آية ٥٣ .

(٦) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٤١ .

(٧) المقتضب للمبرد - ٢ ص ٣٤٧ تحقيق الاستاذ محمد عضية .

في ذلك غرابة أو عجب فالقرآن كتاب قد حفظ للعرب لغتهم وصنع لهم حضارتهم وتاريخهم .

آراء للأخفش :

لقد تخلق الأخفش كغيره على مائدة القرآن وآياته فناقش فيها وجادل ووافق وغيره وخالف حتى تكونت له بذلك حصيلة آراء نحوية قرآنية ، لانستطيع حصرها وتحديدها فهي قد بثت هنا وهناك ودارت حول هذه وتلك . ولكننا نعرض لبعض منها وهي :

١- قال تعالى : ( ويومئذ يفرح المؤمنون )<sup>(١)</sup> يرى الأخفش أن إذ ليست مبنية وإنما هي معربة لزوال افتقارها إلى الجملة وأن الكسرة إعراب لأن اليوم مضاف إليه<sup>(٢)</sup> .

٢- قال تعالى : ( ولا الذين يموتون وهم كفار )<sup>(٣)</sup> يقول الأخفش إن اللام في الآية للابتداء ، والذين في موقع مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وقد رد عليه بأن اللام قد رسمت في المصحف بشكل لا ، فلا تكون على ذلك للابتداء كما لا يكون لفظ الذين مبتدأ<sup>(٤)</sup> .

٣- قال تعالى : ( واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً )<sup>(٥)</sup> يرى الأخفش كما يرى الكسائي أن في قد حذف أولاً من

---

(١) سورة الروم آية ٤ .

(٢) المغني لابن هشام = ١ ص ٨٥ - ٨٦ .

(٣) سورة النساء آية ١٨ .

(٤) المغني = ٢ ص ٥٩٥ .

(٥) سورة البقرة آية ٤٨ آية ١٢٣ .

الآية فصارت الكلمة : لا تُجزيه ثم حذف الضمير فأصبح اللفظ لا تُجزِي ، وهذا يعني أن الضمير قد حذف وهو منصوب لا مجرور (١) .

٤- قال تعالى : ( إذا السماء انشقت ) (٢) وقال كذلك ( وإن أحد من المشركين استجارك ) (٣) يرى الأخفش والكوفيون أن الإسمين الواقعين بعد كل من إذا وإن يعربان مبتدأ (٤) ويعتبر صاحب المغني أن مثل هذا القول خطأ إذا صدر عن لا يذهب مذهب هؤلاء (٥) .

ومن رأى رأي الأخفش في جواز رفع الاسم بعد إذا على الابتداء سيبويه (٦) وأما القواعد التي ارتأها الأخفش ودلل عليها بالقرآن الكريم فهي كثيرة كذلك ومنها :

١- جواز نعت النكرة بالمعرفة إذا كانت نكرة مخصصة .

يبيح الأخفش نعت النكرة بالمعرفة إذا ما خصصت هذه النكرة (٧) علماً بأن غيره وهم معظم النحاة يوجبون تبعية النعت للمنوع في التعريف والتنكير .

ويستدل الأخفش في قاعدته هذه بقوله تعالى : ( فأخرا ن يقومان مقامها من الذين استحق عليهم الأوليان ) (٨) ويجعل الأوليان في الآية صفة لأخرا ن (٩) .

(١) حاشية الصبان - ٣ ص ٦٣ .

(٢) سورة الانشقاق آية رقم ١ .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦ .

(٤) المغني لابن هشام - ٢ ص ٥٨١ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) تحقيق الاستاذ محمد عضيمة على المقتضب - ٢ ص ٧٧ .

(٧) الأشموني - ٣ ص ٦٠ .

(٨) سورة المائدة الآية رقم ١٠٧ .

(٩) الأشموني - ٣ ص ٦٠ .

٣ - مجيء الحرف ( ثم ) زائداً غير دال على التشريك في الحكم .  
 يرى الأخفش أن التشريك الذي تدل عليه ثم قد يتخلف إذا  
 وقعت ، زائدة ويستدل لذلك بقوله جل وعلا ( حق إذا ضاقت  
 عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ  
 من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ) (١) فثم هنا غير عاطفة وبالتالي  
 لا تدل على التشريك لزيادتها (٢) .

٣ - زيادة من في الإيجاب دون اشتراط وقوعها بين النفي والنيكرة .  
 يشترط النحاة لزيادة حرف الجر من وقوعها بين نفي ونيكرة ، بينما  
 يرى الأخفش جواز زيادتها دون أن تسبق بنفي (٣) أي يمكن زيادتها  
 في الإيجاب ويستدل لذلك بآيات عديدة هي قوله تعالى : ( ولقد  
 جاءك من نبي المرسلين ) (٤) وقوله : يَغْفِرْ لَكُمْ من ذُنُوبِكُمْ (٥)  
 وقوله أيضاً : ( يَجْلِسُونَ فِيهَا من أساورٍ من ذهبٍ ) (٦) وقوله كذلك  
 ( ويكفرُ عنكم سيئاتِكُمْ ) (٧) ويلاحظ في الآيات الكريمة أن من  
 قد زيدت في رأي الأخفش دون أن تسبق بنفي كما أن مجرورها  
 في بعض هذه الآيات معرفة وليس بنكرة .

٤ - مجيء إلا عاطفة بمعنى الواو : ويستدل الأخفش على هذا بقوله

- 
- (١) سورة التوبة آية رقم ١١٨ .  
 (٢) المغني - ١ ص ١١٧ .  
 (٣) البرهسان للزرکشي - ٤ ص ٤٢٣ - الأشموني - ٢ ص ٢١٢ - المغني - ١ ص ٣٢٤ .  
 (٤) سورة الأنعام آية ٣٤ .  
 (٥) سورة فوح آية ٤ .  
 (٦) سورة الكهف آية ٣١ .  
 (٧) سورة البقرة آية ٢٧١ .

تعالى : ( لَيْتَلا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حِجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) (١)  
وبقوله أيضاً ( لا يَخَافُ لِدِيَّ الْمُرْسَلُونَ ) (٢) ( إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ) (٣)  
ويشاركه في رأيه الفراء وأبو عبيدة (٤) . وذلك على تقدير ولا الذين  
ظلموا في الأولى وتقدير ولا من ظلم في الثانية .

وبهذا كله وغيره مما لم نذكره يتضح لنا أن الأخفش البصري لم  
يكن بعيداً عن القرآن وآياته بل كان كثيره يعتمد عليها في الاستدلال  
كما كان يتحدث ويرى في الآيات ومواقع ألفاظها وإعرابها مثل ما كان  
يرى غيره فيها .

وإذا نحن أردنا استقصاء أعم وأشمل لأثر القرآن في نحو البصرة  
فلن نجد مثل هذا الأثر مقتصرأ على من ذكرناهم في هذا الصدد ،  
فهناك علماء آخرون كان لهم نصيبهم من الاستدلال بالقرآن .

فها هو ذا المبرد مثلاً يرى جواز دخول لام الابتداء على أن  
المفتوحه الهمزة (٥) ويستدل لذلك لقوله تعالى ( إِلَّا إِنْهُمْ \* لِيَأْكُلُونَ ) (٥)  
في قراءة سعيد (٦) .

وكذلك ما رآه في الضمير الواقع بعد لولا حيث لم يجوز أن يقال :  
لولاي ولولاك بل يجب أن يقال : لولا أنا ولولا أنت (٧) واستدل لذلك

(١) سورة البقرة آية ١٥٠ .

(٢) سورة النمل آية ١٠ ، ١١ .

(٣) المغنى - ١ ص ٧٣ - أشار إلى هذا صاحب البرهان - ٤ ص ٢٣٨ دون  
الإشارة إلى صاحب الرأي فيها .

(٤) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ١٢٩ .

(٥) سورة الفرقان آية ٢٠ .

(٦) البرهان - ٤ ص ٣٣٦ .

(٧) الانصاف لابن الانباري مسألة ٩٧ .

بقوله تعالى (لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنْنَا مُؤْمِنِينَ) (١) .

ونجد قطرب كذلك يصنع كتاباً في إعراب القرآن وينسب إليه ويرى من القواعد ما يؤيدها بالآيات الكريمة ومن ذلك ما يراه من مجيء أن بمعنى قد ويحتج لرأيه بقوله تعالى : (إِنْ نَفَعْتَ الذَّكَرَى) (٢) أي قد نفعت الذكرى (٣) .

وعالم آخر كان السراج كذلك يتخذ من قوله تعالى : (أَعْنُدَهُ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَهَوَّيْرِي) (٤) وكذلك قوله : (وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا السَّوْمِ) (٥) : دليلاً على جواز حذف مفعولي ظن وأخواتها دون دليل على ذلك (٦) .

أضف إلى هذا كله تلك الآيات التي كانت مثار جدل وموطن خلاف ونقاش بين العلماء البصريين أنفسهم من ناحية ، وبينهم وبين الكوفيين من ناحية أخرى وذلك مثل الخلاف بين سيبويه والأخفش حول لات وعملها ، حيث يرى سيبويه أعمالها عمل ليس ، وفي هذه الحالة لا يليها إلا الاسم مرفوعاً أو الخبر منصوباً وهو لفظ الحين دائماً ومع الرفع يكون الخبر محذوفاً ومع النصب يكون اسمها محذوفاً ، بينما يذهب الأخفش إلى أنها غير عاملة بحيث إذا تلاها مرفوع اعرب مبتدأ والخبر محذوف ، وإذا تلاها منصوب أعرب مفعولاً به على تقدير فعل محذوف ، فعلى ذلك يرى سيبويه أن لفظ الحين في قوله تعالى : (وَلَاتِ حِينَ

(١) سورة سبأ آية رقم ٣١ .

(٢) سورة الأعلى آية ٩ .

(٣) المغني - ١ ص ٢٦ .

(٤) سورة النجم آية ٣٥ .

(٥) سورة الفتح آية ١٢ .

(٦) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ١٤٣ .

مَنَاصِرِ) (١) منصوب على أنه خبر لات ، بينما يرى الأخفش نصبه على تقدير أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره أرى (٢) .

وبهذه الأمثلة التي أوردناها لبعض العلماء البصريين نجد بالفعل الأثر البين لكتاب الله في نحو هذه المدرسة العظيمة التي تعتبر بحق الجسر الكبير الذي خطا عليه هذا العلم حتى وصل إلينا كاملاً ناضجاً .

## ٢ - المذهب الكوفي :

لم تقل الكوفة حظاً من علم النحو كذلك الحظ الذي حققته البصرة لنفسها منه ، فقد سبقتها الأخيرة في هذه الصناعة بما يقرب من مائة عام (٣) كانت الكوفة خلالها منشغلة فيها بتدوين الحديث وأخبار العرب وقراءة القرآن وتفسيره (٤) ولعل هذا هو السر في أن البصرة قد أحكت صناعاتها وحذقت فيها حذاقة كانت السبب المباشر في أن قواعدهما أكثر عمقاً وتدقيقاً من قواعد نظيرتها الكوفة كما يرى الكثيرون .

لكن رغم ذلك فإن الكوفة بعد هذه المدة الطويلة وتمرسها في علم الحديث وتدوينه ترمساً طويلاً استطاعت أن تشق طريقها في عالم النحو فتعوض لنفسها ما قد فاتها من هذا العلم ، ولقد كانت للظروف السياسية آنذاك حيث احتضنها العباسيون أكبر الأثر في أن استطاع الكوفيون أن يقفوا على أرجلهم ويصبحوا نداً لحاضنة النحو ومنشئته حتى وجدنا العلماء فيما بعد ينسبون إليها مذهباً خاصاً اعتبر هو ومذهب البصريين

(١) سورة ص آية ٣ .

(٢) المغني - ١ ص ٢٥٤ .

(٣) نشأة النحو للطنطاوي ص ١٥ .

(٤) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ٣٨ .

من أكبر المذاهب التي احتضنت هذا العلم وتكلمت فيه .  
ونحن إذا تتبعنا نشأة النحو الكوفي يجب علينا ألا نسقط من حسابنا  
كون علماء الكوفة الأوائل ، وعلى رأسهم الكسائي قد عبوا من نحو  
البصرة ما أثار لهم الطريق وجعل للكوفة فيما بعد طريقها ومنهجها ،  
فما أن تسامت الأمصار بما عليه البصرة من تقدم في هذا المضمار حتى  
وجدنا أهلها يتسابقون إلى العلماء الذين تصدروا مساجد البصرة يعملون  
فيها النحو ويديسطنونه لمن يريده .

فالكسائي نفسه لم يكن نحوه ليخلص من تأثير البصريين فيه ، إذ  
كان يعتمد على كثير من آرائهم واتجاهاتهم<sup>(١)</sup> وفي كتب النحو الشيء  
الكثير من الموافقات .

ولعل هذا شأن كل النحاة من غير البصريين ، وفي هذا المعنى يقول  
الدكتور الخزومي : وأهل العربية سواء أكانوا في البصرة أم في الكوفة ،  
إنما أخذوا النحو من معاهد البصرة<sup>(٢)</sup> .

ولقد كان أول لقاح بصري حملته البصرة إلى الكوفة ذلك اللقاح  
الذي حمله الروامي شيخ الطبقة الكوفية الأولى الذي تلقى العلم عن رجال  
الطبقة الثانية البصرية وخالط بذلك شيعي البصرة الخليل ويونس<sup>(٣)</sup> .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تتابعت رحلات الكوفيين إلى  
البصريين واجتماعهم بهم فكان ممن رحل إليهم مؤسس نحو الكوفة  
ومذهبها : الكسائي فتلقى النحو عن يونس كما جالس الخليل في حلقاته

(١) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ١١٨ .

(٢) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ٧٩ .

(٣) نشأة النحو للطنطاوي ص ٢٣ .

وتعلم عليه ، وكان سبباً في ارتياده الصحارى والبوادي للأخذ عن العرب حيث يروى كما ذكرنا آنفاً أنه سأل الخليل بن أحمد من أين حصلت على علمك هذا فقال له : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة (١) .  
وكان ممن تلقى عن البصريين كذلك الفراء ، إذ رحل إلى البصرة وسمع عن يونس وأخذ عنه (٢) .

فإذا عرفنا أن هذين العلمين وهما الكسائي والفراء ، وهما من يدين لهما نحو الكوفة قد تلقيا علمها في بدايته على أيدي العلماء البصريين أدركنا أن نحو الكوفة يعتبر في ذاته امتداداً للمذهب البصرة ونحوها مع خلاف يسير في منهج البناء والتأسيس وذلك يظهر في تساهلهم في بناء قواعدهم وتسامحهم في اعتماد المصادر التي يستقون منها إذ فتحوا آذانهم لكل مسموع فاحترموه وأقاموا له وزناً دون الحذر من قيمته أو تاريخه أو طبيعته .

ولقد تعرضنا لشيء من منهج الكوفة في مذهبها في أثناء الحديث عن المذهب البصري ومنهجه في بناء قواعد ما يجعلنا نقتصر على ما ذكرنا .

### المذهب الكوفي وموقفه من الاستشهاد بالقرآن الكريم :

لم يكن علماء الكوفة بأقل من غيرهم تأثراً بالقرآن الكريم واستشهاداً بآياته واعتماداً عليه إن لم يكونوا أكثر منهم في ذلك (٣) كما تسجل لهم كتب النحو ومراجعته وكما أشرت في غير هذا الموضوع ، فقد بدأ

(١) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٣٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٤١١ .

(٣) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبد المال سالم ص ١٢٢

لي أنهم كانوا يسندون أكثر قواعدهم إلى آيات قرآنية يلتصون فيها  
ما يؤيدهم ويدعم رأيهم .

فها هو ذا ابن الأنباري يسجل لهم في انصافه ما يقرب من عشرين  
رأياً في عشرين مسألة بينهم وبين البصريين كانوا يعتمدون فيها على آيات  
واضحة الحجّة وبينّة الدليل فمنها على سبيل المثال : اعتاد الكوفيين على قوله  
تعالى : ( إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِبِينَ وَالنَّاصِرِينَ ) (١)  
في تثبيت قاعدتهم التي يرون فيها جواز العطف على موضع أن قبل  
تمام الخبر (٢) ومنها كذلك استدلالهم على جواز وقوع الفعل الماضي  
حالا (٣) بقوله تعالى : ( أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِيرَاتٍ مُّصَدُّورَهُمْ ) (٤) .

ومنها أيضاً اجازتهم العطف على الضمير المجرور دون إعادة الخافض (٥)  
ويستدلون على هذا بقوله تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ  
وَالْأَرْحَامَ ) (٦) .

ومنها كذلك امكانية عمل أن المصدرية وهي مقدره (٧) ويستدلون  
بقوله تعالى : ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا  
اللَّهَ ) (٨) أي أن لا - تعبدوا إلا الله ، وقد عملت أن وهي مقدره .

(١) سورة المائدة آية ٦٩ .

(٢) الانصاف مسألة ٢٣ ص ١١٩ .

(٣) نفس المرجع مسألة ٣٢ ص ١٦٠ .

(٤) سورة النساء آية ٩٠ .

(٥) الانصاف مسألة ٦٥ ص ٢٧٢ .

(٦) سورة النساء آية ١ .

(٧) الانصاف مسألة ٧٧ ص ٣٢٧ .

(٨) البقرة آية ٨٤ .

وفي قاعده أخرى وهي وقوع أن بمعنى إذ (١) ويستدلون بقوله تعالى: ( وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ) (٢) .

ويخالف الكوفيون البصريين في أن الواقعة بعد ما ، هل هي زائدة أو بمعنى ما ، فيختارون الثاني ويحتجون له بجيء أن نفسها بمعنى ما (٣) في قوله تعالى: ( إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ) (٤) وقوله أيضاً ( إِنَّ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ) (٥) .

ولم يقف اعتماد الكوفيين على القرآن واتخاذهم الدرع الحصين الذي يحصنون به قواعدهم وآراءهم على ما ذكرنا ، بل زخرت آراؤهم بمثل هذه الأدلة التي يشونها مجتمعين أو منفردين .

وقد كان لعلمائهم كل على حدته آراء معينة في كثير من الآيات الكريمة التي تناوها النجاة واللغووين ولتبيين ذلك نبين بعض الآراء لبعض علماء هذا المذهب مما كان للقرآن الكريم فيه مجال وأي مجال .

### الكسائي والقرآن الكريم :

يعتبر الكسائي أحد القراء السبعة المشهورين ولعل هذه الصفة فيه تدل على أول أثر تركه القرآن في شخصيته حيث جعلها تعيش في رحابه وتنهل من شعاعه مما كان له الأثر الواضح في آرائه النحوية التي أبدأها حول كثير من الآيات الكريمة إذ لا يمكن لمثل هذه الصلة بين الكسائي

---

(١) الانصاف مسألة ٨٨ ص ٣٦٧

(٢) البقرة آية ٢٣

(٣) الانصاف مسألة ٨٩ ص ٣٧٠

(٤) سورة الملك آية ٢٠

(٥) سورة ابراهيم آية ١١

وكتاب الله لتمر هكذا دون أن تطبع آراءه ودراسته بالطابع القرآني والديني (١) .

وقد كانت آيات القرآن هي الحجج البالغة التي يتخذ منها دعامة لقواعده وآرائه فقد روى أنه وجه سؤالاً إلى أحد العلماء عن الفرق بين القول : أنا قاتل غلامك بدون تنوين قاتل ، وأنا قاتل غلامك بتنوينها (٢) ، فما كان من الرجل إلا أن نفى وجود فرق بينهما ، فأوضح الكسائي له خطأ اجابته وذكر له أن هناك فرقاً بين التعميرين ، فاسم الفاعل إذا لم يكن منوناً دل على المعنى ، وإن كان منوناً دل على الاستقبال ، فعلى هذا يكون معنى التعبير الأول : أنا قتلت غلامك ومعنى الثاني : أنا سأقتل غلامك ، وليدعم الكسائي رأيه ذكر لمخاطبه آية كريمة فيها فصل القول ومقطع الحديث وهي قوله تعالى : ( ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ) (٣) ، ( إلا أن يشاء الله ) (٤) .

فاستشهد الكسائي بالآية الكريمة وبناء قاعدة نحوية من خلالها دليل على أن القرآن الكريم كان له الأثر الكبير في الشخصية النحوية لهذا الرجل .

(١) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ٣٤٧ .

(٢) معجم الأديب لياقوت - ١٣ ص ١٧٧ .

(٣) سورة الكهف آية ٢٣ .

(٤) سورة الكهف آية ٢٤ .

## آراء أخرى للكسائي :

١ - قال تعالى : ( كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ) (١) يرى الكسائي أن كلا بمعنى حقاً أي : حقاً إن الإنسان ليطنى ، وقد رجح ابن هشام في المغني كونها بمعنى الا استفنافية وذكر بأن رأي الكسائي لا يتأتى في نحو قوله تعالى : ( كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَجْهُوبُونَ ) (٢) إذ تكسر همزة إن بعد أ لا استفنافية ولا تكسر بعد حقاً (٣) .

٢ - قال تعالى : ( وَوَلَّى عَلَى النَّاسِ حَاجُّ الْبَيْتِ مِّنْ اسْتِطَاعَ وَإِلَيْهِ تَسْبِيلًا ) (٤) .

اختلف في موقع من في الاعراب فليل : إنها بدل بعض من الناس ، وقال الكسائي : يجوز إعرابها بدلاً كما يجوز إعرابها مبتدأ (٥) .

وقد سجل له رأي آخر مفاده أن من شرطية وجوابها محذوف والتقدير : من استطاع فليلج ، ورد بأنه لاجابة إلى الحذف مع إمكان تمام الكلام (٦) .

وقال ابن السيد : إن من فاعل المصدر حج والمصدر مضاف إلى مفعوله وقد رد هذا الرأي بأنه يقتضي من جميع الناس أن يحج مستطيعهم وقادرهم وذلك باطل (٧) .

(١) سورة الملق آية ٦ .

(٢) سورة المطففين آية ١٥ .

(٣) المغني لابن هشام - ١ ص ١٨٨ .

(٤) سورة آل عمران آية ٩٧ .

(٥) المغني - ٢ ص ٥٣٦ .

(٦) شرح التصريح على التوضيح - ٢ ص ١٥٧ .

(٧) شرح التصريح على التوضيح - ٢ ص ١٥٧ .

٣ - قال تعالى : ( وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ) (١) يرى الكسائي ما يراه الأخفش كما تقدم من أن الضمير في هذه الآية قد حذف منصوباً بعد حذف الجار والتقدير : واتقوا يوماً لا تجزى فيه نفس عن نفس شيئاً فحذفت أولاً كلمة في ثم حذف بعدها الضمير بعد أن انتصب (٢) .

٤ - قال تعالى : ( وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِمْ ) (٣) .

يرى الكسائي : أن يتربص جرى خبراً عن الاسم الذي تقدم في صلة الموصول لأن الغرض من الكلام أن يتربصن هن (٤) .

٥ - قال تعالى : ( وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) (٥) .

يرى الكسائي أن كلمة كتاب منصوبة باسم الفعل المتأخر وهو عليكم ويكون التقدير : عليكم كتاب الله ، بينما يذهب غيره إلى غير هذا فنصب كتاب لكونه مصدرأ مؤكداً لفعل محذوف لأن معول اسم الفعل لا يتقدم عليه (٦) .

٦ - قال تعالى : ( وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) (٧) .

(١) سورة البقرة آية ٤٨ ، ١٢٣ .

(٢) حاشية الصبان = ٣ ص ٦٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٤ .

(٤) اعراب القرآن للزجاج = ١ ص ١٧٦ .

(٥) سورة النساء آية ٢٤ .

(٦) اعراب القرآن للزجاج = ١ ص ١٥٢ .

(٧) البقرة آية ٧ .

يرئى سيديويه أن عذاب مرفوع بالابتداء ولهم خبره بينا يرى أبو الحسن والكسائي أن عذاب مرفوع بلهم لأنها نائب عن فعل تقديره ثبت (١) .

وهذا ولم يكن الكسائي فقط يتناول الآيات فيبين فيها كلماتها وإعرابها وتبيان وجوها فقط ، بل كان أيضاً يرى القواعد مجردة عن كل شيء ثم يؤيدها بالقرآن فمن ذلك : قاعدة جواز حذف اللام الجازمة وإبقاء عملها في الكلام بشرط تقدم الفعل « قل » عليها (٢) وقد أيد الكسائي هذه القاعدة بقوله تعالى : (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) (٣) أي ليقوموها بينا يرى المبرد أن اللام لا تنحذف ويبقى عملها لا في الشعر ولا في النثر (٤) .

#### آراء الفراء :

يعتبر الفراء من ألمع نحاة الكوفة وأبرزها وكان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي (٥) ، ولقد كانت له هو الآخر آراء شتى في القرآن وبالقرآن ومنها :

١ - قال تعالى : ( أَمْثَنُ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ) (٦) يرى الفراء أن الهمزة في هذه الآية همزة نداء ، بينا يرى غيره أنها للاستفهام ،

(١) اعراب القرآن - ٢ - ص ٥١١ .

(٢) المغني لابن هشام - ١ - ص ٢٢٥ .

(٣) سورة ابراهيم آية ٣١ ،

(٤) المغني - ١ - ص ٢٢٥ .

(٥) بغية الوعاة للسيوطي ص ٤١١ .

(٦) سورة الزمر آية ٩ .

ويستبمد ابن هشام رأي الفراء ويقربه في الوقت ذاته بقوله : ويبعده  
أنه ليس في التنزيل نداء بغير ياء ويقربه سلامته من دعوى الجاز (١) .

٢ - قال تعالى : ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) (٢) يرى  
الفراء أن خاضعين خبر عن المضاف إليه وهو « هم » في كلمة « أعناقهم »  
وليس عن الأعناق ، ولو كان كذلك للزم أن يقال خاضعة ويرد عليه  
الزجاج صاحب إعراب القرآن بقوله : ان خاضعين خبر عن المضاف لأن  
الأعنان بمعنى الرؤساء أو يكون خبراً عن مضاف محذوف تقديره  
أصحاب أعناقهم (٣) .

٣ - قال تعالى : ( لَا جَرَمَ أَنْ هُمْ النَّارِ ) (٤) يرى الفراء أن  
كلمة جرم اسم للا وهو جار مجرى القسم والمعنى عنده لا بد من كذا (٥) .

٤ - قال تعالى : ( أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَهُ  
بِئِذٍ قَادِرِينَ ) (٦) كلمة قادرين مفعول به ثان لفعل محذوف تقديره : بلى  
يحببنا قادرين .

بينما يرى سيبويه أنها حال من الفاعل المقدر في قوله : بل نجمعها  
قادرين (٧) .

(١) المغني - ١ - ص ١٣ .

(٢) سورة الشعراء آية ٤ .

(٣) إعراب القرآن للزجاج - ٢ - ص ٧٤١ .

(٤) سورة النحل آية ٦٢ .

(٥) المغني - ١ - ص ٢٣٨ .

(٦) سورة القيامة آية ٣ ، ٤ .

(٧) المغني - ٢ - ص ٦٠٧ .

٥ - قال تعالى : ( يَدْعُونَ لِمَنْ حَظَرَهُ أَقْرَبُ مِنْ تَفَعُّلِهِ ) (١)  
يرى الفراء أن اللام في نية التأخير والتقدير : من لضره وهو خطأ لأن  
الصلة لا تتقدم على الموصول (٢) .

٦ - قال تعالى : ( وَأَرْسَلْنَاكَ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ) (٣)  
لقد اختلف في أو هذه فقال بعض الكوفيين أنها بمعنى الواو وقال  
البصريون أنها للإيهام أو التخيير ولكن الفراء يرى فيها أنها للاضراب  
بمعنى بل (٤) .

ومن القواعد التي رآها الفراء وأيدها باقي من القرآن الكريم :  
قاعدة مجيء للتوكيد إذا كانت زائدة (٥) ، وقد استدل لها بقراءة من  
قرأ قوله تعالى ( أَفْتَيْدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) (٦) بفتح الواو  
في « تهوي » وقد قيل في توجيه هذه القراءة أن هذا الفعل قد  
ضمن معنى « تميل » (٧) .

وهكذا رأينا الفراء الكوفي يتحلق حول القرآن الكريم ويبدلي بما  
يراه حول آياته حينما كما يتخذ منها أدلة لقواعده حيناً آخر . وهو في  
كل هذا العالم البارع الفذ .

ولم يكن الأمر مقتصرأ على هذين العالمين من أعلام الكوفة وروادها

(١) سورة الحج آية ١٣ .

(٢) اعراب القرآن للزجاج - ٢ ص ٦٩٠ .

(٣) سورة الصافات آية ١٤٧ .

(٤) المغني - ١ ص ٦٤ ذكرها صاحب البرهان - ٤ ص ٢١٠ .

(٥) المغني - ١ ص ٧٦ .

(٦) سورة ابراهيم آية ٣٧ .

(٧) البرهان للزركشي - ٤ ص ٢٣٤ .

بل تُعداه إلى غيرهما كذلك إذ وجدنا علماء كوفيين آخرين ينتهلون من القرآن نحوهم وقواعدهم وآراءهم :

فمن رجال الطبقة الرابعة الكوفية يعقوب بن إسحاق المعروف بان السكيت<sup>(١)</sup> فإنه يرى كسر عين متاع تبعاً لكلمة أنفسكم<sup>(٢)</sup> في قوله تعالى: ( إِنَّمَا بِفَيْسِكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا )<sup>(٣)</sup> .

ومن رجال الطبقة الخامسة أحمد بن يحيى المعروف بشملي<sup>(٤)</sup> يرى أن فاطر السموات من قوله تعالى ( رَبُّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ )<sup>(٥)</sup> منصوب على موضع المنادى وهو قوله يارب<sup>(٦)</sup> .

وهكذا فإننا نجد الكوفيين قد تأثروا بالقرآن كما تأثر غيرهم بل نعتقد بأنهم قد زادوا على من عداهم بكثير وحسبنا في ذلك أنهم رحبوا بكل قراءاته ولم يردوا شيئاً منها<sup>(٧)</sup> وهذا عكس ما صنع غيرهم كما سنذكر في باب القراءات وأثرها في النحو العربي .

### ٣ - المذهب البغدادي :

ما ان بنى العباسيون مدينة بغداد حتى أصبحت مهوى العلماء من

(١) نشأة النحو للطنطاوي ص ٥٣

(٢) اعراب القرآن للزجاج ج ١ ص ٣٨١ .

(٣) سورة يونس آية ٢٣ .

(٤) نشأة النحو للطنطاوي ص ٥٣ .

(٥) سورة الزمر آية ٤٦ .

(٦) اعراب القرآن للزجاج ج ٢ ص ٦٥٢ .

(٧) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي ص ٣٤١ .

شقى الأقطار والأمصار فأما العلماء والأدباء (١) ووجدوا في رحابها من الخلفاء ما لم يجدوه في غيرهم من ترحاب وتقدير فازدهر العلم والأدب في ربوعها وانتشرت في أنحاءها حلقات الفكر يتساجلون فيها ويتناقشون ، فكانت بذلك منارة شاخة لكل علم وفن وفكر .

وكان ممن قصدوها وكان له فيها مجال بزء به الآخرين ، وفاقهم في ميدانه علماء الكوفة ونحاتها حيث قصدوها ورحب بهم خلفاؤها (٢) وبخاصة أن للكوفة يداً طولى في تأسيس دولتهم وتكوينها ، فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا الخلفاء يختصون أهل الكوفة ويتخذون منهم سمار مجالسهم ومحط مشورتهم ومتأدب أولادهم وأبنائهم .

وقد استغل الكوفيون منزلتهم لدى خلفاء بني العباس فأخذوا ينشرون آراءهم وأفكارهم وقواعدهم فيتلقاها الناس مقتنعين بها حيناً أو مجاملين لأصحابها حيناً آخر في الوقت الذي وقفوا فيه وقفة صامدة في وجه خصومهم من البصريين فقطعوا عليهم في بداية الأمر فرصة تتيح لهم التملغل في بفسداد أو مجالسة الخلفاء لكن رغم ذلك لم يخل الأمر من نفاذ بعضهم إليها ووصوله إلى ما وصل إليه علماء الكوفة (٣) .

كما أن هذا لم يمنع شيوع آراء البصرة وقواعدها في ربوع بفسداد فقد تلقى بعض البغداديين نحوهم في بداية الأمر على يد علماء بصريين كما تلقى البعض الآخر عن علماء كوفيين .

غير أنهم طلعوا فيما بعد بمذهب اختاروا قواعده من مذهبي البصرة

(١) القواعد النحوية للاستاذ عبد الحميد حسن ص ١٠١

(٢) نفس المرجع

(٣) من تاريخ النحو للأفغانى ص ٩٣ .

والكوفة دون أن تكون لهم آراء مستقلة أو أفكار ذاتية إلا ما ندر .  
وعلى هذا فإن أثر القرآن في مذهبهم الاختياري الذي أشرنا إليه  
ما هو إلا عين الأثر الذي وجد في نحو البصرة والكوفة ، إلا أن ذلك  
لا يمنع من القول بأن للقرآن في النحو البغدادي إن أجزنا لأنفسنا هذه  
التسمية أثراً في النحاة البغداديين أنفسهم ، يظهر في آرائهم حول آيات  
القرآن وهو ما سنعرض له الآن .

### آراء لابن جني :

إن أول مظهر من مظاهر تأثير القرآن في ابن جني أنه دعاه ودفعه  
إلى تأليف كتابه المحتسب الذي صنعه ليبين ما شذ من القراءات ووجوه  
شذوذها وسنوفي الحديث عنه في معرض الكلام في القراءة الشاذة وكفانا  
في هذا الموضوع ما أشرنا به إليه .

ولقد كان ابن جني كذلك مثل غيره من النحويين إذ لم يكن  
القرآن الكريم بنأى عن حديثه وجدله ونقاشه فقد سجلت له كتب  
النحو واللغة آراء جمة حول كتاب الله ومواقع ما فيه من آيات وألفاظ  
فمن ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ - قال تعالى : ( أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ) (١)

يرى ابن جني أن كلمة يوم تحتل إعرابين أحدهما أنها ظرف زمان ،  
والآخر أنها منصوبة بمعنى ألا لأنها للتنبيه (٢) .

(١) سورة هود آية ٨ .

(٢) اعراب القرآن للزجاج ج ١ ص ٢٧٧ تحقيق الأبياري .

٢ - قال تعالى : ( تَمَنَّ عَفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ )<sup>(١)</sup> يرى ابن جنبي أن هناك جاراً لكلمة شيء قد حذف والأصل : فمن عفي له من أخيه عن شيء ، فلما حذف حرف الجر ارتفع الاسم على أنه نائب فاعل<sup>(٢)</sup> أو يكون مرفوعاً بفعل محذوف يدل عليه الفعل « عفى »<sup>(٣)</sup> .

٣ - قال تعالى : ( يُجَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ )<sup>(٤)</sup> يرى ابن جنبي أن جزم المضارع يغفر بدوت الفاء وذلك في قراءة ابن مسعود على اعتبار أنه بدل بعض أو بدل اشتغال من يجاسبكم<sup>(٥)</sup> .

٤ - قال تعالى : ( وَهَذَا بَعْثِي شَيْخًا )<sup>(٦)</sup> يرى ابن جنبي أن رفع شيخ على أربعة أوجه : أولها خبر لمبتدأ محذوف ، وثانيها أن بعلي بدل من هذا وشيخ خبر . وثالثها بدل من بعلي ورابعها أن يكون لفظاً بعلي وشيخ خبراً واحداً عن هذا<sup>(٧)</sup> .

٥ - قال تعالى : ( ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ )<sup>(٨)</sup> يوجه ابن جنبي قراءة الرفع في يدركه على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هو يدركه الموت : بينما هو مجزوم عطفاً له على يخرج من قوله تعالى ( وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ .

(٢) اعراب القرآن - ١ ص ١٠٩ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٢ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٤ .

(٥) المحتسب لابن جنبي ج ١ ص ١٤٩ .

(٦) سورة هود آية ٧٢ .

(٧) المحتسب لابن جنبي ج ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٨) سورة النساء آية ١٠٠ .

بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ (١) .

٦ - قال تعالى : ( وَاَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكُتُبِ ) (٢)  
يرى ابن جنبي بل ويرجح رفع أرجلكم في قراءة الحسن وبوجه ذلك  
بكونه مبتدأ وخبره محذوف والتقدير : وأرجلكم واجب غسلها (٣)  
إذ أنه والسيرافي كذلك ينكر الخفض على الجوار وهو ما يراه بعض  
النحاة في الآية (٤) .

### آراء للفرسي :

تلقى الفرسي العلم في بغداد وأخذ عن الكوفيين والبصريين ، فهو  
لذلك يؤيد هؤلاء مرة كما يؤيد أولئك مرة أخرى ، ولقد نسبت  
إليه آراء كثيرة كما أن له آراء عديدة في مجال القرآن الكريم  
وآياته منها .

١ - قال تعالى : ( وَدُّوا لَوْ كَانُوا تُدْهِينَ ) (٥) وقال كذلك :  
( يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ ) (٦) . يرى الفرسي أن لو في الآيتين  
حرف مصدرى بمنزلة أن ويوافق في ذلك ابن مالك والفرء (٧) .

٢ - قال تعالى : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ) (٨) .

(١) سورة النساء آية ١٠٠ .

(٢) سورة المائدة آية ٦ .

(٣) المحتسب لابن جنبي - ١ ص ٢٠٨ .

(٤) المغني لابن هشام - ٢ ص ٦٨٣ .

(٥) سورة القلم آية ٩ .

(٦) سورة البقرة آية ٩٦ .

(٧) المغني - ١ ص ٢٦٦ الأشموني - ٤ ص ٣٤ .

(٨) سورة الأحقاف آية ١٥ .

يرى الفارسي أن كلمة «إحساناً» منصوبة بضمير يدل عليه ما قبله وهو ووصينا الإنسان (١) .

٣ - قال تعالى : ( وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ) (٢) يجوز الفارسي أن يكون لفظ المراضع جمع المصدر مريض أو جمعاً للصفة مريض (٣) .

٤ - قال تعالى : ( وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِالَّذِينَ آمَنُوا دِينَكُمْ ، قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ) (٤) يرى الفارسي أن قوله تعالى : أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم في محل نصب مفعول له ولا يجوز أن ينتصب على أنه مفعول به لتعدي الفعل باللام (٥) .

٥ - قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ ) (٦) يرى الفارسي أن لفظ عيسى بدل من المسيح (٧) .

٦ - قال تعالى : ( وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ) (٨) يجوز الفارسي كون من ومن الأخيرتين في الآية زائدتين (٩) وهو بهذا يوافق الأخفش على زيادة من في الإيجاب كما تقدم .

ومن قواعد الفارسي التي استدلت لها بالقرآن الكريم موافقة الكوفيين

- 
- (١) اعراب القرآن للزجاج - ١ ص ٢٥ .
  - (٢) سورة القصص آية ١٢ .
  - (٣) اعراب القرآن للزجاج - ١ ص ٧١ .
  - (٤) سورة آل عمران آية ٧٣ .
  - (٥) اعراب القرآن للزجاج - ١ ص ١١٣ .
  - (٦) سورة آل عمران آية ٤٥ .
  - (٧) اعراب القرآن - ١ ص ٢٠٥ .
  - (٨) سورة النور آية ٤٣ .
  - (٩) المغني - ١ ص ٣٢٥ .

يجوز ورود عطف البيان ومتبوعه نكرتين ويستدل لها بقوله تعالى :  
 (ويُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) (١) وقوله كذلك ( أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ  
 مَسَاكِينَ ) (٢) وكذلك ( يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ) (٣)  
 وذلك على أن صديد وطعام وزيتونة عطف بيان من ماء وكفارة  
 وشجرة ، ويوافقه في ذلك ابن جنبي والرخشري وابن عصفور بينما  
 يخالفهم فيه أكثر النحويين ويوجبون فيه البدلية على اعتبار أن عطف  
 البيان خاص بالمعارف (٤) .

### آراء لابن الأنباري :

إن أبرز ما يوضح لنا أثر كتاب الله في نحو ابن الأنباري هو كتابه  
 القيم الذي صنعه لتبيان ما اختلف حوله نحاة البصرة والكوفة والذي  
 أسماه « الإنصاف في مسائل الخلاف » وهو رغم ما يدعيه في مقدمته من  
 أنه قد توخى الانصاف في حسم مسائل الخلاف حيث يقول : واعتمدت  
 في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة والبصرة على  
 سبيل الانصاف لا التعصب والاسراف (٥) إلا أنه كما يبدو ميل للبصريين  
 في كثير من آرائهم ، غير أن هذا لا يمنعنا من القول بأنه قد أبدع في  
 عرض ما اختلف فيه الفريقان وتفنيده ما لم يره صواباً .

(١) سورة ابراهيم آية ١٦ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٥ .

(٣) سورة النور آية ٣٥ .

(٤) الأشعوني - ص ٣٨٦ .

(٥) مقدمة كتاب الانصاف .

ولقد اعتمد ابن الأنباري كثيراً على آيات القرآن الكريم في تأييد ما انتصر له من الآراء أو تفنيدها لم يوافق عليه منها فأظهر لنا بذلك المدى الكبير للأثر الضخم الذي خلفه القرآن في ثقافته وقواعده وآرائه .

### انصاف ابن الأنباري :

لكي ندلل على ما ذهبنا إليه لا بد من أن نضرب أمثلة للآيات التي تحدث حولها من واقع مسائله التي صنعها في كتابه الانصاف ومن ذلك .

١ - يرى الكوفيون جواز تقديم معمول اسم الفعـل ويستدلون لذلك بقوله تعالى : ( كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ )<sup>(١)</sup> فيرد عليهم ابن الأنباري بقوله : أما احتجاجهم بقوله تعالى : كتاب الله عليكم ، فليس لهم فيه حجة لأن كتاب الله ليس منصوباً بعلينكم وإنما هو منصوب لأنه مصدر والعامل فيه فعل مقدر والتقدير فيه كتب كتاب الله عليكم<sup>(٢)</sup> .

٢ - يرى الكوفيون أن علامة التأنيث تدخل للفصل بين المذكر والمؤنث ويبطل ابن الأنباري ذلك مستدلاً بقوله تعالى ( يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ )<sup>(٣)</sup> فالفعل تذهل قد اقترن بعلامة التأنيث فلو كانت التاء فارقة لما كان لذكرها في هذه الآية مبرر لأن وصف الارضاع لا يكون للمذكر بل يختص بالمؤنث ، وبهذا ينتقض رأي الكوفيين<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة النساء آية ٢٤ .

(٢) الانصاف المسألة ٢٧ .

(٣) سورة الحج آية ٢ .

(٤) الانصاف مسألة ١١١ ص ٤٥٦ .

ونجد ابن الأنباري في كتابه أسرار العربية متخذاً من القرآن أدلته وشواهدة فهو مثلاً يرى أن الواو تقتضي الجمع دون الترتيب<sup>(١)</sup> ويتساءل في كتابه بقوله : فإن قيل : فما الدليل على أن الواو تقتضي الجمع دون الترتيب قيل : الدليل على ذلك قوله تعالى : ( وادْخُلُوا الْبَابَ مُسَجِّدًا ، وَقُولُوا حِطَّةٌ ) (٢) ، وقال الله تعالى في موضع آخر : ( وَقُولُوا حِطَّةٌ وادْخُلُوا الْبَابَ مُسَجِّدًا ) (٣) ولو كانت الواو تقتضي الترتيب لما جاز أن يتقدم في إحدى الآيتين ما يتأخر في الأخرى (٤) .

ويرد ابن الأنباري في موضع آخر ما يراه الأخفش وبعض النحاة كما ذكرنا من أن من قد تزداد في الإيجاب وهو في هذا الصدد يستعرض كل ما استدل به هؤلاء من الآيات ويفند فيها زعمهم بزيادتها بقوله : وما استدل به لاحجة له فيه لأن من ليست بزائدة (٥) .

وهو يرى أن من في قوله تعالى : ( وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنَ سَيِّئَاتِكُمْ ) (٦) للتبويض<sup>(٧)</sup> ويعمل لذلك بقوله : ( لأن من الذنوب مالا يكفر بآباده الصدقات أو إخفائها وإيتائها للفقراء وهي مظالم العباد ) (٨) .

(١) أسرار العربية لابن الأنباري ص ٣٠٢-٣٠٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٥٨ .

(٣) سورة الاعراف آية ١٦١ .

(٤) أسرار العربية ص ٣٠٣ .

(٥) أسرار العربية لابن الأنباري ص ٢٦٠ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٧١ .

(٧) أسرار العربية ص ٢٦٠ .

(٨) أسرار العربية ص ٢٦٠ .

وهي كذلك للتبعيض في قوله تعالى ( يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) (١)  
لأنهم إنما أمروا أن يفضوا أبصارهم عما حرم عليهم لا عما أحل لهم فدل  
على أنها للتبعيض وليست زائدة (٢) .

ومن نحاة بغداد المتأخرين نحوي كان له القدر المعلى بالنسبة للاعتماد  
على القرآن الكريم أو ابداء الرأي حول آياته ومواقعها وهو الزخشي  
الذي لم أر مثله أكثر اعتماداً وتأثراً بالقرآن منه ، فقد زخر كشافه بما امتلأ  
مفصلة بالآيات القرآنية يوردها تباعاً وفي المغني له من الآراء التي دارت  
حول آيات القرآن ما يصعب حصره أو عده ، ولعل آراءه الشخصية  
هذه تجعل للمذهب البغدادي شخصيته المستقلة التي لم تكن له في بدايته .  
ومن هذه الآراء : -

١ - يرى الزخشي جواز وقوع أم متصلة ومنقطعة ويستدل لذلك  
بقوله تعالى ( قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ  
أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) (٣) .

٢ - يرى الزخشي أن ما في قوله تعالى ( مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ ) (٤)  
اسم استفهام مبتدأ وبعوضة خبر والتقدير على ذلك : أي شيء البعوضة  
فما فوقها في الحقارة (٥) .

٣ - يوافق الزخشي الزجاج رأيه في أن إذا من قوله تعالى

---

(١) سورة النور آية ٣٠ .

(٢) اسرار العربية ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٣) سورة البقرة آية ٨٠ ، المغني ص ١ ص ٤٧

(٤) سورة البقرة آية ٢٦

(٥) المغني ص ١ ص ٣١٤

( فتإذا هي حَبِيَّةٌ تَسْمَى ) (١) .

ومن قوله : ( إِذَا لَسَهُمْ مَكْرَهُ ) (٢) ظرف زمان بينما يرى  
غيرها أنها حرف كالاخفش أو ظرف مكان كما عند المبرد (٣) .  
وبهذا كله مما عرضناه من آراء البغداديين في آيات الله ما يدل على  
أن تأثرهم بالقرآن كان بالغاً سواء ما شاركوا غيرهم الرأي فيه أو ما  
استقلوا به منه ، شأنهم في ذلك شأن بقية المذاهب والمدارس .

### المذهب الأندلسي :

لقد اقترنت النهضة العلمية التي سادت بلاد الأندلس الجميلة وشاعت  
في ربوعها بذلك الفتح الذي قام به أهل المشرق لهذه البلاد ، فما أن  
وطئت أقدام المشرقين أرضها حتى نقلوا إليها ما لديهم من علم وفكر  
وفن وحضارة حتى إذا ما رسخت أقدامهم فيها واستقر لهم الأمر  
عليها أصبحت بلاد الأندلس بلداً تتوج بالعلم والعلماء وتعمج بالفكر  
والمفكرين حتى كانت في يوم من الأيام مجمعاً للأوربيين من كل صقع  
وقطر يذهبون إليها وينتهلون من مناهلها ومعاهدتها وكتباتها (٤) .

ولقد كان لتشجيع الخلفاء والأمراء للأدب والأدباء وللغة واللغويين  
أكبر الأثر في تعدد مجالس الأدب واللغة حتى برز من خلال هذا  
التشجيع كثير من الادباء واللغويين الذين سجل لهم التاريخ أسماءهم

(١) سورة طه آية ٢٠

(٢) سورة يونس آية ٢١

(٣) المغني - ١ ص ٨٧

(٤) أدبيات اللغة العربية - ١ ص ٥٥ .

وحفظ لهم كثيراً من آثارهم التي لا تزال تتداولها حتى وقتنا الحاضر .  
ولم يكن النحو من بين تلك العلوم التي سادت المجتمع الأندلسي  
بأقل حظاً من غيره فلقد برز فيه كثير من أهل الأندلس ، كان لهم  
فيما بعد أعمق الأثر وأبعده في هذا العلم ومجالاته حتى كان النحو عندهم  
في نهاية من علو الطبقة (١) .

ولقد رأينا منهم علماء أجلاء أفنوا حياتهم في دراسة هذا العلم  
وتدريسه حتى نبغ منهم الكثيرون وكان لهم فيه أوسع شهرة وأعظم  
أثر وذلك كابن عصفور وابن مالك وأبي حيان ، وليس أدل على ذلك  
من أن الفية ابن مالك تعتبر من أروع المتون النظامية التي حفظت النحو  
مئات السنين ولا تزال حتى الآن مجالاً لتسابق العلماء في حفظها وشرحها  
واعرابها ، فقد وضعت حولها وفيها المصنفات المطولة والشروح العديدة  
كشرح الأشموني وابن عقيل والتوضيح ومنار السالك وغير هذه الكتب  
والمؤلفات التي تبلغ نحو الثلاثين مؤلفاً . ورغم نبوغ الأندلسيين في هذا  
العلم والتفاهم حوله يتعلمونه ويعلمونه ، ويرتحلون من أجله إلى المشرق (٢)  
وينتهلون من مناهله الثرة هناك ثم يعودون إلى بلادهم بما حملوا من دراية  
فيه ، غير أنهم في الواقع لم يزيدوا على أن ردّدوا ما رآه المشرقون  
وتلقوه بدورهم عنهم سوى ما اختص به النحاة بآراء فردية منبثة هنا  
وهناك ، شأنهم في ذلك شأن البغداديين والمصريين والشاميين .  
وهم مع هذا لم يبعدوا القرآن الكريم عن مجال آرائهم سواء منهم  
من بقي في الأندلس أم ارتحل عنها .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي - ٣ ص ٣٣٠ .

(٢) نشأة النحو للطنطاوي ص ١٠٥ .

ولعل أثر القرآن يظهر فيهم من حيث أن شغفهم بالنحو وتعلمه والانكباب عليه كان مدفوعاً برغبتهم في حفظ القرآن الكريم وحرصهم على سلامته من كل شائبة أو عادية وفي هذا يقول الدكتور ضيف معللاً اندفاع هؤلاء إلى تعلم النحو وإدراكه : يدفعهم إلى ذلك حفاظهم على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته وبذلك كان أكثرهم من قراء الذكر الحكيم ، وكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فينقلون هذه القراءات ويعودون إلى موطنهم فيرسمونها للناس بجميع شاراتها كما يرسمون لهم العربية بمقوماتها اللغوية (١) .

وإذا كان من أثر آخر للقرآن في نخاعة الأندلس فهو تلك الآراء التي بشها النخاعة الأندلسيون سواء منها ما وافقوا فيه غيرهم أم ما ابتدعوه واستقبلوا به وهذا ما سنمثل له فيما يلي :

#### آراء لابن عصفور :

- ١- قال تهـ الى : ( قالُوا كَيْفَ نَبْكَلِمٌ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) (٢) يرى ابن عصفور زيادة كان للتأكيد (٣) .
- ٢- قال تعالى : ( دَكَّنَا دَكَّنَا ) (٤) وقال ( صَفْنَا صَفْنَا ) (٥) يرى ابن عصفور أن هذا من باب التوكيد اللفظي (٦) ويرده صاحب

(١) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٢٨٨

(٢) سورة مريم ٢٩

(٣) البرهان للزركشي - ٣ ص ٧١

(٤) سورة الفجر ٢١ ، ٢٢

(٥) سورة الفجر ٢٢

(٦) البرهان - ٢ ص ٣٨٦

البرهان بأن هذا ليس من باب تكرر الأول بل المراد به التكثير ،  
أي دكا بعد دك وصفاً بعد صف نحو : علمته الحساب باباً باباً<sup>(١)</sup> .

٣- قال تعالى : ( أفلم يهد لهم كم أهلكنا )<sup>(٢)</sup> .

يرى ابن عصفور ان كم في الآية الكريمة فاعل للفعل يهد على اعتبار  
أن كم لا تلتزم الصدرية حسب لغة حكاها الأخفش ويخطيء ابن هشام  
هذا الرأي ويعتبره وهماً<sup>(٣)</sup> .

٤- قال تعالى : ( وفجرنا الأرض عيوناً )<sup>(٤)</sup> يرى ابن عصفور  
وجماعه من النحاة أن عيوناً في الآية تميز محول عن المفعول به ويرى  
غيرهم أنه حال<sup>(٥)</sup> .

ومن آرائه النحوية التي استدل عليها بالقرآن الكريم مايلي :

١- يرى ابن عصفور زيادة الباء بدون ليس<sup>(٦)</sup> ويستدل لذلك  
بقوله تعالى : ( أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم  
يعني بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى )<sup>(٧)</sup> .

ويؤيد صاحب البرهان هذا الرأي ويقويه ويدلل على زيادة الباء  
بقوله تعالى ( أو لم يروا أن الله السذي خلق السموات والأرض  
قادر على أن يخلق مثلهم و جعل لهم أجلاً لا ريب فيه )<sup>(٨)</sup> ،

(١) البرهان - ٢ ص ٣٨٦

(٢) سورة طه آية ١٢٨

(٣) المغني - ٢ ص ٥٨٩

(٤) سورة القمر آية ١٢

(٥) الأشموني - ٢ ص ١٩٩

(٦) البرهان - ٣ ص ٨٤

(٧) سورة الاحقاف ٣٣

(٨) سورة الاسراء ٩٩

فُسقوطها في بعض الأساليب دليل زيادتها .

٢- يرى ابن عصفور لزوم الجر بمن في تمييز كآين<sup>(١)</sup> ويستدل لذلك بكونه لم يرد في القرآن الكريم إلا كذلك مثل قوله تعالى : ( وكآين من نبي )<sup>(٢)</sup> وقوله ( وكآين من آية )<sup>(٣)</sup> وقوله أيضاً ( وكآين من دابة )<sup>(٤)</sup> ، بينما يرى سيبويه أنه قد يرد منصوباً غير مجرور وذلك كقول الشاعر :

اطرد اليأس بالرجا فكأي ألماً حم يسره بعد عسر<sup>(٥)</sup>

آراء لابن مالك :

يعتبر ابن مالك عالماً على النحو بحيث إذا أطلق اسمه انصرف إلى هذا العلم وإذا ما ذكر النحو كذلك ذكر معه ابن مالك وألفيته التي كان لها شأن كبير في هذا المجال والتي لا تزال مستنداً للعلم والعلماء . ولا يعنينا هنا أن نترجم لهذه الشخصية فهي أعرف من أن تعرف ولكن لا بد من التنويه بأنه كان من أكثر الناس اعتماداً على القرآن الكريم كما أنه كان من أكثر العلماء اتخاداً للحديث حجة ودليلاً في هذا الصدد وفيه يقول السيوطي : « وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث ، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب »<sup>(٦)</sup> .

(١) المغني - ١ ص ١٨٦

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٦

(٣) سورة يوسف آية ١٠٥

(٤) سورة المنكبوت آية ٦٠

(٥) المغني - ١ ص ١٨٦ - الأشموني - ٤ ص ٨٥

(٦) بغية الوعاة للسيوطي ص ٥٥

ولقد كان لابن مالك اختيارات من شتى المذاهب (١) كما كانت له مسائل انفرد بها ونميت اليه وقد عمل لها حصراً بعض المؤلفين .  
ولسنا الآن في صدد حصر ما اختاره أو ما انفرد به وكل ما نزيدة هنا هو تبيان مدى ما كان للقرآن في هذه الآراء ، من أثر فيها وإيضاح هذا فنضرب بعض الأمثلة من آرائه ومنها :

١- قال تعالى : ( حَقِّ عَقْوًا وَقَالُوا ) (٢) يرى ابن مالك أن حق في الآية حرف جر ويجرورها أن المقدره مع ما بعدها ، ويعقب عليه ابن هشام بقوله : ولا أعرف له في ذلك سلفاً وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة (٣)

٢- قال تعالى : ( فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ) (٤) يرى ابن مالك مع جماعة بأن الجملة : فمنهم مقتصد ، جواب لما (٥) بينما يرى ابن هشام ان جواب لما جملة فعلية محذوفة تقديرها انقسموا قسمين فمنهم مقتصد ومنهم غير ذلك (٦) .

٣- قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغُبِّ وَالنَّوَى ، يُنْجِرُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ) (٧) يرى ابن مالك أن مخرج معطوفة على يخرج لأن الاسم في تأويل الفعل (٨) بينما يرى الزنجشيري

(١) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٣١٠

(٢) سورة الاعراف آية ٩٥

(٣) المغني - ١ ص ١٢٩

(٤) سورة لقمان آية ٣٢

(٥) المغني لابن هشام - ٢ ص ٥٨٣

(٦) المغني لابن هشام - ٢ ص ٥٧٣

(٧) سورة الانعام آية ٩٥

(٨) البرهان - ٤ ص ١١٠

أنه عطف على فالتق الحب والنوى ، إذ لا يصح أن يكون عطفاً على  
يخرج لأنه ليس تفسيراً لقوله فالتق الحب بل هو قسم له (١) .

٤ - قال تعالى : ( اسكن أنتَ وزوجك الجنةَ ) (٢) يرى  
الجمهور أن زوجك معطوف على الضمير (٣) بينما يرى ابن مالك أن  
هذا من باب عطف الجمل على بعضها بعضاً والتقدير اسكن أنت ولتسكن  
زوجك (٤) ومثله قوله تعالى ( لا نُخَلِّفُه نَحْنُ ولا أنتَ ) (٥) .

٥ - قال تعالى ( ما يقالُ لكَ إلا ما قد قيلَ للرسلِ من قبلكَ  
إن ربك لذو مغفرةٍ وذو عقابٍ أليمٍ ) (٦) يرى ابن مالك رأي  
ابن جني في أن الجملة قد تبدل من المفرد وهو على ذلك يخرج الآية  
السابقة إذ يرى أن قوله : إن ربك . . الخ بدل من ما وجملتها (٧) .

٦ - قال تعالى : ( إنا كلا فيها ) (٨) يرى ابن مالك أن كلا  
حال من ضمير الظرف فيها (٩) ويضعف ابن هشام ما ذهب إليه ابن  
مالك من وجوب أحدهما : تقديم الحال على عامله الظرف وقطع كل عن  
الإضافة لفظاً وتقديراً لتصبح نكرة وبالتالي يصح أن تكون حالاً (١٠)

(١) نفس المرجع

(٢) البقرة آية ٣٥ - الاعراف ١٩

(٣) البرهان - ٤ ص ١١٤

(٤) البرهان - ٤ ص ١١٤ ، ٣ ص ١٢٥ - المغني - ٢ ص ٥٧٩

(٥) سورة طه آية ٥٨

(٦) سورة فصلت آية ٤٣

(٧) الهمع للسيوطي - ٢ ص ١٢٨

(٨) سورة غافر آية ٤٨

(٩) المغني - ١ ص ١٩٤

(١٠) المغني - ١ ص ١٩٤ - ١٩٥

ثم يرى أن الأجدود فيها أن تكون بدلاً من اسم أن (١) بينما يرى غيره أنها توكيد قطع عن الإضافة لفظاً (٢) .

ومن القواعد التي رآها ابن مالك وأيدها بالقرآن الكريم :

١- مجيء إلى بمعنى في (٣) ودليلها قوله تعالى ( لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ) (٤) .

ومثله من الشعر قوله :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلى به القار أجرب

ويبدو أن ابن عصفور لا يقر مثل هذا المعنى لإلى فيقول : ولو صح مجيء إلى بمعنى في لجاز « زيد إلى الكوفة » (٥) .

ومن موافقاته لغيره موافقته للكوفيين والأخفش في جواز إقامة غير المفعول به من المصدر أو الظرف أو الجار والجرور نائباً عن الفاعل مع وجود هذه الأشياء مجتمعة أو منفردة (٦) ويذهب في الاستدلال لذلك الرأي بما أورده القوم من قوله تعالى : ( لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) (٧) .

وهو بذلك يقول في ألفيته :

وقابل من ظرف أو من مصدر أو حرف جر بنسابة حري

(١) نفس المرجع ص ١٩٥

(٢) نفس المرجع ص ١٩٤

(٣) المغني - ١ ص ٧٥

(٤) سورة النساء آية ٨٧

(٥) المغني - ١ ص ٧٥

(٦) همع الهوامع للسيوطي - ١ ص ٣٧

(٧) سورة الجاثية آية ١٤

## من مصنفات ابن مالك :

ونحن إذا ماشئنا أن نقلب مكتبة ابن مالك فسنجد له في ثناياها مؤلفات ضخمة ومصنفات عديدة كانت ولا تزال مرجع اللغويين وطلاب النحو وعلمائه وان بين أيدينا كتاباً رغم صغر حجمه إلا أنه جزيل الفائدة كبير الدلالة على أثر القرآن الكريم في نحو هذا الرجل وشخصيته اللغوية وهذا الكتاب قد أسماه « شواهد التوضيح والتصحيح » لمشكلات الجامع الصحيح .

ولقد اختار ابن مالك لكتابه هذا منهجاً واضحاً كل الوضوح فهو يتألف من واحد وسبعين بحثاً استهل كلامها بالقاعدة المطلوب توضيحها أو شرحها ثم حشد لذلك من الأدلة العدد الوافر بادئاً بالحديث الشريف ثم مؤيداً ذلك ومقوبلاً له بالآيات الكريمة ثم أقوال العرب شعرها ونثرها . فهو مثلاً في الباب الخامس والثلاثين يتحدث عن وقوع خبر كاد مقروناً بأن ويقول فيه إنه أمر قد خفي على أكثر النحويين<sup>(١)</sup> ونراه يذهب في الاستدلال له بعدة أمثلة وأدلة منها قول عمر رضي الله عنه : ماكدت أن أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ومنها كذلك قول أنس : فما كدنا أن نصل إلى منازلنا<sup>(٢)</sup> ورغم أن ابن مالك يجوز وقوع مثل هذا إلا أنه يرى كما يرى بقية النحاة من أن عدم الاقتران أكثر وأشهر<sup>(٣)</sup> ويستدل على ذلك بقوله : ولذلك لم يقع في

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ٩٩

(٢) نفس المرجع ص ٩٨

(٣) نفس المرجع ص ٩٩

القرآن إلا غير مقرون بأن<sup>(١)</sup> نحو قوله تعالى : ( وما كادوا يفعلون )<sup>(٢)</sup>  
 وقوله كذلك ( لا يكادون يفقهون حديثاً )<sup>(٣)</sup> وقوله أيضاً ( كاد  
 يزيد قلب فريرٍ منهم )<sup>(٤)</sup> وقوله ( لقد كيدت تتركن إليهم )<sup>(٥)</sup>  
 وقوله : ( أكاد أخفيها )<sup>(٦)</sup> وقوله : ( يكادون يسطون )<sup>(٧)</sup>  
 وقوله : ( يكاد سنًا برقه يذهب بالأبصار )<sup>(٨)</sup> .

وزاه في موضع آخر يستدل بحشد من آيات القرآن الكريم على  
 جواز حذف المعطوف للعلم به : فبعد أن استدل لذلك بقول النبي ﷺ  
 اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر « ذكر لتأييد رأيه عدة آيات  
 حذف فيها المعطوف للعلم به وهي قوله تعالى ( فمن كان منكم مريضاً  
 أو على سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ أخره )<sup>(٩)</sup> أي فأفطر وقوله كذلك  
 ( ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ماقتل من النعم )<sup>(١٠)</sup>  
 أي ومن قتله منكم متعمداً أو غير متعمد<sup>(١١)</sup> وقوله ( وجعل لكم  
 سراويل تقيكم الحرَّ وسراويل تقيكم بأسكم )<sup>(١٢)</sup> أي تقيكم

(١) نفس المرجع ص ٩٩

(٢) سورة البقرة آية ٧١

(٣) سورة النساء آية ٧٨

(٤) التوبة آية ١١٧

(٥) الاسراء آية ٧٤

(٦) سورة طه آية ١٥

(٧) سورة الحج آية ٧٢

(٨) سورة النور آية ٤٣

(٩) سورة البقرة آية ١٨٤

(١٠) سورة المائدة آية ٩٥

(١١) شواهد التوضيح ص ١١٣

(١٢) النحل آية ٨١

الحر والبرد (١) .

وبمثل هذا النهج سار ابن مالك في كتابه إذ لا يكاد يخلو بحث من بحوته إلا واستدل له بالقرآن الكريم بأكثر من شاهد أو شاهدين .

ولا يقف بنا الأمر عند هاتين الشخصيتين الأندلسيتين بل نجسد هناك شخصيات أخرى كان لها نصيبها من القرآن الكريم حيث أسهمت في الاستدلال به أو التحدث حوله وذلك كأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين وهو نحوي أندلسي ضليع قال عنه السيوطي : « وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيها ، خدم هذا الفن حق صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيها » (٢) ، وهو كلام فيه مبالغة .

ومن آرائه النحوية القرآنية قوله إن الشرط قد يحذف ان دل عليه دليل (٣) وقد استدل أبو حيان لذلك بقوله تعالى : ( قل فليم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ) (٤) أي إن كنتم آمنتم بما أنزل اليكم فلم تقتلون (٥) .

ويرى كذلك أن اللام في قوله تعالى ( ولقد آتينا موسى الكتاب ) (٦) للتأكيد بينما يرى الواحدي أنها لام القسم (٧) .  
ونجد أبا حيان كذلك يخطيء الزغشري فيما يراه من أن خبر ان

(١) شواهد التوضيح ص ١١٤

(٢) بغية الوعاة للسيوطي ص ١٢١

(٣) البرهان للزركشي - ٣ ص ١٨١

(٤) البقرة آية ٩١

(٥) البرهان - ٣ ص ١٨١

(٦) سورة القصص ٤٣

(٧) البرهان - ٤ ص ٣٣٨

الواقعة بعد لو يجب أن يكون فعلاً، فيقول : هو وهم وخطأ فاحش<sup>(١)</sup>.  
ويستدل على تخطئته هذه بقوله تعالى : ( ولو أن ما في الأرض من  
شجرةٍ أقلامٌ )<sup>(٢)</sup> فقد ورد خبر ان هنا إسمياً لا فعلاً .

ومن النحاة الأندلسيين كذلك الشلوبين فقد كانت له آراء حول  
القرآن الكريم فمن ذلك موافقته لسيبويه في جعل لا من قوله تعالى  
( لئلا يعلمَ أهلُ الكتابِ )<sup>(٣)</sup> زائدة<sup>(٤)</sup> وكذلك نجده يمنع ويوافق  
ابن عصفور كون فعل الشرط ماضياً حتى ولو كان الفعل ماضياً<sup>(٥)</sup>  
ويتأولون قوله تعالى : ( إن كنتُ قلتُهُ )<sup>(٦)</sup> وقوله كذلك ( إن  
كانَ قبيصُهُ قُدًّا )<sup>(٧)</sup> بتقدير فعل مستقبل تقديره ان أكن كنت قلته ،  
ويرى ابن الضائع الأندلسي أن هذا تكلف لا حاجة اليه ويرى أن  
كنت بمعنى أكن دون تقدير<sup>(٨)</sup> .

ومن كل ما عرضناه من أمثلة قرآنية اتخذها نحاة الأندلس كأدلة  
على ما يرون من قواعد أو آراء مختلفة حول مواقع الآيات وألفاظها ،  
من كل هذا يتبين لنا أن القرآن كان له أكبر الأثر في نحو الأندلس  
وعلمائها . وهم في ذلك لا يقلون عن غيرهم من علماء الأمم الأخرى ،

(١) البرهان - ٤ ص ٣٦٩

(٢) سورة لقمان آية ٢٧

(٣) سورة الحديد آية ٢٩

(٤) البرهان - ٣ ص ٧٩

(٥) نفس المرجع

(٦) سورة المائدة آية ١١٦

(٧) سورة يوسف آية ٢٦

(٨) البرهان - ٢ ص ٣٥٧

إذ لاغرو في ذلك فالقرآن كتاب البيان والفصاحة والبلاغة على مر  
الدهور والأيام .

### ٥ - المذهبان المصري والشامي :

لقد كان لمصر والشام منذ أن وجدنا على ظهر هذه البسيطة أثرهما  
الجي في احتضان الفكر الإنساني بشق أنواع معلوماته ، فقد سجل لها  
التاريخ أنها كانت مأوى لحضارات كثيرة متمدة تعاورت على أرضها  
عبر الوجود ، فقد تعرض القطران في تاريخهما الطويل لغزوات شق  
كانت جميعها تحمل في طياتها مدينة الغازين وحضارة الفاتحين فتجدد في  
رحاب أرضها تربة خصيبة للتأصيل والتطوير : بحيث تصبح مسند  
الحضارات على مر الأيام حضارات أصيلة تنسب إلى أهلها أصحاب  
البلاد .

ولا غرو بعد ذلك إذا وجدنا أرض هذين القطرين مع الأيام تجم  
بالفكر والمفكرين وتمتلىء بالعلم والعلماء .

ولقد نال النحو من هذين البلدين كما نال من غيرهما من الأقطار  
الاسلامية فقد وجدنا أهلها ينكبون عليه دراسة وتأليفاً ، كما رأينا  
يرحلون من أجله رحلات طويلة يتتبعون منابعه الثرة في أرض العراق  
ليعودوا بعدها إلى أقطارهم وقد حملوا في صدورهم من موضوعاته ما  
يؤهلهم لأن يتصدروا صدور المساجد ليمتلق الناس حولهم يعبون بما  
أعطاهم الله من هذا العلم .

ولم يبدأ علم النحو في مصر والشام بداية قوية كما بدأها في أرض  
العراق فقد بدأ فيها كما بدأ في بقية الأمصار الاسلامية ، علماء من

هنا وهناك يرتحلون ويجتمعون بعلماء النحو ورجالهم ويأخذون عنهم مسائله ثم يعودون يرددون ما سمعوا ويرجعون أحياناً بين ما أخذوا من هنا ومن هنا ويطلعون أحياناً أخرى بآراء شخصية حتى أصبح في النهاية لهذين القطرين رجالهما المعروفون وعلماؤهم المرموقون ، حيث ذاعت أسماؤهم وشاعت مؤلفاتهم وتحدث عنهم وعن نبوغهم أساتذتهم في بغداد وغيرها ، مما جعل الناس في نهاية الأمر ينسبون إليهم أنهم أصحاب مدرسة معينة ومذهب خاص .

ولكننا في الواقع إذا تدبرنا حقيقة الأمر وما كان عليه علماء مصر والشام في ذلك الوقت فلا نجد بأي حال يخرج عما كان عليه علماء الأندلس وبغداد من ناحية أنهم لا يملكون منهجاً معيناً في بناء القواعد النحوية أو استخلاصها وإنما كانوا كثيرهم مختارين ومرجحين ورافضين وإن منهم من يميل إلى البصريين ومنهم من يميل إلى الكوفيين ومنهم كذلك من يحاول التوفيق بين الطرفين دون تحيز إلى أحدهما إلا بمقدار ما تتضح له قوة الرأي ووجهة دليله وذلك كما صنع ابن هشام في مفسره حيث نراه يرجح للبصريين بعض آرائهم كما يرجح للكوفيين بعضاً آخر مما يرون ، وإن كان ينتصر أحياناً للبصريين فما ذلك عن تحيز لهم ، وإنما عن اقتناع بما يرون .

وعلى هذان فإن مدرستي مصر والشام لاتعدوان أن تكون كل منهما محصلة للآراء النحوية ومجمعة لها في مصنفات ومتون كان لها الفضل الكبير في تسجيل كل ما قيل تقريباً في هذا العلم من آراء وقواعد ونظريات وصلت إلينا وما زلنا نطلع عليها ونرددتها شاهدين لأهلها بالفضل والاخلاص .

وإذا كانت هذه طبيعة هاتين المدرستين فإن هذا لا يمنع أبداً من أن يرى علماء هاتين المدرستين آراء شخصية فردية بثت هنا وهناك سواء أكان ترجيحاً لرأي أم نقضاً له واستقلالاً به ، لكن هذه أمور تظل فردية بحجة لم تصطبغ بها الجماعة في القطرين .

ولعل سائلاً يسأل هنا ، لماذا درج المؤلفون في الغالب على جمع القطرين في حديث واحد عنها ، في الوقت الذي أفرد الحديث فيه عن بقية الأقطار الإسلامية التي كان لها شأن في هذا المجال .

والإجابة على ذلك نقول : إن اشتغال المصريين والشاميين بعلم النحو كان كما يبدو في وقت متقارب ، إن لم يكن في وقت واحد ، بالإضافة إلى أن القطرين معاً كانا الحضن الحنون الذي تلقى في رحابه علم النحو وعلماءه ، عندما نكب ونكبوا في بغداد على يد المغول وفي الأندلس على يد الفرنجة .

وهذا يعني أن هجرة العلماء من بغداد والأندلس كانت إلى القطرين في وقت واحد لانهما كانتا مستقلتين وتحقق عليهما راية واحدة للماليك الذين تولوا أمرهما (١) .

وهذا ما جعل العلماء ينتقلون بينها كما ينتقل أبناء القطر الواحد بين مدنه وقراه .

وهذا بالإضافة إلى أن الصلة التعاونية بين مصر والشام كانت وثيقة إلى أبعد حد عبر تاريخها حتى وقتنا الحاضر ، وهو ما جعل المؤرخين

---

(١) نشأة النحو للطنطاوي ص ١٢٠

وجعلنا نخذو حذوهم في التاريخ لهذين القطرين في حديث واحد وموضع واحد .

غير أننا في صدد الحديث عن نحو هذين القطرين ومدى أثر القرآن فيه نرى أن نتحدث عنها كلاً على حدته ، إيضاحاً للأمر وتيسيراً على القارئ وقبل التحدث بالتفصيل عن الآراء النحوية التي وردت لعلماء هذين القطرين حول آيات القرآن الكريم ، لا بد من القول بأن هذا الأثر لا بد أن يظهر في النحاة المصريين والشاميين كما ظهر في غيرهم من علماء بقية الأمصار .

ولعل هذا الأثر سيبدو أول ما يبدو فيما ذكره الدكتور شوقي ضيف حيث قال : كان طبيعياً أن تنشط دراسات النحو في مصر مبكرة مع العناية بضبط القرآن الكريم وقراءاته ، مما دفع إلى نشوء طبقة من المؤدبين على غرار ما حدث في الأندلس ، حيث كانوا يعلمون الشباب في الفسطاط والاسكندرية حتى يحسنوا تلاوة الذكر الحكيم (١) .

وليس من شك في أن تلاوة القرآن وحسن أدائه وضبط آياته إذا كانت هذه كلها دوافع لتعلم النحو فهو يعتبر من أكبر الآثار التي يمكن لنا أن نسجلها للقرآن في نحو مصر ونحاتها .

ولعل الأثر الثاني للقرآن الكريم في نحو مصر ومدرستها هو ما تجلى في آرائهم وأقوالهم سواء أكانوا فيها تابعين ومقلدين أو مجددين ومبتدعين وهذا ما سنعرض له من خلال الشخصيات النحوية الآتية :

---

(١) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٣٢٧

## آراء للنحاس :

نحوي مصري كان من رواد الرحلة إلى بغداد وقد تلقى نحوه عن مشاهير البصريين كالأخفش والزجاج والمبرد<sup>(١)</sup> .

ومن آرائه النحرية القرآنية مايلي :

١ - قال تعالى : ( يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ )<sup>(٢)</sup> يرى النحاس أن من في الآية للتبويض لا لابتداء الغاية كما يرى غيره<sup>(٣)</sup> في الوقت الذي يرى فيه أن من في قوله تعالى ( الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ )<sup>(٤)</sup> لا ابتداء الغاية وليست بمعنى عن كما يرى سيبويه<sup>(٥)</sup> .

٢ - قال تعالى : ( وَإِنْ كَلَّمْنَا جَمِيعًا لَّيَسَّرْنَا مَضْرُونَ )<sup>(٦)</sup> يعتبر سيبويه كلمة « ما » في الآية لغواً ويقره النحاس على ذلك ويعمله بكون ما بعد ما مفرداً<sup>(٧)</sup> . ونجده لا يكتفي بذلك بل ويقيس الآية على قوله تعالى ( تَمَامًا عَلَى السُّنِّي أَحْسَنَ )<sup>(٨)</sup> .

وللنحاس كذلك قواعد نحوية رأها ودلل عليها بالقرآن الكريم ومنها على سبيل المثال وقوع التوكيد اللفظي بذكر مرادف اللفظ

(١) معجم الأدباء - ٤ ص ٢٢٤ . بغية الوعاة ص ١٥٧

(٢) سورة الأحقاف آية ٣١

(٣) البرهان للزركشي - ٤ ص ٤٢٤

(٤) سورة قريش آية ٤

(٥) البرهان - ٤ ص ٤٢٠

(٦) سورة يس آية ٣٢

(٧) البرهان - ٤ ص ٤٢٠

(٨) سورة الأنعام آية ١٥٤

الأول (١) ويستدل لذلك بقوله تعالى : ( سُبُلًا فِجَاجًا ) (٢) وقوله ( ضيقًا حرَجًا ) (٣) ويرى النحاس أن منه قوله تعالى : ( فِيمَا إِنَّ مَكْنَسًا كَمِ فِيهِ ) (٤) على اعتبار أن لفظي ما وأن للنفي (٥) .

آراء لابن بابشاذ :

نحوي مصري آخر كان للقرآن في آرائه أثر واضح ومنها :

١- وجود تفاوت زمني بين السين وسوف : يرى ابن بابشاذ أن هناك فرقاً زمنياً بين السين وسوف : وقد صرح بذلك الزنجشيري وابن الخشاب وابن يعيش وابن أبان وابن عصفور (٦) وقد استدل هؤلاء بقوله تعالى : ( وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ ) (٧) وبقوله كذلك : ( سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاكُمْ ) (٨) .

٢- ويرى كذلك أن الفرق بين السين وسوف أن الأخيرة تستعمل كثيراً في التهديد كما تستعمل قليلاً في الوعد (٩) ويمثل للأول بقوله تعالى : ( وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ) (١٠)

(١) البرهان - ٢ ص ٣٨٥

(٢) سورة نوح آية ٢٠

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٥

(٤) سورة الاحقاف ٢٦

(٥) البرهان - ٢ ص ٣٨٦

(٦) البرهان - ٤ ص ٢٨٢

(٧) سورة الزخرف آية ٤٤

(٨) سورة البقرة آية ١٤٢

(٩) البرهان - ٤ ص ٢٨٣

(١٠) سورة الفرقان آية ٤٢

وللثاني قوله تعالى . ( وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ) (١) وكذلك  
قوله ( فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ) (٢) .

وأما التين فكثير فيها الوعد ويقل فيها الوعيد (٣) ومثال الأول :  
( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) (٤)  
ومثال الثاني ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) (٥) .

ولا يجدر بنا ونحن نؤرخ وتحدث عن نحو مصر أن ننسى في هذا  
الجال نحوياً ساطعاً قد شهر شهرة فائقة وكان له شوط واسع في هذا  
الجانب وهو ابن الحاجب عمرو بن عثمان صاحب الكتابين الشهيرين  
في النحو والصرف وهما الكافية والشافية ، ولقد سجل ابن الحاجب  
لنفسه آراء نحوية أقامها على أساس من القرآن الكريم فمنا :

١ - ان الجوابية التي بمعنى نعم لا تقع إلا بعد الاستفهام : يزعم  
ابن الحاجب كما يقول المغني ان هذه الجوابية لا تقع إلا بعد الاستفهام (٦)  
ودلل لها بقوله تعالى : ( وَبَسْتَنْبُؤُنكَ أَحَقُّ هُوَ ، قُلْ لِي وَرَبِّي  
إِنَّهُ لَاحِقٌ ) (٧) في الوقت الذي يرى فيه غيره أنها لا تقع إلا  
قبل القسم (٨) .

(١) سورة الضحى آية ٥

(٢) سورة المائدة آية ٥٤

(٣) البرهان - ٤ ص ٢٨٣

(٤) سورة مريم آية ٩٦

(٥) سورة الشعراء آية ٢٢٧

(٦) المغني لابن هشام - ١ ص ٧٦

(٧) سورة يونس آية ٥٣

(٨) المغني - ١ ص ٧٦

٢- يرى ابن الحاجب ان إذا في قوله تعالى : ( وَإِذَا تَسْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ ) (١) : غير شرطية وهي لهذا لا تحتاج إلى جواب وأن ما بعد ما عامل فيها كعمل ما بعد لا فيها قبلها - وهو يوم (٢) من قوله تعالى : ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ) (٣) وان ذلك من التوسع في الظرف (٤) .

وقد تعقبه ابن هشام ورد عليه بثلاثة أمور هي :

- ١- هذا التوسع خاص بالشعر .
- ٢- لا تقاس ما على لا لكون ( ما ) لها الصدر .
- ٣- لا في الآية حرف ناسخ (٥) .

#### ابن هشام والقرآن الكريم :

يعتبر ابن هشام من أعظم النحاة المصريين وأطولهم باعاً في علم النحو وأكثرهم استقصاءً وأدقهم تحليلاً ونقضاً وتعليلاً . حتى قال عنه ابن خلدون « مازلنا ونحن بالمغرب نسمع بأنه قد ظهر في مصر رجل يعرف بابن هشام ظهر من كلامه أنه قد استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتها لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وحسن تصرفه فيه » (٦) .

(١) سورة الجاثية آية ٢٥

(٢) المغني - ١ ص ٩٨

(٣) سورة الفرقان آية ٢٢

(٤) المغني - ١ ص ٩٨

(٥) المغني - ١ ص ٩٨ ، ٩٩

(٦) تاريخ ابن خلدون ( العبر وديوان المبتدأ والخبر ) ص ١٠٢٢ المجلد الأول طبعة

لبنان .

ولقد كان لابن هشام في تدوين علم النحو وتسجيل حقائقه وجزئياته فضل عظيم ، كما كان له دور كبير في الترجيح بين هذه الجزئيات ورد بعضها وتأييد بعض آخر منها وهو في ذلك كله النحوي المدون والنحوي الناقد والنحوي المؤيد والنحوي الرافض وأنه كذلك في كل مؤلفاته ومصنفاته .

ولم يكن القرآن الكريم ببعيد عن نحو هذا الرجل بل كان هو الغالب في شواهد وأدلة ونسطيع أن ندرك هذا تماماً ونقف عليه بكل جوانبه إذا ما تصفحنا كتابه الوافي الذي أسماه «مغني اللبيب عن كتب الأعراب» فهو كتاب رائع حوى من فوائد النحو وحقائقه ما لم يحوه كتاب آخر .

فقد اعتمد صاحبه كثيراً على الاستشهاد بالآيات الكريمة بحيث أن مصنفاً آخر لم يبد فيه للقرآن أثر ، كما بدا في كتاب ابن هشام ، ولعل ما يدل لنا على ذلك أن الناظر إليه لأول وهلة يظنه مصحفاً مفسراً آياته ولا يخطر بباله أنه كتاب نحو قد اتخذ من القرآن أدلته على ما فيه ، وفي تقرير ابن خلدون عنه ما يؤيد ذلك حيث يقول عنه : وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وسماه المغني فوقفنا منه على علم جم يشهد له بملو قدره في هذه الصناعة (١) .

وكما نقف على أثر القرآن في نحو ابن هشام فليس هناك أجدر من أن نستعرض كتابه هذا فهو أسطع دليل على مقدار هذا الأثر ومداه في شخصية هذا النحوي المصري .

---

(١) من مقدمة ابن خلدون - اختيار الاستاذ رضوان ابراهيم ص ٢٩٤ ط وزارة الثقافة والارشاد القومي .

## أثر القرآن الكريم في هذا الكتاب ،

لعل أول أثر للقرآن في هذا الكتاب يظهر لنا في مقدمته التي أوردتها صاحبه في صدد الحديث عن تلافيه للتكرار الذي وقع فيه غيره من العلماء حيث يقول : عنهم : فزاهم يتسكلمون على التركيب المعين بكلام ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام ، ولم يجد ابن هشام للتمثيل على ما يقول أولى وأجدر من آيات القرآن الكريم حيث يواصل كلامه فيقول : ألا ترى حيث مر بهم مثل الموصول في قوله تعالى : (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (١) ذكروا ان فيه ثلاثة أوجه : وحيث جاءهم مثل الضمير المنفصل في قوله تعالى : ( إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (٢) ذكروا فيه ثلاثة أوجه أيضاً ، وحيث جاءهم مثل الضمير المنفصل في قوله تعالى : ( كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ) (٣) ذكروا فيه وجهين ويكررون في ذلك الخلاف فيه : إذا أعرب فصلاً أنه محل باعتبار ما قبله أم باعتبار ما بعده أم لا محل له .  
والخلاف في كون المرفوع فاعلاً أو مبتدأ إذا وقع بعد إذا في نحو قوله تعالى : ( إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ) (٤) أو أن في نحو ( وإن امرأة خافت ) (٥) أو الظرف في نحو ( أفى الله شكك ) (٦) أو لو في ( وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ) (٧) وكذلك في كون أن وأن وصلتها

(١) سورة البقرة آية ٢٠٢

(٢) سورة البقرة آية ١٣٧

(٣) سورة المائدة آية ١١٧

(٤) سورة الانشقاق آية ١

(٥) سورة النساء آية ١٢٨

(٦) سورة ابراهيم آية ١٠

(٧) سورة الحجرات آية ٥

بمعد حذف الجار في نحو (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (١) ونحو (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ) (٢) في موضع خفض بالجار المحذوف (٣) . فإذا كانت المقدمة تطالعنا بهذا القدر الهائل من الآيات تمثيلاً بها على النهج الذي اتبعه في تأليف هذا الكتاب ، فليس من الغريب إذن أن يتلىء هذا المصنف بآيات الله الكريمة مقدره بقدر ما أورده المؤلف من جزئيات وآراء زخر بها في حناياه وبين سطوره . ولعلنا نستطيع أن ندرك مدى ما للقرآن من أثر في هذا الكتاب ، إذا نحن عرفنا أن ما احتوى عليه من الآيات يقرب من ألف وتسعمائة وثمانين ما بين آية وجزء آية متخذاً منها أدلة على قاعدة أو مسألة متبعماً فيها ما قيل حولها من آراء .

ومقارنة بين هذا العدد الضخم من الشواهد القرآنية وما ورد في الكتاب من شواهد شعرية وقدرها تسعمائة وتسعة وأربعون بيتاً وشطراً ، تريننا بالفعل أن ابن هشام قد اعتمد اعتماداً كلياً على القرآن الكريم في صنع مؤلفه هذا . ولتبيان ما قلناه يجدر بنا أن نعرض لبعض الأمثلة وهي :

١ - في حديث ابن هشام عن (أن) المصدرية الناصبة للمضارع نجده قد حشد للتدليل على الموضعين اللذين تقع فيها كثيراً من الآيات كأدلة على كل موضع .

فقد أورد في تدليله على كون أن ومعمولها مبتدأ في محل رفع

(١) سورة آل عمران آية ١٨

(٢) سورة النساء آية ٩٠

(٣) مقدمة كتاب المغني ص ١١

قوله تعالى : ( وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ )<sup>(١)</sup> وقوله ( وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ )<sup>(٢)</sup> وقوله ( وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ )<sup>(٣)</sup> وقوله : ( وَأَنْ تَعْتَفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى )<sup>(٤)</sup> .

ولم يكتف ابن هشام بما يصلح في نظره أدلة على ذلك ، بل أورد ما يراه غيره مما يخالفه هو حيث قال (٥) : وزعم الزجاج أن منه ( أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ )<sup>(٦)</sup> أي خير لكم ، وكذلك قوله تعالى : ( فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ )<sup>(٧)</sup> وكذلك قوله ( وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ )<sup>(٨)</sup> .

وأما بالنسبة للموضع الثاني : وهو وقوعها في موضع رفع أو نصب أو خفض إذا وقعت بعد لفظ دال على معنى غير اليقين<sup>(٩)</sup> فلم يأل ابن هشام جهداً في تتبع كل ما ينطبق على ذلك من آيات الله ، فأورد لذلك قوله تعالى ( أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ )<sup>(١٠)</sup> وقوله ( وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا )<sup>(١١)</sup> وأما النصب فكقوله تعالى : ( وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى )<sup>(١٢)</sup> وقوله ( يَقُولُونَ

- 
- (١) سورة البقرة آية ١٨٤
  - (٢) سورة النساء آية ٢٥
  - (٣) سورة النور آية ١٠
  - (٤) سورة البقرة آية ٢٣٧
  - (٥) المفني - ١ ص ٢٧
  - (٦) سورة البقرة آية ٢٢٤
  - (٧) سورة التوبة آية ١٣
  - (٨) سورة التوبة آية ٦٢
  - (٩) المفني - ١ ص ٢٧ ، ٢٨
  - (١٠) سورة الحديد آية ١٦
  - (١١) سورة البقرة آية ٢١٦
  - (١٢) سورة يونس آية ٣٧

نَحْشَى أَنْ تُصَيِّبَنَا دَاثِرَةٌ (١) وقوله ( فَتَارَدْتُ أَنْ أَعْيِبَهَا ) (٢)  
 وأما أدلة الحذف (٣) فقوله تعالى : ( أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ  
 تَأْتِينَا ) (٤) وكذلك ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ) (٥)  
 وقوله ( وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ ) (٦) .

ومثال احتمالهما أي الجر والنصب قوله تعالى : ( وَالَّذِي أُطْمِعُ أَنْ  
 يَغْفِرَ لِي ) (٧) ولقد اعتمد ابن هشام في مغنيه على آيات القرآن  
 الكريم حيث ظهر ذلك في ثلاثة مظاهر لهذا التأثير وهي :

- ١ - آيات استشهد بها على تثبيت قاعدة متفق عليها .
- ٢ - آيات اتخذ منها المؤلف أدلة على قاعدة ارتآها وأراد أن يدعمها بدليل قرآني .

٣ - آيات أوضح المؤلف ما دار حولها من نقاش وجدل .

وأما النوع الأول فأمثلته كثيرة لاتعداد تحصر أو تعدد فهم ومثلاً  
 يضرب لإهمال ( إن ) أكثر من شاهد قرآني (٨) منها قوله تعالى ( وإن  
 كل ذلك لنا متاع الحياة الدنيا ) (٩) وقوله ( وإن كل لنا

- 
- (١) سورة المائدة آية ٥٢
  - (٢) سورة الكهف آية ٧٩
  - (٣) المغني - ١ ص ٢٨
  - (٤) سورة الاعراف آية ١٢٩
  - (٥) سورة المنافقون آية ١٠
  - (٦) سورة الزمر آية ١٢
  - (٧) سورة الشعراء آية ٨٢
  - (٨) المغني - ١ ص ٢٤
  - (٩) سورة الزخرف آية ٣٥

جميعٌ لَدَيْنَا مُحَضَّرُونَ ) (١) وكذلك ( إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ) (٢) .

ثم يأتي بعد ذلك بآيات أخرى يثبت فيها قاعدة متفقاً عليها وهي أن ( إن ) مثلاً تهمل وجوباً إذا وليها فعل (٣) مثل ( وإنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً ) (٤) وكذلك ( وإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ) (٥) وقوله أيضاً ( وإنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ) (٦) .

ويذهب في استقصاء شواهد هذه القاعدة أكثر من ذلك فيقول : والأكثر كون الفعل ماضياً (٧) ناسخاً أي ( أن ) تهمل وجوباً إذا وقع بعدها فعل ماض ناسخ وهو الكثير ، ودون أن يكون مضارعاً ناسخاً ويستدل لذلك بقوله تعالى : ( وإنْ يَسْكَادُ الْتَّانِ كَفَرُوا لَيُنزَلُونَا بِأَبْصَارِهِمْ ) (٨) وقوله : ( وإنْ نَظُنُّنَاكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ) (٩) ومن خلال هذا الحشد الهائل من الآيات القرآنية يخرج علينا ابن هشام بشاهد شعري واحد للفعل الذي يلي أن ويكون ماضياً غير ناسخ وهو قول الشاعر :

شلت يمينك ان قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد (١٠)

- 
- (١) سورة يس آية ٣٢
  - (٢) سورة الطارق آية ٤
  - (٣) المغني - ١ ص ٢٤
  - (٤) سورة البقرة آية ١٤٣
  - (٥) سورة الاسراء آية ٧٣
  - (٦) سورة الاعراف آية ١٠٢
  - (٧) المغني - ١ ص ٢٤
  - (٨) سورة القلم آية ٥١
  - (٩) سورة الشعراء آية ١٨٦
  - (١٠) المغني - ١ ص ٢٤

ومن القواعد المتفق عليها : جواز حذف الصفة وإبقاء الموصوف ، وكذلك حذف الموصوف وإبقاء الصفة ، وقد ذكر ابن هشام لهاتين القاعدتين أدلة قرآنية كثيرة (١) ، فمن أمثلة القاعدة الأولى قوله تعالى : ( يَاخُذُوا كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ) (٢) وقوله ( قَالُوا الْآنَ جِئْتِ بِالْحَقِّ ) (٣) وكذلك ( وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ) (٤) وكذلك ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ) (٥) وكذلك ( إِنَّ نَظُنُّهُ إِلَّا ظَنًّا ) (٦) .

وأما القاعدة الثانية فقد استشهد لها ابن هشام بما يأتي من الآيات (٧) قوله تعالى ( وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ) (٨) وقوله ( وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ) (٩) وقوله ( أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ ) (١٠) وقوله : ( فليضحككوا قليلا وليبكمكوا كثيرا ) (١١) وقوله ( وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ ) (١٢) وقوله : ( وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ) (١٣) وأخيراً قوله تعالى : ( وَحَبَّ الْحَصِيدِ ) (١٤) .

(١) المغني - ٢ ص ٦٢٧

(٢) سورة الكهف آية ٧٩

(٣) سورة البقرة آية ٧١

(٤) سورة الزخرف آية ٤٨ .

(٥) سورة المائدة آية ٦٨

(٦) سورة الجاثية آية ٣٢

(٧) المغني - ٢ ص ٦٢٦

(٨) سورة الصافات آية ٤٨

(٩) سورة سبأ آية ١٠

(١٠) سورة سبأ آية ١١

(١١) سورة التوبة آية ٨٢

(١٢) سورة البينة آية ٥

(١٣) سورة يوسف آية ١٠٩ - سورة النحل آية ٣٠

(١٤) سورة ق آية ٩

وأما النوع الثاني من الشواهد ، وهو ما اتخذ منه المؤلف أدلة على قاعدة ارتقاها وأراد أن يدعمها بدليل قرآني فمنها مثلاً : جواز إعطاء الشيء حكم شيء آخر مجاور له (١) وقد استشهد لهذه القاعدة بقوله تعالى ( وَحُورٌ عِينٌ ) (٢) في قراءة من جرهما وذلك لمجاورتها ( بأكواب وأباريق ) وقد كان المفروض أن يرفعا عطفاً على ( ولدان مخلدون ) ، وكذلك جر لفظ أرجلكم لمجاورتها « لرؤوسكم » من قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ) (٣) .

ولعل من هذا النوع ما كان يبديه ابن هشام حول آيات قرآنية من آراء شخصية فينقض أو يفند مآراه فيها النحاة وما أبدوا من آراء حولها ، أو يقول فيها ما يراه دون نقض أو تفنيد ، فمن الأول قوله في صدد التحدث عن جملة الاستفهام في قوله تعالى ( وانظرْ إلى العِظامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ) (٤) : من الوهم في هذا الباب قول بعضهم : ان جملة الاستفهام حال من العظام والصواب أن كيف وحدها حال من مفعول نشز وأن الجملة بدل من العظام (٥) .

ونرى ابن هشام كذلك وفي موطن آخر من مغنيه يخطئه من يعرب كلمة « السموات » في قوله تعالى : ( خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ ) (٦) مفعولاً

(١) المغني - ص ٢ ص ٦٨٣

(٢) سورة الواقعة آية ٢٢

(٣) سورة المائدة آية ٦

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٩

(٥) المغني - ص ٢ ص ٥٨٦

(٦) سورة العنكبوت آية ٤٤

به ويقول : ( إن الصواب في إعرابها أنها مفعول مطلق <sup>(١)</sup> ويذهب في ذلك إلى تمليلات يحدها القارىء في مظانها وانه لكذلك يخطئ من يقول بأن كاد يكون إثباتها نفياً ونفيها إثباتاً ويقول تصويهاً لذلك ان كاد كأي فعل آخر إثباتها إثبات ونفيها نفي <sup>(٢)</sup> ويذكر تأييداً لقوله دليلاً قرآنياً وهو قوله تعالى ( وإن كادوا ليقتلنوك عن الذي أوحينا إليك ) <sup>(٣)</sup> وقوله كذلك ( إذا أخرج يده لم يكده يراها ) <sup>(٤)</sup> .

وأما النوع الثالث وهو تلك الآيات القرآنية التي سرد المؤلف مدار حولها من نقاش وخلاف ، فقد حشد منه ما يضيّق هذا المقام عن حصره ، فمن ذلك مثلاً خلاف النحويين في ( ما ) ( ولا ) من قوله تعالى : ( قل تعالوا أتله ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ) <sup>(٥)</sup> حيث انصب حول ما تارة وحول عليكم تارة أخرى كما دار أيضاً حول لا كذلك .

ومما قيل في ( ما ) كما روى ابن هشام : أنها اسم موصول بمعنى الذي ويعربها مفعولاً به للفعل أتله وجملة ( حرم ربكم ) صلة وعليكم متعلق بجرم <sup>(٦)</sup> كما أن فيها رأياً آخر للزجاج وهو كونها استفهامية منصوب بأتل كذلك على اعتبار أن أتله يحمل معنى القول ، فما بعده محكي به <sup>(٧)</sup> .

(١) المغني - ٢ ص ٦٦٠ - ٦٦١

(٢) نفس المرجع ص ٦٦٢

(٣) سورة الاسراء آية ٧٣

(٤) سورة النور آية ٤٠

(٥) سورة الأنعام آية ١٥١

(٦) المغني - ١ ص ٢٥٠

(٧) نفس المرجع ص ٢٥٠

ثم يروى بعد ذلك الخلاف في موقع ( أن لا تشركوا به شيئاً )  
فيري في ذلك سبعة أوجه أقواها وأرجحها أنها في موضع نصب بدلاً  
من ما (١) .

وقد قيل في لا أقوال ثلاثة : وهي أنها نافية أو ناهية أو زائدة (٢)  
وهكذا لو شئنا أن نسردها ما أورده ابن هشام في مصنفه هذا من آيات  
القرآن الكريم مما دار حولها من نقاش للنحويين وخلاف فيها ، لأننا  
بذلك الصفحات ولكننا نكتفي بما أوردهنا تمثيلاً لا حصراً ومن شاء  
الاستزادة فليعد إلى المعنى ففيه غناء وكفاء .

ومن هذا القدر الذي مثلنا به لنحاة مصريين نستطيع أن نتعرف  
من خلاله على أن هذه المدرسة لم تكن بعيدة عن القرآن وآياته الكريمة  
سواء أكان ذلك فيما تبعت غيرها في آرائه أم فيما ابتدعته واختصت به .  
وأما بالنسبة لنحاة الشام فللقرآن كذلك نصيب في نحوهم وإذا كنا  
سنحدث عن أحدهم فليس أجدر بذلك من ابن مالك وهو وإن كان  
أندلسي المنشأ إلا أنه شامي المنبت والثقافة وهذا ما جعل بعضاً من  
المؤرخين يورخون له على أنه يمثل فكر الأندلس وحضارتها ، كما أرخ  
له غير هؤلاء على أنه شامي باعتبار أن ممارسته لعلم النحو تعلماً وتعليماً  
كانت في دمشق وبعلبك (٣) .

ونحن وإن كنا قد أرخنا له في صدد الحديث عن المذهب الأندلسي  
وأثر القرآن فيه على أنه أندلسي إلا أننا نعتبره كذلك من رصيد الشام

---

(١) نفس المرجع ص ٢٥٠

(٢) نفس المرجع ٢٥٠ - ٢٥١

(٣) بغية الرعاة للسيوطي ص ٩٦ نشأة النحو للطنطاوي ص ١٢٦

وعلى هذا فللقارىء أن يعود إلى ماقلناه في هذه الشخصية ليوقف على مقدار ما للقرآن من أثر فيها من حيث الاستدلال بآياته والاستشهاد بلغته مقدماً له على كل المصادر كما ذكرنا .

وإذا كنا لانستطيع أن نمحض شخصية ابن مالك لنحو الشام ، فيجدر بنا أن نعرض لشخصية ولده بدر الدين الملقب بابن الناظم فلعله يمثل مذهب الشام أكثر من أبيه حيث ولد فيها وتلقى علمه في رحابها (١) .

ولقد كان لهذا الرجل نشاط نحوي لا بأس به ، من أبرزه تلك الشروح التي قسام بها لألفية والده وغير ذلك من مؤلفاته العديدة كشرح التسهيل (٢) .

ومن آرائه النحوية القرآنية مايلي :

١ - يرى ابن الناظم أن الجملة التأكيدية قد توصل بعاطف ولا يختص ذلك بتم (٣) وذلك كقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرُوا نَفْسَهُمْ مَادَدْتُمْ لِقَدْرِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) (٤) فقد وصلت جملة واتقوا الله الأخيرة بحرف عاطف وهو الواو مع أنها مؤكدة .

٢ - وبما يراه كذلك حذف النعت مع بقاء المنعوت (٥) وهو ما يراه ابن الناظم في قوله تعالى : ( فَضَيَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

(١) نشأة النحو ص ١٢٦

(٢) بغية الوعاة للسيوطي ص ٩٦

(٣) البرهان للزركشي ص ٣ - ١٢

(٤) سورة الحشر آية ١٨

(٥) البرهان ص ٢ - ٥٩

على القاعدينَ درَجَةً<sup>(١)</sup> ) والتقدير : فضل الله المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر درجة<sup>(٢)</sup> ) وكذلك قوله تعالى : ( وفضل الله المجاهدينَ على القاعدينَ أجراً عظيماً )<sup>(٣)</sup> ، والتقدير : وفضل الله المجاهدين على القاعدين من الأصحاء درجات<sup>(٤)</sup> .

وهو في هذا يوافق والده في التقدير المذكور<sup>(٥)</sup> .

وبهذا العرض للمدارس النحوية يتبين لنا مقدار ما كان للقرآن من أثر جم فيها وفي نحوها ونحوها ، كما يتضح لنا من كل ذلك أن الآية القرآنية كانت لدى النحوي ، هي الحد الفاصل بين الظن والحقيقة ، كما أنها السهم الحاد الذي كان يرمي به النحوي منافسه وخصمه مما يظهر لنا جلالة هذا الكتاب الذي صدق فيه منزله حين قال : ( ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثلٍ لعلهم يتذكرون )<sup>(٦)</sup> ، ( قرآنًا عربياً غيرَ ذي عوجٍ لعلهم يتقون )<sup>(٧)</sup> .



- 
- (١) سورة النساء آية ٩٥
  - (٢) البرهان - ٢ ص ٥٩ .
  - (٣) سورة النساء آية ٩٥ .
  - (٤) البرهان - ٢ ص ٥٩ .
  - (٥) البرهان للزركشي - ٣ ص ١٥٦ .
  - (٦) سورة الزمر آية ٢٧ .
  - (٧) سورة الزمر آية ٢٨ .

## الفصل الثاني

### القرآن في المناظرات والمجالس النحوية

لم يتناظر العلماء ولم يتباحثوا في علم من العلوم أو فن من الفنون كما قناظروا وتباحثوا في علوم اللغة وبخاصة نحوها و صرفها ، فقد تنافس الخلفاء في استقدام النحاة واللغويين الى حواضر خلافتهم وعقدوا لهم المجالس وأثاروا بينهم روح المنافسة وأذكروا في نفوسهم حب الغلبة . ومن تلك المناقشات ما كان يرتب له ويقصد من ورائه المقاصد وهو ما يسمى بالمناظرات ، ومنها ما كان يعرض في جلسات الخلفاء والأمراء والعلماء دونما قصد أو ترقيب ، وهو ما يسمى بالمجالس ، ولم يكن الغرض من وراء ذلك كله في اعتقادي إلا أحد أمور ثلاثة .

- ١ - تحقيق الغلبة والفوز لبلد على بلد ولمصر على مصر .
  - ٢ - تحقيق فوز فكري أو نصر علمي يستهدف منه اشباع الغرور أو رد الكرامة أو رفع الشأن .
  - ٣ - تحقيق أغراض مادية و دنيوية .
- ولكن مهما يكن هناك من دوافع لهذه المناظرات أو المجالس ، فقد

كانت في واقعها السبب الحلي في إيجاد حركة علمية قوامها التنافس الحاد والإبداع البين .

ولقد كان للقرآن الكريم في هذه المناظرات نصيب كبير ، وليس في ذلك أدنى عجب فأى كلام أحق من كلام الله وقد بلغ من الفصاحة ما بلغ أن ينال من العلماء تباين النظر حوله واختلاف الرأي في وجوه آياته ودقائق ألفاظه .

فقد كان الإمام بذلك ميزان العلم وتقويم الفكر حيث يتميز بذلك الصحيح من غيره والعالم من ضده .

ولقد ظهر أثر القرآن في مناظرات النحاة ومجالسهم في مظهرين واضحين ، أما أولهما فآيات تعرض على المتناظرين أو الجالسين لتقليب وجوه النظر فيها ، وإبداء الرأي حول ما تحتمله من وجوه صحيحة .

وثانيهما : اتخاذ الآيات الكريمة أدلة يستدل بها المتناظرون والمجالسون على صحة ما يذهبون إليه من آراء وأقوال .

فأما النوع الأول : فلم يقتصر على مواقع الكلمة في جملة أو مواقع الجمل في تراكيبها ومساقاتها ، بل تعدى ذلك إلى المفردات والألفاظ بحثاً في موازيتها وما طرأ عليها من تغيير أو زيادة أو حذف أي : ان ما كان يدور بين المتناظرين لم يكن ليقصر على ما يتعلق بالنحو فقط بل تجاوز ذلك إلى ما يتعلق بالصرف أيضاً ، وبذلك يتسع أثر القرآن الكريم في هذه المناظرات والمجالس اتساعاً يبين لنا مدى ما كان يأخذ هذا الكتاب العظيم من أوقات العلماء ومجالسهم ومحاضرم .

ونظرة أخرى إلى مناظرات العلماء في النحو واللغة ترينا أنها رغم أهدافها المتنوعة ودوافعها المختلفة كانت كلها تستهدف بالإضافة إلى ذلك

خُدْمَةُ الْقُرْآنِ وَلِغَةِ كِتَابِ اللَّهِ . إذْ لَيْسَ مِنَ الْمَقُولِ كَمَا أَرَى أَنْ تُتَّفَقَ  
مِثْلَ تِلْكَ الْأَوْقَاتِ فِي مَصَادِمَاتٍ عِلْمِيَّةٍ دُونَ أَنْ يَنْعَكِسَ أَثَرُهَا عَلَى اللُّغَةِ  
العَرَبِيَّةِ وَعَلَى كِتَابِهَا الَّذِي حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا .

وَأَثَرُ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَبَاشِرًا أَوْ مَقْصُودًا لِذَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ يَمَّا يَتَرْتَبُ  
عَلَيْهِ مِنْ جَلَاءِ لِلْحَقَائِقِ وَإِبْرَازِ لِلصَّوَابِ يُوَثِّرُ تَأْثِيرًا غَيْرَ مَبَاشِرٍ عَلَى قِرَاءَةِ  
الْقُرْآنِ بِشَتَى قِرَاءَاتِهِ وَوَجْوهِهِ .

ولعل من فوائد هذه المناظرات العلمية ما نراه من مزالق لغوية كان  
العلماء يقعون فيها حتى ما يدور منها حول آيات القرآن الكريم ، وهنا  
يبرز دور المناظرة في تجلية الحقيقة وخدمة كتاب الله .

فمناظرة الكسائي لذلك الرجل الذي سأله عن الفرق بين : أنا قاتل  
أبيك وأنا قاتل أباك . وإجابة الرجل بأنه لا فرق بينهما ورد الكسائي  
عليه بوجود فرق بين الجملتين جاء من الفرق بين اسم الفاعل المنون وغير  
المنون وذلك كقوله تعالى : ( وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ  
غَدًّا ) (١) ، ( إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) (٢) .

فمناظرة كهذه (٣) وقد تقدم تفصيلها كفيلاً بأن ترينا القيمة الحقيقية  
لكل مناظرة علمية وبخاصة إذا كانت في القرآن أو دارت حوله ، إذ  
بمثلها يتضح كلام الله وتنجلي للسامع أبعاده ومراميه .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن أثر القرآن في مناقشات العلماء  
ومناظراتهم ومجالسهم كان يتجلى في أن القرآن الكريم وحرص المسامعين

---

(١) سورة الكهف آية ٢٣

(٢) سورة الكهف آية ٢٤

(٣) معجم الادباء لياقوت - ١٣ ص ١٧٧

على لغته وعدم اللحن فيه كان السبب المباشر لعقد مثل هذه المناظرات أو المجالس كما كان يتجلى في تلك الآيات التي كانت مدار المناظرة أو المحاوره ، كما يظهر هذا الأثر أيضاً فيما كان يستشهد بآياته الكريمة على ما تدور المناظرة حوله من عبارة أو بيت أو كلمة .

فمن المناظرات التي وقعت حول مفردات القرآن الكريم مناظرة دارت حول كلمة « نكتل » من قوله تعالى : ( فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكَتْلُ وَإِنَّا لَهُ لِحَاظِفُونَ ) (١) وفي ذلك يقول المازني : « حضرت يوماً مجلس المتوكل وحضر يعقوب بن السكيت فقال المتوكل : تكلمنا في مسألة نحوية فقلت له اسأل فقال : اسأل أنت فقلت له : ما وزن نكتل في الآية فقال : وزنها نفعل فقلت له : اتئد وانظر ، ففكر ثم قال : وزنها نفتحل- ، فقلت ( نكتل ) أربعة أحرف ، ونفتحل خمسة أحرف ، فكيف تقدر الرباعي بالحاسي فهت ولم يجر جواباً ، فقال المتوكل : فما تقول أنت يامازني ، قلت : وزنها في الأصل نفتحل لأنها نكتيل ، فلما تحرك حرف العلة وهو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فصارت نكتال ولما دخل الجازم صارت نكتل ووزنها نفتحل ، فقال المتوكل : هذا هو الحق ، واتخذ ابن السكيت ووجه وظهر ذلك عليه فلما خرجنا قال ابن السكيت في الطريق : بالفت اليوم في أذاي فقلت له : لم أقصدك بشيء مما جرى وإنما مسألة كانت قريبة من خاطري فذكرتها (٢) .

وقد تدور المناظرة حول وزن كلمة لا لمعرفة ما حذف منها أو زيد

(١) سورة يوسف آية ٦٣

(٢) مجالس العلماء للزجاجي ص ٣٠٠ مجلس ١٣٧ - انباء الرواة - ١ ص ٢٥١

عليها بل لمعرفة السبب في تذكيرها وعدم تأنيثها وذلك كمناظرة المازني أيضاً مع بعض نخاة الكوفة ، وذلك عندما سأل الواصل المازني قائلاً له : يا مازني هات مسألة فقال المازني لجليسه : ما تقول في قول الله تبارك وتعالى : ( وما كانت أمك بغياً )<sup>(١)</sup> لم يقل بغية وهي صفة مؤنث ، فأجاب الحاضرون إجابات غير سديدة فقال الواصل المازني : هات ما عندك يا مازني ، فقال لو كان بغى على تقدير فاعيل بمعنى فاعلة للحقتها الهاء مثل كريمة وظريفة وإنما تحذف الهاء في ما كان بمعنى المفعول مثل امرأة قتيل وكف خضيب ، وبغى هنا ليست على وزن فاعيل حتى تكون كذلك بل هي فعول وهذا وزن لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث نحو امرأة شكور وبشر شطون وتقديره بغوي اجتمعت الواو والياء والسابق منها متاصل في ذاته وسكونه فقلبت الواو ياء ثم ادغمت الياء في الياء فاستحسن الواصل الجواب<sup>(٢)</sup> .

ومما دار حول مفردات القرآن الكريم من حيث املاؤها وطريقة كتابتها ذلك الحوار الطريف الذي وقع بين المبرد وثلعب حول طريقة كتابة ( والضحي )<sup>(٣)</sup> وذلك أن ثعلباً يكتبها بالياء على قاعدة : كل كلمة مختمة بالألف مضمومة الاوّل أو مكسورته تكتب ياء ، ولكن المبرد اعترض على ثعلب ورأى كتابتها بالألف هكذا ( والضحفا ) فكان أن جمع بين هذين الرجلين فسأل المبرد ثعلباً ، لم كتب والضحي بالياء فقال لضمة أوله فقال له : ولم إذا ضم أوله وهو من ذوات الواو

(١) سورة مريم آية ٢٨

(٢) نزهة الالباء لعبد الرحمن بن محمد الانبـاري ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، مجمع الادباء

لباقوت - ٧ ص ١١٨ .

(٣) سورة الضحى آية ١

تكتبه بإلياء ، فقال ثعلب لأن الضمة تشبه الواو وما أوله واو تنكون  
آخره ياء فتوهما أن أوله واو فقال المبرد : أفلا يزول هذا التوهم إلى  
يوم القيامة (١) .

وقد تدور المناظرة كذلك حول لفظ الكلمة وطريقة نطقها ، فمن  
ذلك ما رواه الزجاج في مجالس العلماء عن مجلس يحيى بن الحارث مع  
يزيد بن أبي مالك حيث تحدث الأول قائلاً : اختلفت أنا ويزيد بن  
مالك في كلمة خطأ من قوله تعالى ( إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ) (٢)  
فقلت أنا خطأ وقال هو « خطأ » فما كان منها إلا أن احتكما إلى  
عبد الله بن عامر وهو أحد الائمة فقال : خطأ كبيراً (٣) .

ولم تكن المناظرات كما أوردنا تقتصر على ألفاظ القرآن ومفرداته ،  
بل دارت حول مواقع هذه الألفاظ في جملها وضبطها حسب هذه  
المواقع ، ومن ذلك ما دار بين مروان بن سعيد بن عباد النحوي والأخفش  
وذلك عندما سأله مروان عن سبب ذكر لفظ اثنتين في قوله تعالى :  
( فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ) (٤) مع أن الضمير في كان يفيد معنى لفظ  
اثنتين ، ومن شروط خبر كان أن يفيد معنى ليس في اسمها فأجاب  
الأخفش عن ذلك بأن هناك تقديراً لاسم كان وهو « من » على معنى  
فان كان من ترك اثنتين ، ثم أضم من على معناها (٥) .

ومن ذلك أيضاً ما وقع بين ثعلب والمبرد ، حيث جمع بينهما محمد

(١) معجم الأدباء = ١٩ ص ١١٨ ، ١١٩

(٢) سورة الإسراء آية ٣١

(٣) مجالس العلماء للزجاج مجلس ١٠٧ ص ٢٣١

(٤) سورة النساء آية ١٧٦

(٥) مجالس العلماء للزجاج مجلس ٣٥ بتصرف ص ٧٦ ط الكويت

ابن عبد الله بن طاهر في مجلس واحد ، وأخذ رجل يقال له : علي ابن عبد الغفار يوجه إليهما أسئلة كثيرة حول مسائل لغوية عديدة ، ومن جملة ما سألهما عنه قوله : خبراني عن قول الله عز وجل ( إذ الأغلال في أعناقهم ) (١) أليس اذ تكون لما مضى قال أحمد بن يحيى : بلى ، فقال محمد بن عبد الله بن طاهر : الأمر لم يقع فقال أحمد بن يحيى : حدثني سلمة عن الفراء أن الأفعال الماضية تحل محل المستقبل لأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، وليس لما علم خلف ، قال : وما تقول يا محمد ؟ قلت : أما قوله أن الله قد أحاط بكل شيء علماً وجميع ما ذكر حق - غير أن الله جل وعلا خاطبنا بلسان عربي مبين فمن كلام العرب : إذا جاء عمرو أكرم خالداً وكذلك الآية وهي قوله تعالى : ( الذين كذبوا بالكتابِ وبما أرسلنا به رُسُلنا فسوف يعلمون ) (٢) لما لم يقع فتقديره : إذا كان الاثم وقعت الأغلال في أعناقهم (٣) .

ويظهر للقرآن أثره البين أيضاً فيما كان يدور على ألسنة المتناظرين من الآيات الكريمة ، مستدلين بها على وجهات نظرهم وآرائهم ، وهل يوجد ما هو أقوى من الآيات أدلة للتثبيت والتقدير ؟ فمن هذه المناظرات ما وقع في مجلس أبي عمرو بن العلاء مع رجل من المدينة عندما أنشده الأخير قول ابن قيس الرقيات :

إن الحوادث بالمدينة قد أوجعنني وقرعن مروتيه

(١) سورة غافر آية ٧١

(٢) سورة غافر آية ٧٠

(٣) مجالس العلماء للزجاج مجلس ٥٥ ص ١٢٢

فأنتهره أبو عمرو وقال : مالنا ولهذا الشعر الرخو ، أن هذه الهاء لم تدخل في شيء من الكلام الا أرخته فقال الرجل : قاتلك الله ما أجهدك بكلام العرب : قال الله عز وجل في كتابه : ( ما أغنى عني ماليه ) (١) ( هلكت عني سلطانيه ) (٢) وقال أيضاً ( ياليتني لم أوت كتابيه ) (٣) ( ولم أدبر ما حسابيه ) (٤) فهل تميمه ؟ فانكسر أبو عمرو انكساراً شديداً (٥) .

ومن ذلك أيضاً ما دار في مجلس أبي عاصم مع عبد الله المشي « حيث سأله أبو عاصم قائلاً : يا أبا عبد الله ما تقول في رجل حضره الموت فقال : يقسم عني ألف درهم من دار سليمان إلى دار بني عمير ، أترى الدارين داخلة في هذه الصدقة ؟ قال لا أراها يا أبا عاصم إنما قال من إلى من فقال أبو عاصم لكني أراها داخلتين لأن الله عز وجل يقول : ( فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ) (٦) إلا أن المرفقين داخلان في الذراعين فقال أبو عمرو الضرير وكان ثالث المتناظرين ، القول ما قلت يا أبا عاصم وهو نظير قوله : أعطه من درهم إلى عشرة دراهم ، فالدرهم داخل فيه ، (٧) .

ولم يقف تأثير القرآن على ما كان يذكر من آياته في جلسات المتناظرين سواء للمناظرة فيها أو الاستدلال بها ، بل تعدى ذلك إلى

(١) سورة الحاقة آية ٢٨ .

(٢) سورة الحاقة ٢٩

(٣) سورة الحاقة ٢٥

(٤) سورة الحاقة ٢٦

(٥) مجالس العلماء للزجاج مجلس رقم ٩١ بتصرف الخصائص لابن جني - ص ٣ - ٢٩٣

(٦) سورة المائدة آية ٦ .

(٧) مجالس العلماء مجلس ٨٦

خارج هذه المجالس لأن من المناظرات ما لم يكن يظهر فيها فصل القول وحقيقة الرأي فيأتي العلماء من بعد ذلك فيحكمون على ما حصل في <sup>٤٢</sup> هذه المناظرة وينسبون الصواب إلى من هو أهله معتمدين في ذلك على آيات القرآن الكريم ، فمن ذلك مثلاً مناظرة الكسائي وسيبويه في المسألة الزنبورية ، فقد وجدنا العلماء فيما بعد يقررون صواب ما ذهب إليه سيبويه مستدلين بما يؤيد ذلك من القرآن الكريم .

ولالإمام بذلك لا بد من عرض المناظرة ذاتها ، وما دار فيها من أخذ ورد وما أورد عليها من دفع ونقد وتصويب ، فقد قيل ان سيبويه قدم على البرامكة في الكوفة لينزل على يحيى بن خالد فجمع هذا بينه وبين الكسائي وضرب موعداً لذلك ، ولما حل هذا الموعد وذهب سيبويه إليه وجد في المجلس خلفاً والفراء فأراد هذان أن ينتهزا فرصة عدم حضور الكسائي . فوجه خلف إلى سيبويه ثلاثة أسئلة كان سيبويه يجيب عليها وفي كل مرة يقول له خلف أخطأت فقال الفراء إن في هذا الرجل - أي خلف - حدة وعجلة ولكن ما تقول فيمن قال : هؤلاء أبون ومررت بأبين ؟ كيف تأتي من وأيت وأويت على مثالها فأجاب سيبويه بما لم يرض الفراء حتى قال مخاطباً خصميه ، لست أكلكما حتى يحضر صاحبكما فأناظره ، فلما حضر الكسائي قال له : أتسألني أم أسألك ؟ فقال سيبويه سل أنت ، فقال له كيف تقول : قد كنت أظن أن العقرب أشد لسمة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها ، فأجاب سيبويه قائلاً : فإذا هو هي ولا يجوز النصب فرد الكسائي عليه مخطئاً له بقوله : العرب يرفعون وينصبون فرفض سيبويه ذلك وأصر عليه ، فقال يحيى بن خالد قد اختلفتما وأنتا رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ؟ فقال الكسائي : هاهم الأعراب في رحابك

وهم أفصح الناس فأحضرهم وأسألهم عن ذلك ، فأحضرُوا وأقروا الكسائي على إجابته فاستكان سيديوه (١) .

وهنا يتجلى حقد الكسائي ورغبته العارمة في الفوز والغلبة فيقول ليحيى متشفيًا بسيديوه : جاءك مؤملاً فلا ترده خائبًا ، أعطه عشرة آلاف درهم فما كان من سيديوه إلا أن ركب دابته وولى وجهه شطر فارس فأقام بها حتى مات مغتمًا ومهتمًا (٢) .

وهكذا ووسط هذا الضجيج والصخب وما كان يظله من جو قاتم مليء بالحقد والتشفي ضاعت الحقيقة ولم يتقرر الصواب فبينما نجد الأعراب قد حكموا للكسائي نجد من العلماء من يقول : إن العرب قد أرسوا على ذلك أو أنهم قد علموا منزلة الكسائي عند الرشيد ، ويقال أنهم قالوا : القول قول الكسائي ولم ينطقوا بالنصب وأن سيديوه قال ليحيى : مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطوع (٣) .

ولكن مايعنيننا في الأمر أن العلماء قد ذهبوا إلى الحكم على هذه المباراة لصالح سيديوه مستدلين على ذلك بالقرآن الكريم ، وبذلك يقول صاحب المغني : وأما سؤال الكسائي فجوابه ما قال سيديوه وهو : فإذا هو هي ، هذا هو وجه الكلام مثل : ( فإذا هي بيضاء ) (٤) وقوله تعالى كذلك ( فإذا هي حية تسقى ) (٥) وأما

- 
- (١) بغية الوعاة ص ٣٦٦ - المغني لابن هشام - ١ ص ٨٨ .
  - (٢) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٦٦ - المغني - ١ ص ٨٨ بتصرف .
  - (٣) المغني لابن هشام - ١ ص ٨٨ ، ٨٩ .
  - (٤) سورة الأعراف آية ١٠٧ - سورة الشعراء آية ٣٣ .
  - (٥) سورة طه آية ٢٠ .

إذا هو إياها إن ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء (١) .  
وأما ما ذكر للنصب من تعليقات وتوجيهات فرغم تسجيل ابن هشام  
لها إلا أنه لم يوردها بشيء من الرضا ، فقد وصف بعضها بالخطأ أو  
عدم القياس أو الضعف أو الغرابة (٢) .



---

(١) المفتي - ص ١٦ ص ٩١

(٢) نفس المرجع ص ٩١ و ٩٢

## الفصل الثالث

### القرآن في معضلات النحوظ طرائفه

لكل علم من العلوم مشكلاته التي تستعصي على المختصين به بما يخرج عن المألوف منه فيطرحها العلماء فيما بينهم فيأخذون بتحليلاتها وإبداء الآراء حولها بما يوضحها ويبين ماغض فيها .

كما أن لكل علم كذلك طرائفه ونكاته التي يبتدعها العلماء ويذهبون في القائها بينهم اختباراً لأفهامهم أو ترويحاً عن نفوسهم فللقه معضلاته وطرائفه وللبلاغة معضلاتها وطرائفها وللتفسير كذلك مشكلاته وله طرائفه ولا يختلف علم النحو عن غيره من العلوم في هذا الشأن فله كذلك معضلات ومشاكل استغلقت على علمائه وطلابه فانكبوا عليها يسألون ويحيبون ويقيسون ويعملون ويبدون من الآراء ما بعد وما قرب ، وله كذلك طرائفه اللطيفة ونكاته وألغازه العميقة الجميلة مما كان العلماء يتداولونه بينهم مداعبة لبعضهم بعضاً أو ترويحاً عن أنفسهم أو اختباراً لطلبتهم ومنافسهم فتكونت له من كل ذلك ثروة في هذا المجال لا بأس بها كان للقرآن الكريم فيها أثره كشأنه في كل مجال من مجالات الفكر العربي والإسلامي فأما عن المعضلة النحوية فهي على نوعين :

## الأول :

معضلات نشأت من آيات القرآن الكريم نفسه ودارت حولها .

## الثاني :

معضلات نشأت عن قول عربي او قاعدة نحوية .

فأما النوع الأول فهو يتضمن تلك الآيات الكريمة التي لوحظ عليها في تركيبها ما يدخل إلى وهم الناظر إليها بأن ظاهرها يخالف لمألوف القواعد ومعهوده فتشكل عليه فيذهب بالسؤال عنها من يظن فيه فوقيته العلمية فيقف هو الآخر أمامها فتنشأ عن ذلك من هذه الآية مشكلة نحوية إعرابية أو صرفية تدفع العلماء إلى تناولها وتحليلها وتقريبها إلى ما قد يتناسب مع السياق من المعاني والمفاهيم فيجتمع عند ذلك حول هذه الآية أو تلك آراء شتى لعلماء مختلفين يحدوهم في كل ذلك الرغبة الصادقة في توضيح كلام الله وتبيينه والوقوف على مراميه وحسبنا من ذلك اعتبار هذا الجهد الصادق في توجيه آيات الله وفي صنع الرأي النحوي القائم على الاجتهاد والصدق والإخلاص .

ولعل أهم ما يميز هذه المعضلات إن صح التعبير عنها بذلك هو أنها قد شاعت لدرجة أنها أصبحت مسائل بارزة لدى النحويين ، ولعلني أكون قد أسأت التعبير عندما قلت انها معضلات او مشكلات ولكني في الحقيقة لست أعني سوى أنها أشكلت في تركيبها على الناظرين إليها ممن لم يكونوا قد تمكنوا من هذا العلم تمكناً يجعلهم يوجهون ما وقفوا عنده توجيهاً يوضح لهم ما التبس عليهم وذلك كمن استشكل عليه عطف المرفوع على مآظمره الجر في قوله تعالى ( لا يَنْكِيحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ

مشارك<sup>(١)</sup> ، فوجه سؤاله ذلك إلى صاحب المغني الذي يقول في هذا الصدد : ومما يلتبس على المبتدئ أن يقول في نحو مررت بقاض إن الكسرة علامة الجر حتى ان بعضهم يستشكل قوله تعالى : لا ينكحها إلا زان او مشرك . « وقد سألت بعضهم عن ذلك فقال : كيف عطف المرفوع على المجرور فقلت : فهلا استشكلت ورود الفاعل مجروراً ، وبينت له أن الأصل زاني بياء مضمومة ثم حذف الضمة للاستئصال ثم حذف الياء لالتقاء ساكنة هي والتنوين » (٢) .

غير أن هذا لا يعني بأن طبيعة الاشكال تكون هكذا دائماً فإن بعض الآيات الكريمة يدعو تركيبها بالفعل لوقوف العلماء والمبتدئين عليها وإبداء الآراء حولها بما يقربها إلى القاعدة الأصلية التي كانت سبباً في إيجاد هذا الالتباس وهذه الحيرة فمن ذلك ما يأتي :

قوله تعالى : ( أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا ) (٣) : جهة الإشكال فيها كون فاعل يهد حسب ما يظهر في المعنى هو كم ويشكل على ذلك أنها من الأسماء التي يجب أن تتصدر وقد تداول الرأي فيها عدد من النحاة هم : ابن عصفور ويرى أن كم هي الفاعل على اعتبار أن الأخفش يرى عدم التزام كم للصدارة (٤) ويرى أبو البقاء أن فاعل يهد ضمير مستمر يرجع إلى الله عز وجل أو يعود إلى الهدى (٥) وهو ما يراه الزجاج ويوافق في ذلك ابن هشام . ومنهم الزمخشري الذي يرى أن

(١) سورة النور آية ٣

(٢) المغني - ٢ ص ٦٧٠

(٣) سورة السجدة آية ٢٦

(٤) المغني - ٢ ص ٥٨٩

(٥) نفس المرجع والصفحة

الفاعل بمجموع الجملة كلها . ويرد ابن هشام على هذا بأن الجملة لا تكون فاعلاً .

ومما أشكل كذلك قوله تعالى ( وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَاةً أَوْ امْرَأَةً )<sup>(١)</sup> ومحط الاشكال لفظ كلاله حيث اختلف فيه النحاة فمنهم من أعربها تمييزاً غير أن ابن هشام ينقض ذلك بقوله التمييز بالفاعل بعد حذفه نقض للغرض الذي حذف من أجله<sup>(٢)</sup> . ويرى تصويباً لذلك أنه على تقدير ذا أي ذا كلاله على اعتباره حالاً من الضمير المستتر في يورث : وإذا فسرت كلمة كلاله بالميت الذي لم يترك والدأ ولا ولدأ تعرب حالاً وخبراً وان فسرت بالقرابة فهي مفعول لأجله .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ( قلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا )<sup>(٣)</sup> . وجهة الاشكال في هذه الآية أنه لو علق الجار والمجرور وهو عليكم بحرم لتربت على ذلك أن الله حرم عدم الإشراك بالله أي أباح الإشراك وهذا مستحيل بالطبع ولذلك نرى ابن هشام يعتبر أن « عليكم » للإغراء بحيث يجب الوقف على ما قبله ، على أن يكون ما بعدها كلاماً مستوفياً وفي هذا يقول : « وبه أي بالوقف على عليكم يتمخلص من إشكال ظاهر في الآية محوج للتأويل »<sup>(٤)</sup> .

وفي ذلك يقول أبو السعود في تفسيره أن عليكم متعلق بحرم أو بأقل ويرى أن الأول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة النساء آية ١٢

(٢) المغني ٢ ص ٥٢٨

(٣) سورة الأنعام آية ١٥١

(٤) المغني ٢ ص ٥٥٠

(٥) تفسير أبو السعود ٢ ص ١٤٥

وبما أشكل أيضاً قوله تعالى : ( إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَاحِرَانِ ) (١)  
 اختلف في نوع إن وما قد يترتب على نوعها من عدة إعرابات للآية  
 الكريمة فمن النحاة من يراها مخففة من الثقيلة ويستدل على ذلك بوجود  
 اللام فارقة بينها وبين النافية كما يرى آخرون أنها نافية ومعناها عند  
 ذلك : ما هذان إلا ساحران على اعتبار أن اللام بمعنى إلا (٢) وقد قرأ  
 الخليل بالتخفيف (٣) .

وقيل إن مثقلة واسمها هذان على لغة من يعرب المثني بالألف في  
 كل حالاته وهي لغة بلحارث بن كعب (٤) ، وقيل أنها بمعنى نعم والجملة  
 بعدها جملة اسمية تتكون من مبتدأ وخبر على أن يكون التقدير : هذان  
 هما لساحران هروباً ممن يعترض على دخول اللام على الخبر ، وقد قرأها  
 ابن مسعود مثقلة مع بقاء ذان بالألف (٥) .

وهكذا لم تكن هذه الآية الكريمة لتعرض لمثل هذا العدد من  
 الوجوه والآراء لولا الإشكال الذي احتوته من جراء تخفيف إن ورفع  
 ما بعدها ودخول اللام على ساحران ، وإلا فالقراءة التي وردت في هذه  
 الآية والتي تقضي بتثقيل إن ونصب ما بعدها ، أي : قراءتها هكذا :  
 إن هذين لساحران هي قراءة لا إشكال فيها ولا التباس وفي ذلك  
 يقول أبو السعود : وقد قرئ . إن هذين لساحران وهي قراءة  
 واضحة (٦) . وقد قرأ بها أبو عمرو .

(١) سورة طه آية ٦٣

(٢) تفسير أبو السعود - ٣ ص ٣١٢

(٣) المقتضب للبرد - ٢ ص ٣٦٤

(٤) تفسير أبو السعود - ٣ ص ٣١٢

(٥) المقتضب للبرد - ٢ ص ٣٦٤

(٦) تفسير أبو السعود - ٣ ص ٣١٢

وأما النوع الثاني وهو المعضلات التي نشأت من قول عربي أو قاعدة نحوية فهو كثير كذلك ودور القرآن فيه دور المؤيد والنواقض ، فيه تقوى الآراء وبه كذلك تدحض وهو كذلك القاعدة الأصلية التي تصوب الآراء بموجبها أو تخطأ وليس في ذلك أدنى عجب فـ وكلام الخالق الذي لا يعتره باطل أو يصيبه خلل أو اضطراب ، فقد أنزله الله ووعد بحفظه وصيانتته وأنه لكذلك إلى أن تقوم الساعة فن أمثلة الأَقوال التي برزت في علم النحو ونظر إليها على أنها مشكلات تحتاج إلى نظر وتدبير ، المسألة الزينورية وهي العبارة التي سأل الكسائي عنها سيبويه عندما قال له كيف تقول : كنت أظن أن العقب أشد لسعاً من الزنبور فإذا هو هي أو إذا هو إياها ، وقد سبق الكلام عن هذه المناظرة في صدد الحديث عن أثر القرآن في المناظرات النحوية ولا داعي لتكرارها غير أنا نقول بأن أثر القرآن فيها كان واضحاً عندما وضع العلماء هذه المناظرة في موضع التحليل والتصويب حيث نرى ابن هشام يصوب فيها رأي سيبويه إذ قال فإذا هو هي وليس هو إياها مستدلاً بقوله تعالى : ( فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ) (٢) .

ومن ذلك اختلاف النحاة في إعراب هذا التركيب وهو قولهم كن كما أنت فمن جملة ما قيل في ما أنها موصولة وأنت خبر عن مبتدأ محذوف تقدير ، هو وقد قيل مثل هذا الإعراب في قوله تعالى : ( اجْعَلْ لَنَا إلهًا كما لهم آلهة ) (٣) أي كالذي هو لهم آلهة .

وقيل فيها كذلك أن ما كافة كما قيل ذلك في قوله تعالى كما لهم

(١) سورة طه آية ٢٠ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٠٧ - سورة الشعراء آية ٣٣ ،

(٣) المغني - ١ ص ١٧٧

آلهة (١) . ومن ذلك أيضاً قولهم كان محمد هو الحاضر أو الحاضر بالنصب أي هل يعتبر الضمير ضمير فصل فينصب الاسم بعده أو يعتبر مبتدأ وما بعده خبر والجملة في محل نصب خبر كان .

وبيان هذا في قوله تعالى : ( اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ) (٢) . بنصب الحق على أنه خبر لكان . وبقوله تعالى كذلك ( فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ) (٣) . على اعتبار الضمير فصلاً وتوكيداً للتاء في كنت (٤) .

وكذلك في قوله تعالى : ( وَإِنَّا لَنَسَحْنُ الصَّافِثُونَ ) (٥) . وبقوله كذلك : ( إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ) (٦) ومنهم من اعتبره فصلاً مبتدأ فقط (٧) كما في قوله تعالى : ( أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ) (٨) .

ومن ذلك قولهم ليس زيد قائماً ولا قاعد وهو جر قاعد على توهم جر قائم بالباء . والغرابية في هذا الأسلوب واضحة إذ المعروف أنه إذا عطف اسم على اسم تبعه في حالات إعرابه الثلاث فكان المفروض أن يقال ولا قاعداً بالنصب .

ولم يكن القرآن في منأى عن هذا الإشكال بل وقف حياله موقف

(١) نفس المرجع ص ١٧٨

(٢) سورة الأنفال آية ٣٢

(٣) سورة المائدة آية ١١٧

(٤) المغني - ٢ ص ٤٩٦

(٥) سورة الصافات آية ١٦٥

(٦) سورة المائدة آية ١١٦

(٧) المغني - ٢ ص ٤٩٧

(٨) سورة النحل آية ٩٢

المؤيد فيها نحن أولاء نرى الخليل وسيبويه يجزمان الفعل . أكن من قوله تعالى : ( لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنُّ ) (١) . على توهم جزم الفعل فأصدق باعتبار أن المعنى إن أَخَّرْتَنِي وَأَصْدَقَ وَأَكُنُّ (٢) كما قيل مثل هذا في قوله تعالى : ( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ ) (٣) يجزم يصبر على توهم وجود من أي ومن يصبر (٤) .

وأما عن المشكلات التي نشأت عن القواعد النحوية ومدى أثر القرآن فيها ، فلا يقل الحديث عنها عما سبق من الأنواع ، فهناك قواعد عامة كثيرة تضيء أشكالها على أساليبها غرابة تستوقف الناظر والمتعلم ففنها مثلاً .

١ - قاعدة الجر بالمجاورة : أي إعطاء ما بعد المجرور حكم المجرور بالنسبة للكسر وذلك بتأثير مجاورته له كقولهم مثلاً : هذا حجر ضب خرب يجر خرب لمجاورته نصب المجرور بالاضافة ، في الوقت الذي يجب أن يكون فيه مرفوعاً لأنه صفة لكلمة حجر المرفوعة ومنه كذلك هذا البيت الذي تورده مراجع النحو في هذا الصدد وهو :  
كان أبانا في عرابين ودقه كبير أناس في يجاد مزمل (٥)

فرغم إشكال هذه القاعدة وعدم موافقة كثير من النحاة عليها كالسيرافي وابن جني حيث رأيا في المثال الأول أن كلمة خرب صفة

(١) سورة المنافقون آية ١٠

(٢) المغني - ٢ ص ٤٧٧

(٣) سورة يوسف آية ٩٠

(٤) المغني - ٢ ص ٤٧٨ .

(٥) قاله امرؤ القيس وهو من معلقته .

لُضِبَ<sup>(١)</sup> إلا أن القرآن الكريم لم يقف بعيداً عنها ، فقد قُرىءَ يُجْر « وحوور عين »<sup>(٢)</sup> من قوله تعالى ( يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ )<sup>(٣)</sup> : ( بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ )<sup>(٤)</sup> ( وَحُورٌ عِينٌ )<sup>(٥)</sup> وذلك مراعاة لجوار اللفظ للفظي « أكواب » و « أباريق » المجرورين علماً بأن الكلمة معطوفة على ولدان ، إذ التقدير في غير القرآن - يطوف عليهم ولدان مخلدون وحوور عين - كما قيل بالمجاورة أيضاً في قوله تعالى في آية الوضوء ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ )<sup>(٦)</sup> وذلك يجز أرجلكم علماً بأن المناسب لها أن تعطف على وجوهكم لأن حكم الأرجل والوجوه الفسل ، وليس المسح ولكن روعي في ذلك جوارهما لرؤوسكم المجرورة بالباء<sup>(٧)</sup> .

٢ - قاعدة اكتساب المضاف من المضاف إليه ما يكون عليه من تذكير أو تأنيث كقولهم : قطعت بعض أصابعه<sup>(٨)</sup> . وفي القرآن لهذه القاعدة دليلها وهو قوله تعالى ( إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ )<sup>(٩)</sup> وقوله كذلك : ( يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ )<sup>(١٠)</sup> في إحدى القراءات وكقوله

(١) المغني لابن هشام - ٢ ص ٦٨٣

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٦٨٣

(٣) سورة الواقعة آية ١٧

(٤) سورة الواقعة آية ١٨

(٥) سورة الواقعة آية ٢٢

(٦) سورة المائدة آية ٦

(٧) المغني - ٢ ص ٦٨٣

(٨) أوضح المسالك لابن هشام - ٢ ص ١٧٩

(٩) سورة الاعراف آية ٥٦

(١٠) سورة يوسف آية ١٠

أيضاً ( وكنتنتم على شفتا حفرة من النار فأنقذكم منها ) (١) .

### أثر القرآن في الطرافة النحوية :

لقد تقدم بأن لكل علم مشكلاته ، كما أن له طرائفه وألغازه ، وليس النحو يبعيد عن ذلك فكما أن فيه ما يشكل ، فيه كذلك ما يلغز ويطرف ، ولا أعني بالطرافة هنا الشيء الذي ينتزع الضحك أو السرور ، وإنما أعني بذلك الغرابة والاستحداث ، وللقرآن في هذين الأمرين أثر لا بأس به في التعضيد أو التقريب والتدليل ، فمن الأول مثلاً ما استحدثه النحاة من أنواع الواو فإن منها نوعاً أسماه واو الثمانية أي يقال في العدد من واحد إلى سبعة بدون ذكر الواو حتى إذا ما أتى إلى الثمانية قيل وثمانية بالواو التي تؤذن بتمام العدد (٢) وقد استدل النحاة لهذه البديعة من القرآن الكريم بقوله ( سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَالْباقِمْ ) (٣) إلى قوله ( سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَالْباقِمْ ) (٤) .

وبقوله تعالى كذلك ( حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ) (٥) على اعتبار أن الأبواب المذكورة في الآية هي أبواب الجنة وعددها ثمانية (٦) .

ولم تنل هذه القاعدة الطريفة قبول النحاة أبداً وفي ذلك يقول

- 
- (١) سورة آل عمران آية ١٠٣
  - (٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي - ص ٤٣٨
  - (٣) سورة الكهف آية ٢٢
  - (٤) سورة الكهف آية ٢٢
  - (٥) سورة الزمر آية ٧٣
  - (٦) المغني - ص ٢٣٦٣ - البرهان - ص ٤٣٩

ابن هشام في مغنيه « ذكرها جماعة من الأدباء كالحري ومن النحويين  
الضعفاء كابن خالويه » (١) .

ونرى القرآن كذلك لا يقف بمعزل عما ألغز في النحو من الغاز ،  
بل نجده يدلي بأحكامه عليها فيثبت ما يرمي إليه اللغز النحوي أو  
الأحجية النحوية ، فما هو ذا المعري يلغز للفعل كاد بقوله :

أنحوي هذا العصر ما هي لفظه جرت في لساني جرم وثمود  
إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وان أثبتت قامت مقام جحد (٢)

أي : ما اللفظة التي إذا استعملت مثبتة كان معناها النفي ، وإذا  
نفيت كان معناها الإثبات .

ونحن إذا بحثنا في القرآن وجدنا الجواب عن هذه اللفظة وهي كاد  
فقد وردت مثبتة بمعنى النفي ومنفية بمعنى الإثبات ، فمن الأول قوله  
جل وعلا : ( وإن كادوا ليقتينونك عن النبي أو حيناً إليك ) (٣)  
أي : قربوا من فتنك ولكنهم لم يفتنوك (٤) .

ومن الثاني قوله تعالى : ( فذبحوها وما كادوا يفعلون ) (٥) - أي :  
فعلوا الذبح حيث يقرر ذلك قوله : فذبحوها (٦) .

ومن ذلك أيضاً ما سبق ذكره من أن ابن هشام يرى أن

(١) المغني - ٢ ص ٣٦٢

(٢) المغني - ٢ ص ٦٦٢

(٣) سورة الاسراء آية ٦٣

(٤) البرهان - ٤ ص ١٣٦

(٥) سورة البقرة آية ٧١

(٦) البرهان - ٤ ص ١٣٧

« السَّمَاوَاتِ » من قوله تعالى : ( خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ ) (١) مفعول مطلق وليس مفعولاً به (٢) وهو بذلك يخالف النحاة جميعاً ، كما يخالف ما اعتاده الناس من اعراب هذه الكلمة وما يشبهها مفعولاً به ، لذلك جاء هذا الاعراب غريباً وطريفاً ويعمل ابن هشام لذلك بكون المفعول المطلق لا يقتصر على كونه حدثاً فقط بل قد يكون ذاتاً كذلك ثم إن المفعول به يجب أن يكون محدثاً وموجوداً قبل وجود الفعل ، وهذا ما لا يتحقق في كلمة « السَّمَاوَاتِ » من الآية لانها وجدت مع وجود الفعل وتحققه وهذا شأن المفعول المطلق (٣) .

وحسي في هذا الصدد أن أختم هذا الفصل بالقول بأن في القرآن الكريم كذلك آيات ربما يدعو تركيبها إلى الوقوف عليها لا لغموض أو تعقيد فيها وإنما لبلاغة أسلوبها وروعة تركيبها ، مما جعل الكثيرين من مؤلفي الكتب النحوية يتعرضون لها في مقام الاختبار أحياناً ، وفي مقام المشكل بما ورد في اللغة العربية من عبارات وتركيبات أحياناً أخرى وهم في هذا أو ذاك يذهبون إلى اعرابها وتحليلها بوجوه عديدة وآراء مختلفة فمن هذه الآيات ما يأتي :

قوله تعالى :

- ١ - ( إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ) (٤)
- ٢ - ( سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ) (٥)
- ٣ - ( الْقَارِعَةُ ) (٦) ( مَا الْقَارِعَةُ ) (٧)

(١) سورة العنكبوت آية ٤٤

(٢) المفني ٢ ص ٦٦٠

(٣) نفس المرجع ص ٦٦١

(٤) سورة الطارق آية ٤

(٥) سورة يس آية ٥٨

(٦) سورة القارعة آية ١

(٧) سورة القارعة آية ٢

٤ - ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا  
فَوْقَهَا ) (١)

٥ - ( وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ) (٢)

٦ - ( لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ) (٣)

٧ - ( وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا ) (٤)

\* \* \*

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦

(٢) سورة المد آية ٤

(٣) سورة الكهف آية ٣٨

(٤) سورة الأعراف آية ١٦٠

## الفصل الرابع

### أخطاء العامة ولحونها

#### في ميزان القرآن

إن أحسن ما قد يقال في اللغة أيا كانت بأنها كالإنسان تتأثر كما يتأثر بالبيئة والظروف والأحوال فكما أن الإنسان ابن البيئة التي يعيش فيها فيتطور بتطورها ويتغير بتغيرها ويكون كما تكون فكذلك اللغة فانها تتأثر بالبيئة التي تنتشر فيها وتتطور بالناس الذين يتكلمون بها فكما ينال الإنسان تغير وتبدل وارتفاع وانخفاض وتقدم وتأخر فكذلك اللغة فقد ينالها من ذلك الشيء الكثير فهي ترتفع وتنحدر وتتقدم وتتأخر وتتسع وتضيق وتضعف وتزدهر وكل ذلك بفعل ما يحيط بها من عوامل زمنية أو فكرية أو سياسية أو اقليمية أو اجتماعية وما هي بذلك إلا مخلوق تعثره من التغييرات ما يعثره غيرها من المخلوقات .

وهذا شأن اللغة العربية من بين اللغات فقد بدأت قوية بأهلها عندما حصرتهم الصحراء في رقعتها وانعكس ذلك الانحصار على الالفاظ فحددها كما انطبعت البيئة القاسية عليها فأضفت عليها الحشونة والقسوة وما لبثت بالاسلام أن انفتحت لها الآفاق فخرجت من شرنقتها الصحراوية

وانطلقت في آفاق جديدة فرقت ألفاظها واتسعت وتعددت تراكيبها واستعمالاتها حتى إذا ما جاء العباسيون وانتشرت الرقعة الاملاسية وجدناها قد تزينت بشباب قشبية من الجمال فازدادت اتساعاً وأخذت تستوعب كل مناحي التفكير معبرة عنها ومؤدية ما تريد أن تؤدي إليه وكل ذلك بسلاسة وسهولة وميوعة ثم لاتبث أن تنتكس في عهدي المالك والاثراك فتزاحمها اللغة التركية التي استمدت قوتها من السلاطين والامراء فينحسر ظلها فتنزوي في زوايا الرقود تنتظر أن تبعث من جديد ، ولقد كان لها ما أرادت ففي العصر الحديث وجدناها تعود أجل مما كانت عليه طيبة جميلة ، واسعة غزيرة أنيقة رقيقة ، تفتح محرابها لكل من يريد لها لا تلتوي في لسان ولا تعز على التعبير والبيان . ولا عجب فيما إذا عادت كذلك فهي اللغة التي شرفها الله بالقرآن وجعلها لغة أحب أنبياء الله محمد صلى الله عليه وسلم .

غير أن هذه اللغة الشريفة لا يعقل أن تظل في منأى عن التغيير والتجريف ولقد كان لتلك التقلبات الزمنية والسياسية التي مرت بها أثرها الكبير في انحراف الألسن وشيوع اللغة العامية التي أصبحت وللأسف هي اللغة السائدة في المجتمعات في وقتنا الحاضر ، ولقد بلغ من ابتعاد الناس عن اللغة الفصيحة السليمة أنهم يقابلون من ينطق بها بالسخرية والاستهزاء فكأننا الميزان الحقيقي لذلك أن تكون العامية هي أساس الخطاب وأن الفصحى ما هي إلا انحراف عنها وشذوذ عن أصولها ولم يعلم الناس بأن ضميمهم هذا من الخطأ بكان وأن لغتهم العامية في واقعها هي الانحراف البين الخطير عن جادة اللغة الفصيحة السليمة . ولست أريد الإطالة في هذا الموضوع فقد أغرقه الكتاب والنقاد كتابة وحديثاً عن أخطاره وأبعاده غير أن ما يعنيني من الأمر أن

شيوع العامية كان سبباً في تسرب انحرافاتهما إلى اللغة الفصيحة التي يفرض فيها أن تكون كذلك مما يجري على ألسنة الكتاب والقراء والمتعلمين .  
فقد رأينا الصحف مثلاً وكثيراً من الكتب المطبوعة ، سواء منها الأدبي أو العلمي وكذلك ما يجري على ألسنة الناس من مراسلات أو مخاطبات ، رأينا ذلك كله يميل بالتراكم عن أصولها وبالاستعمالات السلمية عن سلامتها وقد رأينا كذلك يجانب هذا كله من يتصدى له بالنقد والتصحيح والتصويب فمتنشأ لذلك الجامع اللغوية التي هدفت وتهدف إلى ضبط اللغة والحفاظة على سلامتها بالإضافة إلى استحداث الالفاظ التي تعبر عما قد يجد في وقتنا الحاضر من مخترعات وآلات وأفكار ونظريات ، كما رأينا العلماء واللغويين يؤلفون الكتب الكثيرة ويلقون المحاضرات القيمة حول ما يخطئ فيه الناس مما يجيدون به عن القياس الصحيح للغة وأصولها وقواعدها .

ولقد كان استعمال هذه الأخطاء ونحوها وتزايدها سبباً كبيراً في وقوف اللغة أمامها مما جعل اللغويين ينظرون نظرة التساهل والتسامح فيما يجري على الألسنة ولا يكاد ينفك عنها فتراهم أحياناً يقرونه ويضعون من النظريات ما يسمح به كقولهم في كل ما لا يستطيعون أن يؤثروا في تغييره أو رده إلى الصواب بأنه صحيح في الاستعمال ولكنه شاذ في القياس .

ولقد كان لمثل هذا القول الأثر الكبير في أن تظل أخطاء العامة وانحرافات الألسنة متخذة مجراها دون معارضة أو تخطئة من أي جهة كانت اللهم إلا من تلك الاصوات الخافتة التي تنطلق من هنا وهناك مصوبة ومخطئة دون أن يفتن لها أحد أو ينتبه إليها انسان ولعلمهم في

ذلك يفسحون دون ما شعور لانطلاق كل القيم من مقصوداتها وضوابطها لتخضع للحياة/المادية التي يحياها الانسان ويميشها البشر في وقتنا الحاضر .

غير أن لغتنا رغم كل ذلك يجب ألا تخضع لأي مؤثر خارجي فارتباطها بالدين والقرآن الكريم يجعل لها صبغة معينة وخطاً واضحاً لا يمكن أن تخرج عنها مهما تنوعت الصرخات التي تدعو إلى تغييرها باسم التبسيط أو التسهيل أو التطوير فلغة القرآن ولغة الدين دين وهذا ما يضمن لها البقاء والحياة إلى الأبد .

من خلال هذا العرض والتقديم أقول بأن تلك الظروف التي مرت باللغة العربية وبخاصة شيوع العامية كانت كفيلة بأن تجعلها تنفلت من عقال الفصحى على ألسنة العامة وحتى الخاصة من الناس عبارات يخطئها اللغويون والنحاة وهم بذلك يعتمدون على القرآن متخذين منه ميزاناً للتصويب أو النقض والدحض كشأن القرآن العظيم في كل ما يتعلق باللغة من قريب أو بعيد وهو على هذا لم يقف بمنأى عما يجري على الألسنة مما لا تفره اللغة ولا يتفق وقواعد النحو والصرف بل وجدنا في آياته الكريمة ما يصوب لنا تلك الأقوال أو يخطئها . فمن ذلك مثلاً استعمال العامة أو الناس في لغتهم الكتابية شبه الفصحى مثل هذا الأسلوب : بدلت الكتاب بالقلم ، فيدخلون الباء على غير المتروك . والصحيح فيها أن تدخل على المتروك من البدلين (١) .

ولقد وقع شوقي أمير الشعراء في هذا الخطأ عندما قال :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافية إلا الكتابا

---

(١) مفتاح الاعراب لمحمد مرجان ص ٧٩

فقد أدخل الباء على الكتب وهي غير متروكة كما يفهم من البيت وللقرآن الكريم في ذلك القول الفصل فقد وردت آياته ناقضة لما يستعمله الناس ويخطيء به العامة حيث جاء في قوله تعالى ما يؤيد دخول الباء على المتروك وهو : ( أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ) (١) فالذي هو خير متروك وقد دخلت عليه الباء وكذلك قوله جل وعلا : ( وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ) (٢) فالإيمان هو المتروك في هذه الآية والباء قد دخلت عليه ، لذا فالصحيح في هذا الأسلوب أن تدخل الباء على المتروك عملاً بما ورد في القرآن ، وبما يؤكد ما جاء في الأساليب العربية الصحيحة موافقاً لذلك قول الشاعر :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا      شنوا الاغارة فرساناً وركباناً (٣)

أي : فليت لي بدهم أي : بدل من دخلت عليه الباء في بهم ومن الأخطاء التي يقع بها عامة الناس قولهم : توفى فلان ببناء الفعل للمعلوم والصحيح بناؤه للمجهول لان الله هو الذي يتوفى الأنفس فيقال : توفاه الله أي : قبض روحه (٤) فهو متوفى بفتح الفاء .

ويرد القرآن الكريم على هذا الخطأ بما يدحضه ويؤيد بناء الفعل للمجهول وذلك بقوله تعالى : ( وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ ) (٥) وكذلك قوله : ( وَالسَّيِّئِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ

(١) سورة البقرة آية ٦١

(٢) سورة البقرة آية ١٠٨

(٣) الأثموني = ٢ ص ٢٢٠ والبيت لشاعر جاهلي هو قريظ بن أنيف ، وهو من

يوثق بكلامهم .

(٤) القاموس المحيط = ٤ ص ٤٠٣

(٥) سورة الحج آية ٥

أزواجاً يتربصنَ بأنفسهنَّ أربعة أشهرٍ (١) فالفعل في الآيتين قد  
بني للمجهول مما يؤكد أن ما يجري على ألسنة الناس خطأ ولا أساس  
له وأن صوابه (توفي فلان) بضم التاء (٢) .

ومن ذلك أيضاً جمع العامة لما كان على وزن فعلاء صفة على  
فعلوات كقولهم في حمراء - حمراوات ، وهذا الجمع غير صحيح عند  
العلماء ماعدا الفراء وابن كيان (٣) .

والصحيح في جمع ما جاء على هذا الوزن وهو صفة أن يجمع على  
فعل فيقال في جمع حمراء وصفراء صفر ويؤيد هذا ما جاء في قوله  
تعالى ( كأنه جملة صفراء ) (٤) جمع صفراء وقوله كذلك ( ثياب  
سندس خضراء ) (٥) ( وسبع سنبلات خضراء ) (٦) وقوله : ( على  
رقرف خضراء ) (٧) وقوله : ( ويلبسون ثياباً خضراً ) (٨) ولم يرد  
في كل ذلك خضراوات كما هو في ألسنة الناس .

ومن الأخطاء كذلك تعديه الفعل بعث بالباء مطلقاً فيقولون : بعثت  
إليك بالخدام كما يقولون في الوقت نفسه بعثت إليك الرسالة مع أن  
العكس هو الصحيح فما يبعث بنفسه لا يبعث بالباء وما يبعث بواسطة  
يعدى بها فيجب أن يقال في الأول : بعثت إليك الخادم وفي الثاني :

(١) سورة البقرة آية ٢٣٤

(٢) حقائق وعبر لاسكندر الخوري ص ١٧٤

(٣) الأخطاء اللغوية الشائعة للنجار ص ١٩ - ٢

(٤) سورة المرسلات آية ٣٣

(٥) سورة الانسان آية ٢١

(٦) سورة يوسف آية ٤٣ ، ٤٦

(٧) سورة الرحمن آية ٧٦

(٨) سورة الكهف آية ٣١

بعثت إليه بالرسالة (١) ويؤيد هذا ما جاء في التنزيل وهو قوله تعالى :  
 ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ) (٢) وقوله أيضا ( فبعث الله  
 النبيين ) (٣) وكذلك ( أبعث الله بشرا رسولا ) (٤) وقوله ( إن  
 الله قد بعث لكم طالوت ) (٥) ومن الثاني قوله : ( فابمشوا  
 أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ) (٦) .

ومن الأخطاء الشائعة كذلك إدخال أل على لفظ غير مع أنها  
 لا تتعرف لايفالها في الإبهام (٧) ولم ترد في القرآن إلا مجردة عن هذا  
 التعريف كما في قوله تعالى ( غير المغضوب عليهم ) (٨) ، وقوله  
 كذلك ( صالحا غير الذي كنا نعمل ) (٩) ومن ذلك أيضا استعمال  
 كلمة السواح بالواو مع أن صحتها بالياء أي يقال السياح لكون الفعل  
 يائيا وليس واويا ويؤيد هذا قوله تعالى : ( فتسيحوا في الأرض ) (١٠)  
 ولم يقل سوهوا وفي القاموس ساح الماء يسبح (١١) ومن أوهام الناس  
 واعتقاداتهم الخاطئة بالنسبة لبعض الأساليب ما يلي :

١ - يتوهم بعض المتكلمين أن الفعل رجع فعل لازم ولا يتعدى

(١) حقائق وعبر ص ٢٢١

(٢) سورة النحل آية ٣٦

(٣) سورة البقرة آية ٢١٣

(٤) سورة الاسراء آية ٩٤

(٥) سورة البقرة آية ٢٤٧

(٦) سورة الكهف آية ١٩

(٧) حاشية الصبان - ٢ ص ١٥٥

(٨) الفاتحة آية ٧

(٩) سورة فاطر آية ٣٧

(١٠) سورة التوبة آية ٢

(١١) القاموس المحيط - ١ ص ٢٣٨

إلى مفعول فهم لهذا يستعملونه لازماً وهذا وهم يردده القرآن الكريم حيث استعمل هذا الفعل في الحالتين : أي لازماً ومتعمداً فمن النوع الأول قوله تعالى : ( فرجع موسى إلى قومه )<sup>(١)</sup> وقوله كذلك ( لتبين رجعتنا إلى المدينة )<sup>(٢)</sup> ومن الثاني قوله جبل وعلا ( فإن رجعتك الله إلى طائفة )<sup>(٣)</sup> وقوله كذلك ( فرجعناك إلى أمك )<sup>(٤)</sup> وبذلك ينتقض وهم العامة حيال هذا الفعل .

٢ - يتوهم بعض الناس أنه لا يقال ساهم بل يقال أسهم وعلى ذلك جرى كثير من الكتاب ولكن القرآن الكريم قد استعمل الصيغة الأولى وذلك بقوله تعالى : ( فساهم فكان من المدحضين )<sup>(٥)</sup> .

٣ - يعتقد البعض أن أي إذا أضيفت إلى مؤنث أنثت وإذا أضيفت إلى مذكر ذكرت ، فيقولون : أي رجل وأية امرأة وقد جرى على ذلك قول الشاعر :

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهام عاراً علي وتحسب<sup>(٦)</sup>

ورغم صحة هذا الوجه إلا أن هناك وجهاً آخر وهو استعمال أي بدون تاء سواء أضيفت إلى مذكر أم مؤنث ويؤيد هذا قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم :

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

حيث ذكر أي رغم إضافتها لكلمة مشيئة وهي مؤنث تأنثاً لفظياً

(١) سورة طه آية ٨٦

(٢) سورة المنافقون آية ٨

(٣) سورة التوبة آية ٨٣

(٤) سورة طه آية ٤٠

(٥) سورة الصافات آية ١٤١

(٦) البيت للكعب بن زيد الأسدي

كما أن القرآن الكريم أيد هذا الوجه بقوله تعالى : ( وما تَسْـدِري  
نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غداً وما تَدْرِي نَفْسٌ باي أرضٍ تَموتُ ) (١)  
حيث ذكر لفظ أي ولم يؤنثها رغم إضافتها إلى اسم مؤنث .

٤ - ومن الوهم كذلك استعمال كاف الخطاب مع امم الإشارة مذكراً  
مفرداً في جميع الأحوال تغليبا للواحد المذكر فيقال : افعَل ذلك الأمر  
أيها الرجل وافعلي ذلك الأمر أيها المرأة وافعَلوا ذلك الأمر يا رجال  
وافعلن ذلك الأمر يانساء ، وهذا الوجه رغم كونه مرجوحاً وهو  
لغة نقلها الثقات (٢) إلا أن القرآن الكريم قد جاء بها قليلا وذلك في  
قوله تعالى : ( وكذلك جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ) (٣) ومن ذلك أنه في  
مواضع كثيرة يدحض وهم الناس في اعتقادهم بصحة الوجه الأول فقط  
وهو في ذلك جار على القياس في استعمال الكاف هذه مناسبة للمخاطب  
في تذكيره أو تأنيثه أو تثنيته أو جمعه ومن ذلك قوله تعالى : ( ذلكَ  
لِيَعْلَمَ أَني لَمْ أَخْشِئُهُ بِالْغَيْبِ ) (٤) فالخطاب مفرد مذكر فأفردت له  
الكاف وفتححت وكذلك قوله تعالى : ( قالَ كذلكِ قالَ رَبُّكَ هُوَ  
عَلِيٌّ هَيْبٌ ) (٥) بكسر الكاف لكونها خطاباً للوئمة المفردة وكذلك  
قوله أيضاً : ( ذلكمَ ما عَلَّمَنِي رَبِّي ) (٦) بالحاق علامة التثنية  
للكاف لكون الخطاب اثنين وقوله أيضاً : ( ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ

(١) سورة لقمان آية ٣٤

(٢) شرح المفصل لابن يعين - ٣ ص ١٣٥

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣

(٤) سورة يوسف آية ٥٢

(٥) سورة مريم آية ٢١

(٦) سورة يوسف آية ٣٧

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (١) ، بالحاء ميم الجمع للكاف لجماعته المخاطب وقوله  
( فذلكن الذي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ) (٢) بالحاء نون جمع الاناث للسلاف لكون  
المخاطب مؤنثاً مجموعاً .

وبهذا نجد القرآن الكريم يتقصى خطأ من يظن وجوب استعمال  
الكاف مفردة مفتوحة فقط ويثبت في الوقت ذاته عكس هذا الوجه  
وهو الوجه الذي يتوهم خطأه وغرابته الكثير من الناس مع أنه القياس  
في الاستعمال وفي ذلك يقول الزنجشيري : « وينصرف مع المخاطب في  
أحواله من التذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، (٣) .

ويطيب لي في نهاية هذا الفصل أن أذكر بأن الأديب اسكندر  
الخوري وهو أحد أديباء فلسطين وشعرائها المعروفين يصحح بعض  
الأساليب اللغوية في كتابه ( حقائق وعبر ) معتمداً في ذلك على  
أدلة من القرآن الكريم وحسبنا بذلك اعترافاً من غير المسلمين بما  
للقرآن الكريم من أثر في تقويم اللغة وأصاليها فيما أورده : تصويبه  
لقول العامة : أرجوكم التحري عن الأوراق المفقودة فيقول مصوباً :  
والصواب البحث أو التنقيب ، وليس التحري لأن معناه الطلب ويستدل  
لذلك بقوله تعالى ( فأولئك تحرّروا رشداً ) (٤) أي طلبوا رشداً (٥) .  
ويصوب كذلك بالقرآن الكريم قوله العامة : تقدر الحكومة أشغال  
موظفيها الأمناء فيقول : إن الصواب تقدر على وزن تفعل وليس على

(١) سورة الأنعام آية ١٠٢

(٢) سورة يوسف آية ٣٢

(٣) المفصل للزنجشيري - ص ٣ ص ١٣٤

(٤) سورة الجن آية ١٤

(٥) حقائق وعبر لاسكندر الخوري ص ٢١٨

وَزَنُّ تُفْعَلُ بِالضَّمِيفِ (١) وَيَسْتَدِلُّ لِدَلِكْ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) (٢) .

ولعل في استشهاد مثل هذا الرجل بالقرآن الكريم فضلاً عما ذكرنا ما يبين لنا أن هذا التنزيل كان له الأثر الكبير في تقويم اللغة وردها إلى سلامتها وصحتها ، وإنه لكتاب الحق إلى أن تقوم الساعة .



---

(١) نفس المرجع

(٢) سورة الأنعام آية ٩١ - سورة الزمر آية ٦٧

## الباب الثاني

### القرآن الكريم والقاعدة النحوية

#### وفيه فصول

الفصل الأول : القرآن الكريم وأثره في مبنى القاعدة

الفصل الثاني : القرآن الكريم وأثره في تعليل القاعدة النحوية

الفصل الثالث : القاعدة النحوية بين أدلتها



## فهرسب

لقد عرفنا في الباب الأول مدى الأثر الواسع الذي خلفه القرآن الكريم في مذاهب النحو ومناظراته وغرائبه كما عرفنا أثره في علاج أساليب العامة وتقويمها وتصحيحها ، وفي هذا الباب سنركز القول في القاعدة النحوية ذاتها من حيث هي مجردة إلى حد ما ( عن أشخاصها وأصحابها ) لنذكر بذلك ما للقرآن الكريم من أثر في وجودها أو عدمه ، وفي سمعتها أو ضيقها وكذلك لنعرف قيمة القاعدة الواحدة التي اعتمدت في بنائها على عدة مصادر كان القرآن أظهرها .

ولإيضاح ذلك أكثر مما ذكرنا أقول : إن القاعدة بكل أنواعها كان لكتاب الله أثره البين فيها سواء أكانت تتعلق بالمعنى وذلك كالقواعد التي تتعلق بمعاني الحروف بشق أشكالها أم كانت تتعلق بالتراكيب كتقديم المفعول على الفاعل أم الخبر على المبتدأ أم حذف هذه الأمور وغيرها ، أم كانت القاعدة تتعلق بالضبط كنصب المفعول وجره وكنصب المفعول له وجره أيضاً وكرفع الفاعل وجره في بعض الأحيان .

وإننا سنجد القرآن في كل هذه الأنواع من القواعد يخوضها مستجديناً لها أو مثبتاً أو ناقضاً أو مفرعاً أو معللاً .

وقد عمدنا إلى استيفاء هذا الباب في فصول ثلاثة هي على التوالي :

- ١ - القرآن الكريم وأثره في مبنى القاعدة النحوية .
- ٢ - القرآن الكريم وأثره في تقسيم القاعدة وتعليلها .
- ٣ - القاعدة النحوية بين أدلتها .

وسأبدأ الحديث بالفصل الأول من هذه الفصول .

## الفصل الأول

# القرآن الكريم

## وأثره في مبنى القاعدة النحوية

لم يكن للقاعدة النحوية كما تقدم مصدر واحد بل كان لها مصادر عديدة من كلام العرب شعرهم ونثرهم ومن حديث شريف إلى قرآن كريم ، غير أن القرآن كما تبين لنا كان العامل الأول في نشأة النحو وإيجاده ، كما كانت آياته السند الأفضل والأقوى لهذه القواعد دون شك في ذلك أو ريب ولم يكن لقواعد هذا العلم أن تتضخم وتتجزأ كما رأيناها في كتب النحو ومراجعها لولا أن القرآن كان عاملاً أساسياً في تكوين هذه الثروة الضخمة منها وبخاصة إذا عرفنا أن الوجوه التي تقرأ بها الآيات الكريمة وجوهاً متعددة وقراءات عديدة تمثل كل قراءة منها شكلاً إعرابياً أو وجهاً لفظياً يختلف عن غيره بحيث ينشأ عن هذا الاختلاف قواعد شتى وآراء مختلفة .

ولم يكن أثر القرآن في مبنى القاعدة يقتصر على إنشائها واستحداثها بل تجاوز هذا إلى تثبيتها حيناً ونقضها حيناً آخر كما وجدناه كذلك عاملاً قوياً في تفرعها وتوسعة جزئياتها .  
وهذه المظاهر التي ذكرناها لأثر القرآن في القاعدة هي المظاهر التي سنفصل الحديث عنها فيما يلي :

## ١ - أثر القرآن الكريم في استحداث القاعدة :

لقد كان لكتاب الله أثر كبير في إنشاء حصيلة ضخمة من القواعد المتنوعة وعندما أقول مثل هذا القول فلا أعني به أن هذه القواعد لولا القرآن لما طلعت وسجلت في كتب النحو ومصنفاته ، بل أعني بهذا أن هذه القواعد قد وضعت من وحي الآية ومن أجلها ، وهذا لا يمنع أن تكون بعد ذلك قد دعمت ببيت شعري أو قول عربي موثوق بهما أو كان هذان مع القرآن الكريم سبباً في استحداث هذه القاعدة وبنائها .  
ولايضاح هذا الأمر أقول إن القواعد التي ضمها علم النحو في جنباتها تتنوع إلى نوعين وهما .

١ - قواعد بديهية لم تخضع لاستنتاج أو تقنين وإنما صنعتها السليقة والفطرة ، وذلك ككون الفاعل مرفوعاً ومن وقع عليه الفعل منصوباً .

٢ - قواعد استنتاجية استقرائية : وهي ما تزخر به كتب النحو مما كان نتيجة لاختلاف النحويين واتجاهاتهم المختلفة والمتنوعة .

فأما عن علاقة القرآن بالنوع الأول من هذه القواعد ، فلا يتعدى كونه وافقها وأثبتها نتيجة كونه قد نزل بلسان عربي مبين ، فالفاعل مثلاً في جميع آياته مرفوع والمفعول به منصوب والمبتدأ والخبر مرفوعان والمضاف إليه مجرور ، وهكذا بما تزخر به الكتب النحوية من قواعد بديهية لم يزد القرآن على أن وافقها .

وأما عن علاقته بالنوع الثاني من القواعد فهي علاقة كبرى توضح لنا مقدار القواعد التي ارتبطت بالآيات الكريمة مما تعجز عن حصره رسالة كهذه إلا أننا سنمثل لها بالقدر الذي يتضح لنا به مدى ما كان للقرآن من أثر فعلي في استحداث كثير من هذه القواعد وإليك طائفة منها .

١ - قاعدة ورود ظن للشك إن وليتها إن الخفيفة والليقين إن وليتها أن المثقلة :

ظن كما يقول النحاة فعل من الأفعال التي قد تدل على يقين الخبر أو رجحانه ، والرجحان يقلب فيها كما يقلب في حسب وخال ، وقد استشهد النحاة لهذه الأفعال بكثير من الأدلة الشعرية والنثرية الدالة في معظمها على الرجحان ، ولم يستدلوا لليقين إلا بأمثلة قليلة منها قول لبيد بن ربيعة العامري (١) .

حسبت التقى والجود خير تجارة رباحاً إذا ما المرء أصبح ناقلاً  
ويجدد القرآن الكريم ما يختص بهذه الأفعال من معنى كما يحتوي في هذا الصدد على ضابط يحدد لكل فعل منها ما يدل عليه من شك أو يقين ، وهو أن كل فعل ظن يتصل بأن الخفيفة فهو يدل على الشك وإذا ما اتصل بأن المشددة فإنه يدل على اليقين (٢) .

وأمثلة الأول : قوله تعالى : ( إنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ) (٣)  
وقوله كذلك : ( بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ ) (٤) .

وأمثلة الثاني : قوله تعالى : ( إِنِّي ظَنَنْتُ أَنْتِي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ) (٥)  
وقوله كذلك : ( وَظَنَّ أَنْهُ الْفِرَاقُ ) (٦) .

(١) تحقيق الاستاذ محي الدين عبد الحميد على شرح ابن عقيل - ص ٣٥٩ - حاشية

الصبان ٢٣ ص ٢١

(٢) البرهان للزركشي - ص ١٥٦

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٠

(٤) سورة الفتح آية ١٢

(٥) سورة الحاقة آية ٢٠

(٦) سورة القيامة آية ٢٨

ويبدو أن هذا النسق خاص بالقرآن الكريم ولذا اعتبره صاحب  
البرهان سرّاً من أمراره حيث يقول في ذلك : « فتمسك بهذا الضابط  
فإنه من أمرار القرآن » (١) .

## ٢ - قاعدة تكرار البديل :

المعروف أن اللفظ قد يبدل من اللفظ ولكن هل للبديل أن  
يكور ؟ يجيب الزركشي عن ذلك بقوله : وقد يكرر البديل (٢)  
ويبنى ذلك على قوله تعالى ( إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه  
الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه (٣)  
ونراه يمضي في إيضاح ما قرره فيقول : إذ هما في الآية بدل من قوله :  
إذ أخرجه الذين كفروا ، وقوله : إذ يقول لصاحبه بدل من إذ هما  
في الغار (٤) ويؤيد المفسرون هذا الأعراب ففي تفسير أبي السعود ما  
نصه : « إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل بعض وإذ يقول -  
بدل ثان (٥) ، وأما بالنسبة للمراجع النحوية فيبدو أنها لم تتعرض  
لمثل هذه القاعدة .

## ٣ - قاعدة حذف المضاف والمضاف إليه :

إذا أضيف المضاف إلى مضاف فقد يحذفان ويبقى الثالث (٦) ،

---

(١) البرهان - ٤ ص ١٥٧

(٢) البرهان - ٢ ص ٤٦١

(٣) سورة التوبة آية ٤٠

(٤) البرهان - ٢ ص ٤٦١

(٥) تفسير أبو السعود - ٢ ص ٢٧٠

(٦) البرهان - ٣ ص ١٥٢

وقد بنيت هذه القاعدة على أمثلة كثيرة من القرآن الكريم ذكر منها قوله تعالى ( وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ )<sup>(١)</sup> وقوله كذلك ( تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ )<sup>(٢)</sup> وتقدير المضافين في الآية الأولى وتجمعون بدل شكر رزقكم وتقديرهما في الثانية - كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت<sup>(٣)</sup> ، وقد استعرض الزركشي في برهانه لهذه القاعدة آيات كثيرة .

ويؤيد الأشموني هذه القاعدة بقوله : قد يكون الأول مضافاً إلى مضاف فيحذف الأول والثاني ويقام الثالث مقام الأول في الإعراب ويستدل لذلك بما ذكرنا من الآيات ويزيد عليها قول الشاعر :

فأدرك أرقال العرادة ظلمها وقد جعلتني من حزيمة أصعباً  
والتقدير : أي ذا مسافة أصعب<sup>(٤)</sup> .

٤ - قاعدة اعمال اسم الفاعل عمل فعله وهو دال على المعنى :

يعمل اسم الفاعل عمل فعله إذا دل على الحال أو الاستقبال وهذه القاعدة قد قفرد بها الكسائي واستحدثها من قوله تعالى : ( وَكَلِّمَهُمْ بِاسْطُ ذُرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ )<sup>(٥)</sup> وقد منعها بقية النحاة وفي ذلك يقول ابن مالك في ألفيته :

كفعله اسم فاعل في العمل ان كان عن مضيه بمعزل

(١) سورة الواقعة آية ٨٢

(٢) سورة الاحزاب آية ١٩

(٣) البرهان - ٣ ص ١٥٢

(٤) الأشموني - ٢ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣

(٥) سورة الكهف آية ١٨

وتعليل حصر العمل في الحال أو الاستقبال من دون المضي كونه محمولاً على الفعل المضارع (١) وعلى هذا فإن النجاة لم يقرروا الكسائي على اعتباره اسم الفاعل في الآية المتقدمة دالاً على المضي إذ لاجحة له في ذلك كونه دالاً على الحال بمعنى يبسط ذراعيه (٢) .

ونرى ابن يعيش في شرحه للمفصل يؤيد الكسائي فيما ذهب إليه ويده بدليل آخر على قاعدته (٣) وهو قوله تعالى ( فَالْقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ) (٤) .

ويخرج ما يراه الكسائي في قوله تعالى : وكلهم باسط ذراعيه على اعتبار أنه حكاية للحال الماضية كقوله تعالى ( وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعْتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ) (٥)

فاسم الإشارة يقع على الحاضر ، ولم يكن هذا حاضراً وقت الخبر ثم يستطرد ابن يعيش في كلامه فيقول : وأما قوله تعالى : فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً ، فإن أكثر النحويين يجهلون ذلك ماضياً (٦) .

ورغم ما وجدت القاعدة من اعتراضات وتأويلات وتخريجات إلا أنها تعتبر في الحقيقة قد استحدثت من الآيات الكريمة حيث لم يذكر لها النجاة دليلاً آخر من غيرها .

(١) الاثموني - ٢ ص ٢٩٣

(٢) الاثموني - ٢ ص ٢٩٣

(٣) شرح المفصل لابن يعيش - ٦ ص ٧٧

(٤) سورة الانعام آية ٩٦

(٥) سورة القصص آية ١٥

(٦) شرح المفصل - ٦ ص ٧٨

## ٥ - دخول الفاء في جواب لما :

تعتبر هذه القاعدة من مختارات ابن مالك (١) ، وقد بناها على قوله تعالى : ( فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ) (٢) ، حيث اعتبر الفاء واقعة في جواب لما رغم أن جمهور النحاة لا يرونها كذلك ويذهبون في تأويلها إلى أنها داخلة على محذوف (٣) تقديره : انقسموا إلى قسمين فمنهم مقتصد (٤) ، ونجد الزركشي في برهانه يؤيد ابن مالك فيما رأى بقوله « لكن الحق أن مقتصد هو الجواب ، هو الذي ذكره ابن مالك » (٥) .

وبذلك يتبين لنا أن الآية كانت سبباً في استحداث تلك القاعدة التي رآها ابن مالك .

## ٦ - قاعدة إبدال الجملة من المفرد :

قد تبدل الجملة من الجملة باتفاق ولكن هل تبدل الجملة من المفرد؟ هذا ما لم يجمع عليه النحاة ، ولم يجزه منهم إلا ابن جني والزمخشري وابن مالك (٦) وقد اعتمد هؤلاء على قول الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى يلتقيان  
وذلك على ابدال : كيف يلتقيان من لفظي - حاجة وأخرى .

(١) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٣١٥

(٢) سورة لقمان آية ٣٢

(٣) المغني لابن هشام - ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١ - البرهان - ٤ ص ٣٨٤

(٤) نفس المرجعين السابقين

(٥) البرهان - ٤ ص ٣٨٤

(٦) الاشموني - ٣ ص ١٣٢

ولكننا نرى ابن مالك يستدل لهذه القاعدة بدليل أسبق من البيت وهو قوله تعالى ( مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِّلرَّسُولِ مِن قَبْلِكَ ، إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ) (١) على اعتبار أن جملة : إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم بدل من « ما » (٢) .

ويستدل الزنجشيري لهذه القاعدة بآية أخرى هي قوله تعالى : ( وَأَسْرُِوا لِّلنَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلَكُمُ أَفْتَاتُونَ السَّحَرَاءَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) (٣) على اعتبار أن الكلام كله بدل من النجوى في محل نصب (٤) .

#### ٧ - قاعدة حذف جملة الشرط مع أدواته :

اسلوب الشرط كما هو معلوم يتكون من فعل شرط وجوابه ، وقد يوجد الجزاءان في الجملة وقد يحذف أحدهما اكتفاء بالآخر وفي ذلك يقول ابن مالك :

والشرط يعني عن جواب قد علم والعكس قد يأتي إن المعنى فهم وقد أجمع النحاة على كثرة حذف الجواب دون الشرط وفي ذلك يقولون : وهذا كثير (٥) ولكن ما موقفهم حيال حذف الشرط والاكتفاء بالجواب عنه ؟

لقد عبر ابن مالك في البيت السابق عن موقف النحاة حيال هذا

(١) سورة فصلت آية ٤٣

(٢) الهمع للسيوطي - ٢ ص ١٢٨ - المغني - ٢ ص ٤٢٥

(٣) سورة الانبياء آية ٣

(٤) البرهان - ٢ ص ٤٦٩ المغني - ٢ ص ٤٢٦

(٥) الاشعري - ٤ ص ٢٥

وقولهم بقلة هذا الحذف حين قال : والعكس قد يأتي .. ولعل العكس المقصود هو مايعني حذف الشرط مع بقاء أدواته وفي ذلك يقول ابن عقيل مثلاً في هذا الصدد : وأما حذف الشرط والاستغناء عنه بالجواب والجزاء فقليل (١) ومنه قول الشاعر :

فطلقها فلست لها بكفء      والايعل مفرقك الحسام (٢)

بينما يرى ابن هشام كثرة مارآه ابن عقيل وهو حذف الشرط بدون الأداة ويستشهد لذلك بنفس البيت المذكور حيث يقول : وحذف جملة الشرط بدون الأداء كثير (٣) كقوله :

فطلقها ...

ولعل ابن هشام في تناقضه مع غيره من النحاة يطرح قضية أخرى في الموضوع وهي هل يحذف الشرط مع الأداة؟ والذي يبدو هنا أن القاعدة التي سنتجتج عن إيجابية هذا السؤال ليس لها نصيب من أي نوع من الأدلة شعرية كانت أم نثرية إلا من القرآن الكريم وهنا يبرز دوره الكبير في استخلاص هذه القاعدة وهي حذف أداة الشرط مع جلته . حيث وجدنا ابن هشام لا يقتصر في هذا المقام على مجرد الاستدلال لهذه القاعدة بل وجدناه من خلال الآيات العديدة يصنف هذا الحذف إلى صنفين :

١ - مطرد ٢ - غير مطرد - وقد مثل للنوعين بجشد من الآيات حيث مثل للأول بقوله تعالى ( فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (٤) أي فإن

(١) شرح ابن عقيل - ٢ ص ٢٩٨

(٢) البيت للاحوص محمد بن عبد الله بن عاصم الانصاري

(٣) المغني - ٢ ص ٦٤٧

(٤) سورة آل عمران آية ٣١

تتبعوني بحبيكم الله<sup>(١)</sup> وقوله كذلك : ( ربنا أخيرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك ونتبع الرسل )<sup>(٢)</sup> أي فإن تؤخرنا نجب دعوتك وتتبع الرسل .

وأما النوع الثاني وهو غير المطرد بما لا يكون بعد طلب فأمثلته كثيرة منها قوله تعالى : ( إن أرضي واسعة فإني آي فاعبدون )<sup>(٣)</sup> أي فإن لم يتأت إخلاص العبادة لي في هذه البلدة فإياي فاعبدوني في غيرها<sup>(٤)</sup> وقوله كذلك ( أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي )<sup>(٥)</sup> أي إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي<sup>(٦)</sup> .

ويبدو هنا واضحا أن مثل هذه القاعدة لم تكن لتقرر لولا هذا الحشد الهائل من الآيات والذي لانملك حيماله إلا أن نقول بأنه سبب في استحداث هذه القاعدة وانشائها .

#### ٨ - مجيء ما الشرطية دالة على الزمن :

تأتي ما الشرطية زمانية وغير زمانية ، ولم يرد أي خلاف في جميعها لغير الزمان وأما اتيانها دالة على الزمان فيبدو أنه لا إجماع على ذلك ولم يره من النحاة إلا الفارسي وأبو البقاء وأبو شامة وابن بري وابن مالك<sup>(٧)</sup> وسند هذه القاعدة قوله تعالى : ( فما استقاموا لكم

(١) المغني - ٢ ص ٦٤٦

(٢) سورة إبراهيم آية ٤٤

(٣) سورة العنكبوت آية ٥٦ .

(٤) المغني - ٢ ص ٦٤٦

(٥) سورة الشورى آية ٩

(٦) المغني - ٢ ص ٦٤٦

(٧) المغني - ١ ص ٢٠٢

فاستقيموا لهم (١) أي : استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم (٢) وليس  
لهذه القاعدة دليل آخر من الشعر سوى ما استدل به ابن مالك على  
ذلك وهو قول الشاعر :

فماتك يا ابن عبد الله فينا فلاظماً نخاف ولا افتقاراً  
ولعل الآية في ذلك أكثر دلالة على ما أراد هؤلاء ودليل ذلك أن  
ابن هشام يقول عن دلالة ما فيها على الزمنية : وهو ظاهر أي كونها  
دالة على الزمان أمر ظاهر ، بينما يرى أن ما في البيت تحتل الزمنية  
ولا تتمحض لها إذ تحتل المصدرية كذلك (٣) .

والذي نراه أنه لا فرق في دلالة ما على الزمنية بين الآية والبيت ،  
وأن ما قاله ابن هشام بالنسبة للمصدرية تحل وتكلف لا مكان لها وعلى  
هذا يكون البيت والآية الكريمة مصدرراً للقاعدة وسبباً في استحداثها .

#### ٩ قاعدة اعمال ما عمل ليس مجازاة للغة الحجازيين :

تعمل ما عمل ليس فترفع الاسم وتنصب الخبر وقد وضعت هذه  
القاعدة من قوله تعالى ( مَا هَذَا بَشَرًا ) (٤) ، وقوله كذلك :  
( مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ) (٥) وليس لهذه القاعدة من دليل شعري أو نثري  
إلا بيت من الشعر لم يعرف قائله (٦) وهو قول الشاعر :

(١) سورة التوبة آية ٨

(٢) المغني ٣ - ١ ص ٣٠٣

(٣) المغني ٣ - ١ ص ٣٠٣

(٤) سورة يوسف آية ٣١

(٥) سورة المجادلة آية ٢

(٦) تعليق الاستاذ محي الدين عبد الحميد على شرح ابن عقيل ٣ - ١ ص ٢٦٠

أبنائها متكفنون أباهم حثقو الصدور وما هم أولادها  
وبناء قاعدة مما صح أجدر من بنائها من قول لا يعرف قائله .

١٠ - قاعدة حذف اسم لات وإبقاء خبرها :

قد يحذف اسم لات ويبقى خبرها وقد أخذت هذه القاعدة من  
قوله تعالى : ( وَاللَّاتِ حِينِ مَنْصَصٍ ) (١) والتقدير ولات الحين حين  
مناص ، وليس لهذه القاعدة دليل آخر غير بيت من الشعر لم يعرف  
قائله (٢) كذلك أو اختلف فيه (٣) مما لا يجعله معتمداً في هذا الصدد وهو  
قول الشاعر :

ندم البغاة ولات ساعة مندم      والبغي مرتع مبتغيه وخيم

١١ - قاعدة صرف كلمة سحر إذا أريد به سحر يوم بعينه :

أخذت هذه القاعدة من قوله تعالى : ( إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ  
بِسَحَرٍ ) (٤) ولم يستشهد لهذه القاعدة بغير هذه الآية الكريمة .

١٢ - قاعدة زيادة ما بعد من وعن والباء :

أخذت هذه القاعدة من قوله تعالى : ( مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ) (٥)

(١) سورة ص آية ٣

(٢) تعليق الاستاذ محي الدين علي شرح ابن عقيل - ١ ص ٢٧٥

(٣) شرح شواهد الاشعري للميني - ١ ص ٢٥٥

(٤) سورة القمر آية ٣٤

(٥) سورة نوح آية ٢٥

وقوله كذلك : ( عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ) (١) وقوله أيضاً :  
( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ) (٢) .

ولقد كان للقرآن الكريم زيادة على ما ذكر فضل كبير في استحداث  
المعاني المختلفة للحروف ، سواء أكانت حروفاً عاملة أو عاطلة ، ونحن  
إذا استعرضنا حروف الجر أو العطف أو الاستفهام أو غير ذلك من  
الحروف فسنجد أن كل ما قبل في معانيها أو معظمه بلفظ أدق قد اعتمد  
في استنتاجه واستخلاصه على القرآن الكريم ، فلم يكن ليقال مثلاً ان  
الباء من حروف الجر تأتي للتمدية لولا قوله تعالى : ( ذهبَ اللهُ  
بِنُورِهِمْ ) (٣) أو للمصاحبة لولا قوله : ( وقدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ ) (٤)  
أو للمجازة لولا قوله : ( فاسْأَلْ بِهِ خَبيراً ) (٥) .

ولولا أن الآيات الكريمة دلت على المعاني المتقدمة لما وضع هذا  
التقسيم ولما كانت تلك الاصطلاحات من تمدية أو تبعية أو مصاحبة  
أو مجازة أو استعلاء أو سببية ، إلى آخر ما قبل .

ولنلقي ضوءاً أسطع على ما قلناه نقول بأن كل ما وضع في معاني  
الحروف قد استخلص من آيات القرآن الكريم ، فلو تدبرنا مثلاً حروف  
الجر لرأينا أن مراجع النحو بمجموعها تعرض هذه الحروف مستدلة لها  
بمحدد هائل من الأدلة القرآنية دون أن نجد من ضمنها شيئاً من الأدلة

---

(١) سورة المؤمنون آية ٤٠

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩

(٣) سورة البقرة آية ١٧

(٤) سورة المائدة آية ٦١

(٥) سورة الفرقان آية ٥٩

الأخرى سوى ما ندر بالنسبة لبعض الحروف التي يشترك في الدلالة عليها بالإضافة إلى القرآن الكريم بيت أو بيتان من الشعر ، وهذا نادر كل الندرة ، ففي الحديث عن حرف الجر « من » مثلا نجد النحاة قد قرروا لها من المعاني عدداً يتراوح بين السبعة والعشرة ومنها على سبيل التمثيل : التبعض ودليله القرآني قوله تعالى : ( حتى تَنفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ )<sup>(١)</sup> وبيان الجنس ودليله ( مِمَّنْ أَسَاوَرَ مِمَّنْ ذَهَبٍ )<sup>(٢)</sup> وابتداء الغاية المكانية ودليله ( مِمَّنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى )<sup>(٣)</sup> والزمانية ودليله ( مِمَّنِ أَوَّلِ يَوْمٍ )<sup>(٤)</sup> والتنصيص على العموم ودليله ( مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ )<sup>(٥)</sup> والبدلية ودليله : ( أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِمَّنِ الْآخِرَةِ )<sup>(٦)</sup> والظرفية ودليله : ( مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ )<sup>(٧)</sup> والتعليل ودليله ( مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا )<sup>(٨)</sup> وموافقة عن ودليله : ( يَا وَيْلَتَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا )<sup>(٩)</sup> وموافقة الباء ودليله : ( يَنْظُرُونَ مِمَّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ )<sup>(١٠)</sup> وموافقة على ودليله : ( وَنَصَرْنَاهُ مِمَّنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا )<sup>(١١)</sup> .

(١) سورة آل عمران آية ٩٢

(٢) سورة الكهف آية ٣١

(٣) سورة الاسراء آية ١

(٤) سورة التوبة آية ١٠٨

(٥) سورة الأنبياء آية ٢

(٦) سورة التوبة آية ٣٨

(٧) سورة فاطر آية ٤٠

(٨) سورة نوح آية ٢٥

(٩) سورة الأنبياء آية ٩٧

(١٠) سورة الشورى آية ٤٥

(١١) سورة الأنبياء آية ٧٧

ويضيف ابن هشام في مفييه على هذه المعاني المتقدمة خمسة أخرى  
كان حظها من الآيات القرآنية حظاً وافراً يؤيد مذهبنا إليه .  
ومن وسط هذا العدد الكبير من الآيات الكريمة التي كانت سبباً في  
استحداث ما ذكرناه من معان نجد أبياتاً من الشعر استدلت بأحدها على  
مجيء من للدلالة على الغاية الزمانية وهو قول الشاعر :

تخيرن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جربن كل التجارب (١)

وبيت آخر استدلت به على مجيء من للتعليل وهو قول الشاعر :

يفضي حياء ويفضي من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم (٢)

وبيت ثالث استدلت به على مجيئها للبدل وهو قول الشاعر :

أخذوا الخاض من الفصيل غلبة ظلاماً ويكتب للأمر أفيلا (٣)

وفي اعتقادي أنه لو صح للنحاة أدلة شعرية أو نثرية غير القرآن  
ليستدلوا بها على تلك المعاني لما توانوا عن رصدها وإحاطها بالأدلة المذكورة  
كما فعلوا بالنسبة للأبيات الثلاثة . وفي صنيعنا هذا لانمعي الحصر المطلق  
فيما ذكرناه فقد توجد أبيات أخرى يمكن الاستدلال بها ولكننا نعني  
أن الآيات القرآنية كان لها قصب السبق في استنتاج هذه المعاني الملحقة  
بالحروف المذكورة ، وهذا ما أقصده بالنسبة للاستحداث أي أن القرآن  
الكريم كان سبباً في استحداث معظم هذه المعاني الاصطلاحية وذلك  
لاحتواء آياته على هذه المفاهيم والمعاني ولا ينفى هذا كما لا يتنافى مع إمكانية  
مشاركة أدلة أخرى في هذا الاستحداث كما ذكرنا ، وإنما نقصد بذلك  
أن للقرآن في هذا أفضلية الاستحداث وأولويته . إذ لولا ما لوحظ على

(١) البيت للنايفة الذبياني

(٢) البيت للفوزدق

(٣) من شواهد الاشموني التي لم ينسبها لغائل

ما تحمله آياته من المعاني المذكورة لما وجدت هذه المعاني أو حررت في مراجع النحو كما هي عليه فيها .

ولعلنا نجد أثر القرآن بالنسبة لمعاني الحروف في كل أنواعها كما ذكرنا وعودة إلى هذه الأنواع في مظانها ترينا صدق ما ذهبنا إليه ، ولقد كان لابن هشام في مغنيه والزرکشي في برهانه مجال فسيح في هذا الجانب .

وبهذا كله يتبين لنا أن كثيراً من الآيات القرآنية كانت سبباً في استحداث قواعد عديدة استحداثاً ان لم يكن في ذاتها ونشأتها يكن في استخلاصها واستنتاجها ووضع ما يتعلق بها من مصطلحات أو معاني .

## ٢ - أثر القرآن الكريم في تثبيت القاعدة وترسيخها :

إذا كان للقرآن الكريم دوره الواضح في تأسيس قاعدة ما أو انشائها كما قدمنا فإن له دوره البين كذلك في تثبيت أخرى وترسيخها ومدتها بالحياة والقوة والثبات وإذا كان النحوي في الدور الأول يستلهم الآية الكريمة قاعدة ما ليقمدها من خلالها فإنه في هذا الدور يستلهمها السند والتأكيد والتثبيت لقاعدة رآها من خلال بيت من الشعر أو قول نثري أو قياس ذاتي ، ولقد كان القرآن في كل هذا المنجد السريع والمسند القوي لكل نحوي تلمس منه ما يزوده بالتأييد والتثبيت .

ولقد كانت القواعد التي لجأ أصحابها إلى القرآن الكريم يستمدون منه سندهم فيها وقوة وجهتهم إليها ثلاثة أنواع :

١- قاعدة رآها مذهب .

٢- قاعدة رآها أكثر من واحد .

٣- قاعدة رآها واحد فقط .

وللقرآن في تأييد هذه الأنواع الثلاثة من القواعد نصيب كبير نعرض لبعضه تمثيلاً لا حصراً كما يأتي :

١- قاعدة أم المنقطعة وكونها بمعنى بل والهمزة .

تجيء أم في اللغة العربية على أنواع أربعة وهي : المتصلة والمنقطعة والزائدة والمعرفة (١) ولكل نوع من هذه الأنواع خصائصه ومواطنه وتعريفاته وقد فرق النحاة بين المتصلة والمنقطعة بفروق متعددة أهمها : أن المتصلة بمعنى أي والمنقطعة بمنزلة بل والهمزة وذلك كقولهم : إنها لابل أم شاء والتقدير : بل أي شاء (٢) .

ويرى البصريون أن هذه الهمزة ملازمة « لبل » ولا تنفك عنها أي أن أم إذا كانت للاضراب فلا تكون إلا بمعنى بل والهمزة وفي ذلك يقول ابن هشام ( ونقل ابن السجري عن جميع البصريين أنها أبدأ بمعنى بل والهمزة جميعاً ) (٣) .

وقد كان للقرآن الكريم دوره في تثبيت هذه القاعدة وفي ذلك يقول ابن الأنباري : « ولا يجوز أن تقدر بل وحدها والذي يدل على ذلك قوله تعالى : ( أم له البساتن ولكم البسنون ) (٤) ولو

(١) المغني - ١ ص ٤١ ، ٤٤ ، ٤٨

(٢) أمرار العربية لابن الأنباري ص ٣٠٥

(٣) المغني - ١ ص ٤٥

(٤) سورة الطور آية ٣٩

كان بمعنى بل وخذها لكان التقدير : بل له البنات ولكم البنون وهذا كفر محض ، فدل على أنها بمنزلة بل والهمزة « (١) » .

ويقول ابن هشام في هذا الصدد : إذ لو قدرت للإضراب المحض للزم المحال (٢) ويضيف ابن يعيش إلى ذلك مؤيداً ما قيل ، قوله تعالى : ( أَمْ اتَّخَذَتْ مِمْماً يَخْلُقُ بَنَاتٍ ) (٣) ويقول عن هذه الآية والآية التي سبقتها : والدليل على أن أم ليست بمنزلة بل مجردة عن الاستفهام قوله تعالى : أم اتخذ مما يخلق بنات ، وقوله كذلك : أم له البنات ولكم البنون ، إذ يصير ذلك متحققاً وتعالى الله عن ذلك (٤) .

وفيما قلناه دليل واضح على أن للآية الكريمة دورها في تأييد هذه القاعدة وما ذهب إليه البصريون فيها .

وإنه على المقابل من ذلك كله نراه يؤيد كذلك ما ذهب إليه الكوفيون من أنها قد تكون للإضراب فقط وما هو ذا ابن هشام يقول عن « أم » مع الاستفهام « وقد لا تقتضيه البتة » (٥) وهو بهذا يؤيد الكوفيين حيث يقول في هذا الصدد : إن الكوفيين خالفوا البصريين في ذلك والذي يظهر لي قولهم ، (٦) .

ويذهب في اثبات ما رأوه إلى الاستدلال بآيات قرآنية عديدة منها قوله تعالى : ( أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ) (٧) وقوله كذلك :

(١) أسرار العربية لابن الانباري ص ٣٠٦

(٢) المغني - ١ ص ٤٥

(٣) الزخرف ١٦

(٤) شرح المفصل - ٨ ص ٩٨

(٥) أوضح المسالك - ٣ ص ٥١

(٦) المغني - ١ ص ٤٥

(٧) سورة الرعد آية ١٦

( أُمُّ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ) (١) وقوله أيضاً ( أُمُّ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) (٢) .

## ٢ - قاعدة مجيء الواو للترتيب :

يرى البصريون أن الواو في عطفها تفيد مطلق الجمع ولا دلالة فيها على الترتيب وهذا خلاف ما يراه الكوفيون (٣) وبعض النحاة كقطرب والرعي وثلعب (٤) وقد ثبتت هذه القاعدة بأقوال عربية كثيرة منها قول لبيد :

أغلى السباء بكل أدكن عاتق  
أو جونة قدحت وفض ختامها  
فالقدح لا يكون إلا بعد فض الختام (٥) على معنى أن القدح بمعنى  
الغرف وهو لا يكون إلا بعد الفض أي : الكشف (٦) .

وقد ثبتت هذه القاعدة بآيات كثيرة من القرآن الكريم منها  
قوله تعالى : ( وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ) (٧) .  
ويدحض ابن الأنباري كونها للترتيب ممتداً على قوله تعالى في  
سورة الأعراف ( وَقُولُوا حِطَّةً وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ) (٨) حيث

(١) سورة الرعد آية ١٦

(٢) سورة النمل آية ٨٤

(٣) شرح ابن عقيل - ٢ ص ١٧٧

(٤) المغني لابن هشام - ٢ ص ٣٥٤

(٥) شرح المفصل - ٨ ص ٩٣

(٦) أسرار العربية ص ٣٠٣

(٧) سورة البقرة آية ٥٨

(٨) سورة الأعراف آية ١٦١

يقول : « ولو كانت الواو للترتيب لما جاز أن يتقدم في إحدى الآيتين ما يتأخر في الأخرى » (١) .

ويستدل لدحضه كذلك بقوله تعالى : ( واسجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ) (٢) يقول صاحب البرهان في ذلك : « والركوع قبل السجود ولم ينقل أن شرعهم كان مخالفاً لشرعنا في ذلك » (٣) ويقول كذلك : ( ماهي إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ) (٤) ويقول أيضاً ( إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ) (٥) فان الإخراج متأخر عن الزلزال وذلك معلوم من قضية الوجود لا من الواو (٦) .

ومن الآيات التي أيد بها كذلك مجيء الواو للترتيب ما ورد من سؤال الصحابة لرسول الله ﷺ عندما نزل قوله تعالى : ( إِنَّ الصَّفْصَفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ) (٧) بم نبدأ يا رسول الله ؟ فقال في خطبته ابدءوا بما بدأ الله بذكره ، وفي هذا دلالة على الترتيب (٨) .

ويدحض ابن يعيش ذلك على اعتبار أنه لو كانت الواو للترتيب لما كان هناك سبب في سؤالهم لأنهم كانوا عربياً فصحاء بلغتهم نزل القرآن فدل ذلك على أنها للجمع لا للترتيب (٩) .

(١) أسرار العربية ص ٣٠٣

(٢) سورة آل عمران آية ٤٣

(٣) البرهان للزركشي - ص ٤٣٦

(٤) سورة الجاثية آية ٢٤

(٥) سورة الزلزلة آية ١ ، ٢

(٦) البرهان - ص ٤٣٦

(٧) سورة البقرة آية ١٥٨

(٨) شرح المفصل لابن يعيش - ص ٨٠

(٩) نفس المرجع السابق

وأما القاعدة التي رآها أكثر من واحد فهي نوعان : نوع أجمع عليه النحاة ولم يرد أي خروج عليه ونوع لم يصل إلى درجة الإجماع عليه بل اختلف فيه فمن الأول :

١ - قاعدة مجيء كان وأخواتها تامة :

كان وأخواتها أفعال ناقصة ، أي : تأخذ اسماً وخبراً ، وقد تأتي تامة وهذا بإجماع النحاة ، إذ لم أعثر على من خالف فيه أو أوله وفي هذا يقول ابن مالك :

ومنع سبق خبر ليس اصطفى      وذو تمام ما برفع يكتفى  
وما سواه ناقص والنقص في      فتيء ليس زال دائماً قفى

وقد أيد وجه التمام لهذه الأفعال بأدلة كثيرة معتبرة منها قول امرئ القيس<sup>(١)</sup> :

وبات وباتت له ليلة      وكلمة ذي العاثر الأرمد  
وقول الشاعر كذلك :<sup>(٢)</sup>

ومن فعلاتي أني حسن القرى      إذا الليلة الشهباء أضحى جليدها  
ومنه أيضاً :<sup>(٣)</sup>

إذا كان الشتاء فأدفنوني      فإن الشيخ يهرمه الشتاء  
وفي رواية أخرى يدفنه الشتاء .  
ومنها كذلك قوله :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي      إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

(١) شرح شواهد الاشبوني للعيني - ١ ص ٢٣٦

(٢) شرح المفصل لابن يعين - ٧ ص ١٠٣

(٣) أسرار العربية ص ١٣٥

وقد كان للقرآن الكريم دور عظيم في تأييد هذه القاعدة فقد استدل لها النحاة بآيات كثيرة منها قوله تعالى : ( وَإِنْ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ عَشْرَةٍ فَنَنْظُرْهُنَّ إِلَىٰ مَيْسِرَةٍ ) (١) وقوله كذلك : ( وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا ) (٢) في قراءة من قرأ بالرفع وقوله أيضاً ( كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) (٣) وقوله : ( إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ) (٤) في قراءة من قرأ بالرفع (٥) وقوله : ( فَسَبِّحْهُنَّ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ) (٦) وكذلك قوله : ( خَالِدِينَ فِيهَا مِمَّا مَادَّامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ) (٧) .

ويؤيد ابن الأنباري هذه القاعدة بإبراده قوله تعالى : ( كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) (٨) ثم قوله مستدلاً بها على تمام كان فيها : « ولا يجوز هنا أن تكون الناقصة لأنها لا اختصاص لعيسى في ذلك ، لان كلا قد كان في المهد صبياً ، ولا عجب في تكليم من كان فيما مضى في حال الصبا وإنما العجب في تكليم من هو في المهد في حال الصبا ، فدل على أنها هاهنا بمعنى وجد » (٩) ومن هذا النوع كذلك القاعدة الآتية :

(١) سورة البقرة آية ٢٨٠

(٢) سورة النساء آية ٤٠

(٣) سورة مريم آية ٢٩

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٢

(٥) المقتضب للمبرد ج ٤ ص ٩٥

(٦) سورة الروم آية ١٧

(٧) سورة هود آية ١٠٧ ، ١٠٨

(٨) سورة مريم آية ٢٩

(٩) أسرار العربية ص ١٣٤ ، ١٣٥

٢ - قاعدة جواز حذف الواو والفاء مع معطوفيهما اذا علما :

قد تحذف الواو والفاء مع ما عطف بهما اذا دل على ذلك دليل (١)  
وفي ذلك يقول ابن مالك :

والفاء قد تحذف مع ما عطفت      والواو اذا لا لبس وهي انفردت  
ولقد أسست هذه القاعدة على ما توفر للنحاة من أدلة منها قول  
امرىء القيس :

كان الحصى من خلفها وأمامها      اذا نجلته رجلها خذف أعسرا  
أي : إذا نجلته رجلها ويدها (٢) .  
ومثله قول النابغة :

فما كان بين الخير لو جاء سالماً      أبو حجر الا ليال قلائل  
أي : بين الخير وبينى (٣)

وقد أسهم القرآن الكريم في تأييد هذه القاعدة بآيات متعددة منها  
قوله جل وعلا : ( فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ  
أَيَّامٍ أُخَرَ ) (٤) أي فأفطر فعدة من أيام آخر (٥) ، وقوله كذلك :  
( وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعَمْدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) (٦)  
أي من قتله منكم متعمداً وغير متعمد (٧) .

(١) الأشموني = ٣ ص ١١٦

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ١١٤

(٣) الأشموني = ٣ ص ١١٦

(٤) سورة البقرة آية ١٨٤

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح ص ١١٣

(٦) سورة المائدة آية ٩٥

(٧) شواهد التوضيح ص ١١٣

ومثله أيضاً : ( وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكَكُمْ ) (١) أي : الحر والبرد (٢) .  
 ومثله أيضاً قوله تعالى : ( فَتَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ ) (٣)  
 أي : فضرب فانفجرت (٤) .

٣ - قاعدة جواز حذف العائد المنصوب ان كان ضميراً متصلاً وناهية فعل أو وصف .

لكل اسم موصول جملة صلة تحتوي على عائد يعود على هذا الاسم ولكن هل يجوز حذف هذا العائد ؟ لقد فصل النحاة الأمر واختلّفوا فيه ولتبيان ذلك نقول : ان العائد قد يكون مرفوعاً أو منصوباً ، فإذا كان مرفوعاً فحذفه قليل وان كان منصوباً فحذفه أكثر وفي ذلك يقول ابن مالك :

ان يستطل وصل وان لم يستطل فالحذف نزر وأبوا أن يختزل  
 ان صلح الباقي لوصل مكمل والحذف عندهم كثير ينجلي  
 في عائد متصل ان انتصب بفعل أو وصف كمن نرجوهم  
 يتبين لنا من أبيات ابن مالك أن لكل من الحذفين شروطاً معينة لا يعيننا هنا أن نذكرها مفصلة ، وكل ما نريده أن العائد اذا كان مرفوعاً قل حذفه ، وقد أيدت هذه القاعدة بيئتين من الشعر (٥) أحدهما :

(١) سورة النحل آية ٨١

(٢) الأشموني - ٣ ص ١١٦ شواهد التوضيح ص ١١٣

(٣) سورة البقرة آية ٦٠

(٤) الأشموني - ٣ ص ١١٦

(٥) الأشموني - ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩

لا تنو الا الذي خير فما شقيت      الا نفوس الألى للشر ناوونا  
والثاني :

من يعن بالحمد لا ينطق بما سفه      ولا يجد عن سبيل المجد والكرم  
ويضيف صاحب شرح الفصل الى هذين قول الشاعر :

لم أر مثل الفتيان في غير      الأيام ينسون ما عواقبها  
أي ينسون الذي هو عواقبها (١)

وقد لا يكون في هذا البيت شاهد لهذا الرأي لان ما قد تكون  
استفهامية لا موصولة وما بعدها خبر (٢) .

وأما العائد المنصوب الذي توفرت فيه الشروط المشار إليها في الأبيات  
المتقدمة لابن مالك فقد استشهد له النحاة بأبيات لم يعرف لها قائل أبداً  
إذ لم تشر المراجع النحوية المعتمدة الى ذلك بل أهملت ذكره ومنها :  
ما الله موليك فضل فاحدته به      فما لدى غيره نفع ولا ضرر  
أي الذي الله موليكه (٣)  
وقوله كذلك :

ما المستفز الهوى محمود عاقبة      ولو أتيح له صفو بلا كدر  
والتقدير : ما المستفزه الهوى (٤) .  
وقوله أيضاً :

في المعقب البغي أهل البغي ما      ينهى امرءاً حازماً أن يسأما

---

(١) شرح الفصل - ٣ ص ١٥٣

(٢) تحقيق محي الدين عبد الحميد على أوضح المسالك ص ١١٩ - ١

(٣) الأثوثي - ١ ص ١٧٠

(٤) حاشية الصبان - ١ ص ١٧١

أي في المعقبه (١) .

وحسبنا في هذا الصدد أن تكون الآيات الكريمة مؤيدة لقاعدة حذف هذا المعاند المنسوب حيث أسندها القرآن بآيات كثيرة منها قوله تعالى : ( أهذا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ) (٢) أي بعثه (٣) وقوله كذلك ( مِمَّا مَمَّلَتْ أَيْدِينَا ) (٤) أي عملته (٥) ويقوله أيضاً : ( وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُلْعَنُونَ ) (٦) أي ما تسرونه وما تلعنونه .

٤ - قاعدة حذف مفعولي ظن أو أحدهما اقتصاراً أو اختصاراً :

قد يحذف المفعول الواحد لأفعال هذا الباب مع دليل عليه وهذا بالاجماع وأما حذفها معاً ففيه تفصيل . فإن كان حذفها اقتصاراً أي بلا دليل على المحذوف فقد منعه سيبويه والاختفاء منماً مطلقاً (٧) في الوقت الذي أجازته فيه الكثيرون بينما يميزه الأعم في أفعال الظن دون العلم (٨) وقد اعتمد المجيزون لهذا الحذف على القرآن الكريم حيث أيدهم بقوله تعالى : ( أَعْيَندهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ) (٩) وقوله كذلك : ( وَظَننتُمْ ظَنُّ السُّومِ ) (١٠) .

وأما حذف المفعولين لدليل عليها فقد أجمع عليه النحاة ويؤيدهم في هذا

(١) حاشية الصبان - ١ ص ١٧١

(٢) سورة الفرقان آية ٤١

(٣) الأشموني - ١ ص ١٧٠

(٤) سورة يس آية ٧١

(٥) الأشموني - ١ ص ١٧٠

(٦) سورة التغابن آية ٤

(٧) الأشموني - ٢ ص ٣٥

(٨) نفس المرجع والصفحة

(٩) سورة النجم آية ٣٥

(١٠) سورة الفتح آية ١٢

قوله تعالى : ( أَيْنَ شَرَكَايَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ )<sup>(١)</sup> أي تزعمونهم  
شركائي<sup>(٢)</sup> ، وقول الشاعر :<sup>(٣)</sup>

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبه عاراً علي وتحسب

هـ - قاعدة جواز العطف بالرفع على منصوب إن قبل أن تستكمل  
خبرها أو بعد ذلك :

إذا عطف على اسم ان قبل استكمال خبرها عطف بالنصب فيقال : ان  
محمداً وعلياً قائمان ، إلا أن الكسائي أجاز الرفع قبل استكمال الخبر أو بعده<sup>(٤)</sup>  
تمسكاً بقوله تعالى : ( إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ )<sup>(٥)</sup> .  
وبقراءة من قرأ برفع ملائكته من قوله تعالى : ( إنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ  
يُصَلُّونَ )<sup>(٦)</sup> والكسائي بذلك يخالف أكثر النحاة الذين يقولون بضرورة تعيين  
نصب المعطوف قبل استكمال الخبر<sup>(٧)</sup> وأما إذا كانت أن قد استكملت خبرها  
فيجوز عند ذلك الوجهان الرفع والنصب وفي ذلك يقول ابن مالك :

وجائز رفعك معطوفاً على منصوب ان بعد أن تستكملها  
وعلى هذا يقال : إن زيدا قائم وعمره أو عمراً وقد أيد وجه الرفع هذا  
بيت من الشعر لم يذكر قائله وهو :

(١) سورة القصص آية ٦٢

(٢) حاشية الصبان على الأشموني - ٢ ص ٣٥

(٣) البيت للكثير بن زيد الاسدي

(٤) الأشموني - ١ ص ٢٨٦

(٥) سورة المائدة آية ٦٨

(٦) سورة الأحزاب آية ٥٦

(٧) الأشموني - ١ ص ٢٨٥

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَنْجِبْ أَبُوهُ وَأُمُّهُ فَإِنَّ لَنَا الْأُمَّةَ النَّجِيبَةَ وَالْأَبَ  
وذلك برفع كلمة الأب وهو معطوف على الأم .

ولم يقف القرآن الكريم بعيداً عن ذلك بل ان هذه القاعدة وما فيها من  
اجازة الوجهين بقوله تعالى: ( أَنْ اللَّهُ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ) (١) .  
يرفع كلمة رسوله عطفاً على محل اسم إن أو بنصها حسب قراءة وردت فيها (٢)  
وذلك مراعاة للفظ الجلالة .

وبهذا يتبين لنا أن الآيات القرآنية قد أيدت هذه القاعدة في كل ما يتعلق  
بها سواء في العطف على اسم إن قبل استكمال خبرها أو بعد استكمالها .

#### ٦ - قاعدة زيادة الباء في خبر المبتدأ :

يرى أبو الحسن أن الباء قد تزداد في خبر المبتدأ ويستدل لها بقوله تعالى :  
( جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ مِّمِثْلِهَا ) (٣) أي : جزاء سيئة مثلها ، وقد استدل لهذا الوجه  
بالقرآن كذلك حيث قال : ان هذه الآية قد وردت في مكان آخر من القرآن  
الكريم بدون الباء وذلك في قوله تعالى: ( وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّمِثْلُهَا ) (٤)  
ويعلق ابن جني على ذلك بقوله: « وهذا مذهب حسن واستدلال صحيح » (٥)

#### ٧ - قاعدة جواز بقاء الفاء الداخلة في خبر إن أو أن :

قد تدخل الفاء في خبر المبتدأ فيقال مثلاً : الذي يأتيني فله درهم وكل رجل

(١) سورة التوبة آية ٣

(٢) حاشية الصبان ج ١ ص ٢٨٧

(٣) سورة يونس آية ٢٧

(٤) سورة الشورى آية ٤٠

(٥) سر صناعة الاعراب لابن جني ص ١٥٤ ط ٥٤ الحلبي

يُتَّقِي اللَّهَ فَهُوَ سَعِيدٌ (١). وتبقى هذه الفاء بشرط قصد العموم وظالماً أن ناسخاً لم يدخل على المبتدأ إلا إذا كان الناسخ إن أو أن أو لكن (٢). فإن الفاء تبقى وقد نص سيديويه على الأولين دون الثالثة وهي لكن وبذلك يؤيده القرآن الكريم بآيات عديدة منها قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) (٣). وقوله : ( وَعَلِمُوا أَنَّمَا أُغْنِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ) (٤). وقوله كذلك : ( قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَفَرِّقُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ) (٥). وقوله : ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِيعَةٌ الْأَرْضِ ذَهَبًا ) (٦) وقوله : ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) (٧) .  
وأما لكن وبقاء الفاء في خبر المبتدأ الذي دخلت عليه فلم تؤيد بأي دليل قرآني وإنما أيدت بآيات من الشعر منها كما أوردها الأشموني (٨) .

بكل داهية ألقى العداء وقد      يظن أني في مكري بهم فزع  
كلا ولكن ما أبسديه من فرق      فكي يغفروا فيغمر بهم بي الطمع  
ومنها كذلك :

فوالله ما فارقتمك قالياً لكم      ولكن ما يقضى فسوف يكون

(١) الأشموني - ١ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

(٢) نفس المرجع ص ٢٢٥

(٣) سورة الاحقاف آية ١٣

(٤) سورة الانفال آية ٤١

(٥) سورة الجمعة آية ٨

(٦) سورة آل عمران آية ٩١

(٧) سورة آل عمران آية ٢١ - التوبة آية ٣٤ - الانشقاق آية ٢٤

(٨) الأشموني - ١ ص ٢٢٥

ومن هذا كله ندرك مدى ما كان للقرآن الكريم من أثر بين في إكساب القاعدة النحوية قوة تمدها بالحياة والرسوخ والثبات بحيث لا يستطيع أي دليل يتعارض معها أن يقوضها أو ينزل في مرتبتها أو ينال من ثباتها .

### ٣ - أثر القرآن في نقض القاعدة :

لم يقتصر القرآن على أن كان سبباً في استحداث كثير من القواعد كما قدمنا كما لم يكن فقط مؤيداً لكثير من هذه القواعد كذلك بل كان بالإضافة إلى ذلك ناقضاً لها في أحيان كثيرة كأن تكون هناك قاعدة معينة نالت موافقة جماعة أو أفراد أو أقرها مذهب فتأتي الآية الكريمة تنقض هذه القواعد وتنال منها فهي إن تلغها فلا أقل من أنها تهزها فتجعلها في حكم القواعد التي لا قيمة لها وإنه لأمر طبيعي لكتاب الله فالآية التي تثبت قاعدة لا بد أن تنقض ما خالفها والآية التي تملك التأييد فلا بد لها أن تملك النقض كذلك .

ولنبين هذا الجانب من أثر القرآن في القاعدة نذكر أمثلة متعددة يظهر لنا فيها كيف كانت القاعدة النحوية تنهاوى أمام الآية الكريمة إذا هي لم تؤيدها أو توافق وجهتها .

ولكي نستوعب جوانب هذا الموضوع نقول بأن النقض القرآني للقاعدة كان يتناول أمرين اثنين هما :

#### ١ - قيمة القاعدة      ٢ - خصوصية القاعدة

بمعنى أن نقض الأمر الأول يتناول حقيقة القاعدة وذاتيتها ونقض الأمر الثاني يوهن حصرها وخصوصيتها فبعد أن تكون خاصة بوجه معين تصبح بفعل الآية أعم مما خصص لها كما أن هذه القواعد التي يتناولها القرآن ناقضاً لها تتنوع باعتبار قواعد رآها جماعة فانتقضت كذلك بالقرآن وهناك أيضاً قواعد رآها

فرد ما فنقضها القرآن كما نقض غيرها ، ولا يوضح ذلك نعرض لكل هذه الأنواع الأمثلة التالية :

#### ١ - قاعدة إعادة الخافض مع المعطوف على ضمير مخفوض :

يرى الجمهور ضرورة إعادة الخافض مع المعطوف على ضمير مجرور مثل مررت به وبمحمد ، حيث يرون إعادة الباء جارة للفظ محمد ، وتصبح هذه القاعدة ذات وجهين بفعل قوله تعالى : ( واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ )<sup>(١)</sup>. في قراءة من قرأ الأرحام بالجر وذلك بمطف هذا اللفظ على الضمير المخفوض بالباء دون أعادتها معه بحيث تؤكد الآية جواز هذا العطف بدون إعادة المعطوف ، وبهذا أخذ ابن عقيل ، إذ رأى عدم ضرورة ذلك حيث يقول : « جعل جمهور النحاة إعادة الخافض إذا عطف على ضمير الخفض لازماً ولا أقول به لورود السماع نثراً أو نظماً بالمطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض »<sup>(٢)</sup> .  
وعلى هذا تكون هذه القراءة قد نقضت ما رآه الجمهور من عدم جواز العطف إلا بإعادة الجار .

#### ٢ - قاعدة الادم الداخلة على الخبر مع أن المهملة وكونها لام ابتداء :

وهذه قاعدة رآها أكثر النحويين ، وفي ذلك يقول ابن هشام : « فاللام عند سيبويه والأكثرين لام ابتداء »<sup>(٣)</sup> وذلك مثل : ( وإن كانت لكبيرة )<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة النساء آية ١

(٢) شرح ابن عقيل - ص ٢ ص ١٨٧

(٣) المغني - ص ١ ص ١٣١

(٤) سورة البقرة آية ١٤٣

ولكن بعض النحويين لم يرضوا عن اعتبارها لام ابتداء (١) بل اعتبروها لاماً فارقة بين المؤكدة والنافية (٢) وكان من رأى هذا الرأي أبو علي الفارسي (٣) محتجاً في ذلك بدخولها على الماضي المتصرف نحو ( ان زيدا لقام ) وعلى منصوب الفعل المؤخر عن ناصبه (٤) معتمداً في هذا الأخير على قوله تعالى : ( وإنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ) (٥) وكلامها لا يجوز أن تدخل اللام عليها مع أن المشددة (٦) ، ومن ذلك يتبين أن الفارسي قد اتخذ من القرآن الكريم ما ينقض الاجماع أو شبهه على تلك القاعدة .

٣ - قاعدة زيادة من إذا توفرت فيها شروط معينة :

يرى معظم النحويين أن « من » حرف جر قد يقع زائداً إذا توفرت فيه شروط ثلاثة وهي :

١ - أن يتقدما نفي أو نهي أو استفهام .

٢ - أن يكون مجرورها نكرة .

٣ - أن يكون فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ (٧) .

وقد استطاع الأخفش أن يتخذ من القرآن دليلاً على عدم ضرورة

(١) المغني - ١ ص ٢٢٢

(٢) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٢٦٣

(٣) الأشموني - ١ ص ٢٨٨

(٤) حاشية الصبان - ١ ص ٢٨٨

(٥) سورة الاعراف آية ١٠٢

(٦) حاشية الصبان - ١ ص ٢٨٨

(٧) المغني - ١ ص ٣٢٣

تُوفَّر الشرطين الأولين <sup>(١)</sup> أي : أن ( من ) قد تزايد في الأيجاب ودون أن يكون مجرورها نكرة ، واستدل لذلك بقوله تعالى : ( وَاقْصِدْ جَمَاعَكَ مِنْ نَسَبِ الْمُرْسَلِينَ ) <sup>(٢)</sup> وبقوله : ( يَتَغَفَّرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ) <sup>(٣)</sup> وبقوله : ( يُحَلِّقُونَ فِيهَا مِنْ أَساورَ مِنْ ذَهَبٍ ) <sup>(٤)</sup> وبقوله : ( وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ ) <sup>(٥)</sup> وما استشهد به كذلك قوله جل وعلا : ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ ) <sup>(٦)</sup> وقوله كذلك : ( وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ ) <sup>(٧)</sup> .

وقد ضعف الزركشي ما رآه الأخفش <sup>(٨)</sup> بينما أيده آخرون كابن جني والزمخشري والفارسي حيث خرج الأول منهم قراءة بعضهم على زيادة من <sup>(٩)</sup> في قوله تعالى : ( لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ) <sup>(١٠)</sup> كما رأى الزمخشري كذلك زيادتها <sup>(١١)</sup> في قوله تعالى : ( وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ السَّماءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ) <sup>(١٢)</sup> ورآها الفارسي <sup>(١٣)</sup> كذلك في قوله ( وَيُنْزِلُ مِنْ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيهَا مِنْ بَرادٍ ) <sup>(١٤)</sup> وبغض النظر عما يلقي الأخفش ومن وافقه

(١) المغني - ١ ص ٣٢٤

(٢) سورة الأنعام آية ٣٤

(٣) سورة نوح آية ٤

(٤) سورة الكهف آية ٣١

(٥) سورة البقرة آية ٢٧١

(٦) سورة النور آية ٣٠

(٧) سورة محمد آية ١٥

(٨) البرهان - ٤ ص ٤٢٥

(٩) المغني - ١ ص ٣٢٥

(١٠) سورة آل عمران آية ٨١

(١١) المغني - ١ ص ٣٢٥

(١٢) سورة يس آية ٢٨

(١٣) المغني - ١ ص ٣٢٥

(١٤) سورة النور آية ٤٣

مَنْ رَدَدُوا إِلَّا أَنَّهُمْ اسْتَطَاعُوا بِالآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الْمَتَّقِمَةَ أَنْ يَنْقُضُوا مَا  
اتَّفَقَ عَلَيْهِ جَمْهُورُ النَّحَاةِ .

٤ - قاعدة مجيء الفاء العاطفة للترتيب والتعقيب :

يكاد يجمع النحاة على أن الفاء حرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب  
بين المتعاقبين وفي ذلك يقول ابن مالك :

والفاء للترتيب في اتصال و ثم للترتيب في انفصال  
ويفيد البيت أن الفاء كما تقدم تفيد في عطفها ترتيب المتعاقبين في  
أداء الفعل مع ايقاعها له بلا مهلة (١) وذلك كقوله تعالى : (فَوَكَّرَهُ  
مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) (٢) .

وقد رأى بعض النحاة كالفراء أن ما بعد الفاء يكون سابقاً وقد  
اعتمد على ما ينقض شبه المجمع عليه من افادة فاء العطف للترتيب على  
قوله تعالى : (وَكَمِّمِينَ قَرْيَةً أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانًا) (٣) على  
اعتبار أن البأس في الوجود قبل الهلاك (٤) .

وقد أورد النحاة في صدد الدفاع عن قاعدتهم ردوداً كثيرة سجلتها  
لهم المراجع النحوية ، منها - أن الآية على معنى أردنا اهلاكها فجاءها  
بأسنا فأهلكناها (٥) أو قاربنا اهلاكها فجاءها بأسنا (٦) .

(١) الأشموني - ٣ ص ٩٣

(٢) سورة القصص آية ١٥

(٣) سورة الأعراف آية ٤

(٤) البرهان - ٤ ص ٢٩٤ والمفني - ١ ص ١٦١

(٥) الأشموني - ٣ ص ٩٤

(٦) البرهان - ٤ ص ٢٩٤

وقد نقض حصرها في الدلالة على الاتصال بلا مهلة بقوله تعالى (١) :  
( ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ  
عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ) (٢) .

وعلى ذلك يعلق صاحب البرهان بقوله : « ولا شك أن بينها  
وسائط » (٣) واحتج كذلك بقوله أيضاً : ( والذي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ  
مُغْتَاءً أَحْوَى ) (٤) حيث يوجد بين الأخراج والغشاء وسائط (٥) .  
وأذا أردنا أن نبتعد عما قيل ونتجنب ما طرح من تأويلات لهذا  
النقض فأننا سنتبين أن القرآن كان سبباً في نقض ما أسند للفناء من  
دلالة محصورة في الترتيب والتعقيب .

ه - قاعدة حذف الفاعل ومواضع ذلك :

يرى الجمهور أن الفاعل لا يجوز حذفه لكونه عمدة (٦) إلا في ثلاثة  
مواضع (٧) لا غير وهي :

١ - إذا بني الفعل للمفعول .

٢ - المصدر إذا لم يذكر معه الفاعل نحو : ( أو إطعامٌ في يومٍ

ذي مسغبةٍ ) (٨)

(١) البرهان - ٤ ص ٢٩٥ والمعني ج ١ ص ١٦٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٤

(٣) البرهان - ٤ ص ٢٩٥

(٤) سورة الاعلى آية ٥٠٤

(٥) البرهان - ٣ ص ٢٩٥

(٦) الاشموني - ٢ ص ٤٤

(٧) البرهان - ٣ ص ١٤٣ ، ١٤٤

(٨) سورة البلد آية ١٤

٣ - إذا لاقى الفاعل ساكناً من كلمة أخرى نحو اضرب القوم :  
إذا خوطب بذلك جماعة .

وقد نقض الكسائي هذا الحصر وقرر أن الفاعل يحذف مطلقاً إذا دل عليه دليل<sup>(١)</sup>. وقد اعتمد في ذلك على قوله تعالى: ( كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الثَّرَاقِي )<sup>(٢)</sup> .  
والتقدير: إذا بلغت الروح وقوله كذلك: ( حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ )<sup>(٣)</sup> .  
وقوله: ( فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ )<sup>(٤)</sup> وقوله: ( فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ )<sup>(٥)</sup> .  
وقد اعتمد الكسائي كذلك في خروجه على النحاة بقول الشاعر :

فإن كان لا يرضيك حتى تردني إلى قطري لا أخالك راضياً

وأما موقف النحاة مما ذهب إليه الكسائي فلعل رد الزركشي عليه بكون الفاعل في الآيات مقدرأ لا محذوفاً وفرق بين التقدير والحذف<sup>(٦)</sup> دليل على عدم قبول النحويين لهذا الرأي ويزيد ذلك تأكيداً أن الجمهور يؤولون البيت المذكور والذي أورده الكسائي مستدلأ به بالتأويل الآتي : فإن كان هو أي : ما نحن عليه من السلامة<sup>(٧)</sup> .

---

(١) البرهان - ٣ ص ١٤٤

(٢) سورة القيامة آية ٢٦

(٣) سورة ص آية ٣٢

(٤) سورة الصافات آية ١٧٧

(٥) سورة النمل آية ٣٦

(٦) البرهان - ٣ ص ١٤٤

(٧) الأشموني - ٢ ص ٤٥

٦ - قاعدة ضرورة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بفواصل من

توكيد أو غيره إذا كان المعطوف عليه ضمير رفع متصل :

يرى النحاة أن الاسم الظاهر إذا عطف على ضمير متصل يجب أن يؤكد

بضمير مثله أو يفصل بفواصل ما وفي ذلك يقول ابن مالك :

وان على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما . . . .

وقد يرد بلا فصل وفي ذلك يقول :

وبلا فصل يرد في النظم فاشياً وضعفه اعتقد

في النظم فاشياً وضعفه اعتقد . .

يرى البصريون أن العطف بدون فاصل ضعيف خلاف الكوفيين الذين

يؤيدون العطف بدون هذا الفاصل (١) ، ويبدو أن ابن مالك لا يرتضي منع

هذا العطف بدون فاصل وفي ذلك يقول : وهو - أي هذا العطف لا يميزه

النحويون في النثر إلا على ضعف ، ويزعمون أن بابـه الشعر والصحيح جوازه

نثراً ونظماً (٢) .

ويستند في نقض ما يمنع النحاة من العطف على ضمير الرفع بدون فاصل

وقصرهم ذلك على الشعر إلى قوله تعالى : ( لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا

آبَاؤُنَا ) (٣) فإن واو العطف في رأيه متصلة بضمير المتكلمين (٤) . ويرد على من

يستدل بهذه الآية معتبراً كلمة ( لا ) فيها من الفواصل المعتمدة في إجازة هذا

(١) حاشية الصبان ج ٣ ص ١١٤

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ١١٤

(٣) سورة الانعام آية ١٤٨

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ١١٥

العطف بقوله : « وجود لا بعدها لا اعتداد به لأنها بعد العطف ، ولأنها زائدة إذ المعنى تام بدونها » (١) .

ونراه يستدل كذلك في تدعيم هذا النقض بقول عمر رضي الله عنه :  
« كنت وجار لي من الأنصار » (٢) . حيث عطف لفظ جار على ضمير الرفع المتصل دون الفصل بينها .

#### ٧ - قاعدة اعتبار الميم في كلمة « اللهم » نائبة عن جملة :

ومن القواعد المذهبية كذلك ما يراه البصريون من كون الميم في لفظ ( اللهم ) عوضاً عن ياء النداء (٣) وقد خالفهم الكوفيون في ذلك حيث قالوا بأن هذه الميم عوض عن جملة تقديرها : أمنا بخير .

ولقد انتصر ابن الأنباري للبصريين فيما ذهبوا إليه حيث رأى فساد كل ما قبل سوى ما قاله البصريون ، ومن جملة الآراء التي قام بدحضها ما رآه الكوفيون معتمداً في نقضه على قوله تعالى : ( وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطرنا غليظاً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) (٤) بحجة أن هذا التقدير يتنافى مع مفهوم الآية إذ لا يكون أمنهم بالخير أن يعطر عليهم حجارة من السماء أو يؤتوا بعذاب أليم (٥) .

ويذهب ابن الأنباري كذلك إلى نقض ما يقوله الكوفيون بالآية نفسها ويفترض في ذلك أن الميم لو كانت من الفعل لما كانت أداة الشرط محتاجة إلى

(١) نفس المرجع والصفحة

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ١١٢

(٣) أسرار العربية لابن الأنباري ص ٢٣٢

(٤) سورة الأنفال آية ٣٢

(٥) أسرار العربية ص ٢٣٤

جواب ولكانت تسد مسد الجواب ولكن افتقار الأداة إلى الجواب وهو قوله:  
فأمطر علينا ، دل على أنها ليست من الفعل (١) .

ومن القواعد التي رأها أفراد من العلماء وانتقضت بالقرآن الكريم ما يلي :

#### ١ - قاعدة كون « لن » للتأبيد :

يرى الزنجشري أن لن تفيد التأبيد ، ويؤيده في ذلك ابن يعيش في شرحه  
المفصل مستدلاً لهذا بقوله تعالى : ( وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ  
أَيْدِيَهُمْ ) (٢) بحجة أن لفظ الأبد الوارد بعد لن تأكيد لما تعطيه لن من النفي  
الأبدي (٣) وقد رد هذا الرأي معظم النحاة وفي ذلك يقول ابن هشام في  
توضيحه : « ولا تقتضي لن تأبيداً لنفي » (٤) وهو يعتمد في ذلك على بضع آيات  
من القرآن الكريم منها ما استدل به الزنجشري وصاحب شرح المفصل وهو قوله  
تعالى : ( فَلَن أَكَلْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ ثَمَرِهِ ) (٥) وقوله كذلك : ( وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا  
بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ) (٦) وقوله : ( فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي  
أَبِي ) (٧) . وقد قيل في تخريج ذلك في الأولى : أنه لو كانت لن للتأبيد للزم  
التناقض بذكر اليوم والزم التكرار في الثانية ، ولم يجتمع مع ما هو لانتها  
الغاية في الثالثة (٨) .

(١) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري مسألة ٤٧

(٢) سورة البقرة آية ٩٥

(٣) شرح المفصل لابن يعيش - ٨ ص ١١٢

(٤) المغني لابن هشام - ١ ص ٢٨٤

(٥) سورة مريم آية ٢٦

(٦) سورة البقرة آية ٩٥

(٧) سورة يوسف آية ٨٠

(٨) شرح التصريح على التوضيح - ٢ ص ٢٢٩

## ٢ - قاعدة عدم وقوع الحال المؤكدة إلا بعد الجملة الاسمية :

يرى الزمخشري في مفصله أن الحال المؤكدة لا تقع إلا بعد الجملة الاسمية<sup>(١)</sup> واستدل لذلك بعدة أمثلة منها : زيد أبوك عطوفاً كما استشهد لذلك بآية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى : ( وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا )<sup>(٢)</sup> .

وينقض أبو علي الفارسي ما رآه صاحب المفصل ويرى أن الحال المؤكدة تقع بعد الجملة الاسمية والفعلية<sup>(٣)</sup> مستدلاً بقوله تعالى : ( وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَسُوا مُدْبِرِينَ )<sup>(٤)</sup> . وبقوله كذلك : ( وَلِيٌّ مُدْبِرًا وَسَمٌّ يُعَقَّبُ )<sup>(٥)</sup> . فمدبرين ومدبراً حال مؤكدة لفعل التولية<sup>(٦)</sup> .

ويعقب صاحب البرهان على ما رآه الزمخشري من كون مصدقاً حالاً مؤكداً بقوله : « فالظاهر أن مصدقاً حال مبينة لا مؤكدة »<sup>(٧)</sup> .

## ٣ - قاعدة وقوع جملة القسم خبراً :

يرى ثعلب أن جملة القسم لا تقع خبراً<sup>(٨)</sup> وقد حاول ابن مالك أن ينقض رأي ثعلب هذا معتمداً في نقضه على قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ )<sup>(٩)</sup> . وقوله كذلك : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) شرح المفصل - ٢ ص ٦٤

(٢) سورة البقرة آية ٩١

(٣) البرهان للزمخشري - ٢ ص ٤٠٥

(٤) سورة النمل آية ٨٠

(٥) سورة النمل آية ١٠

(٦) البرهان - ٢ ص ٤٠٥

(٧) البرهان - ٢ ص ٤٠٤

(٨) المغني - ٢ ص ٤٠٥

(٩) سورة العنكبوت آية ٩

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِنُبُوْتِهِمْ) (١) . وقوله كذلك : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيْنَهُمْ) (٢) .

وهو يرى في هذه الآيات ان القسم قد يقع خبراً عن المبتدأ بكثرة (٣) وهذا خلاف ما يراه الفراء موافقاً ثعلب (٤) .

ويبدو أن ما رآه ابن مالك لم يرق لابن هشام حيث ذهب في تأويل ما رآه الناظم معتبراً أن المبتدأ في هذه الآيات قد تضمن معنى الشرط ، وأن خبره منزل منزلة الجواب (٥) .

#### ٤ - قاعدة عدم مجيء أن النافية إلا وبعدها إلا :

وردت أن النافية في مواطن كثيرة ، وقد وقعت بعدها إلا أو لما المشددة (٦) . وذلك كقوله تعالى : (إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) (٧) وقوله : (إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) (٨) وقوله : (إِنَّ أَرْضَنَا إِلَّا الْحُسَيْنِي) (٩) وقوله : (إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) (١٠) .

وقد نقض قول من يزعم باشتراط وجود إلا في خبر إن النافية (١١) بما يثبت

(١) سورة العنكبوت آية ٥٨

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٩

(٣) المغني - ٢ ص ٤٠٥

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ١٦٥

(٥) المغني - ٢ ص ٤٠٧

(٦) المغني - ١ ص ٢٣

(٧) سورة فاطر آية ٢٣

(٨) سورة المجادلة آية ٢

(٩) سورة التوبة آية ١٠٧

(١٠) سورة الطارق آية ٤

(١١) المغني - ١ ص ٢٣ ، البرهان - ٤ ص ٢١٧

ورودها بدون إلا أو لما وذلك كقوله تعالى : ( إنْ عِندَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ) (١)  
وقوله : ( وإنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ ) (٢) وقوله أيضا : ( وإنْ أَدْرِي  
لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ ) (٣) .

وهذا كله يتبين لنا أن للقرآن الكريم قوة نقض أية قاعدة سواء رآها  
جماعة أو مذهب أو أفراد أو فرد واحد فهو كما يثبت ينقض وفي الحالين  
يكون قوله الفصل وحكمه الأخير .

#### ٤ - أثر القرآن في تفريع القاعدة :

لم تكن الآية كذلك عاملا فيما قدمناه من استحداث أو تثبيت أو نقض  
فقط بل هي كذلك بالإضافة إلى ما ذكرناه عاملة على تفريع القاعدة الواحدة  
وتوسعه مدلولاتها وأبعادها ، فبفضل القرآن تفرعت التعريفات ، وبفعلها  
كذلك تنوعت المعاني ، وبقوتها تعدد العمل والنوع ، وكان للقرآن بذلك أثر  
فعال في توسيع القواعد وامتدادها امتداداً أصبحت بفضلها تستوعب الكلام  
بكل جوانبه وأساليبه حتى قيل ما قيل في لغتنا الشريفة من أنها لغة غنية في  
تراكيبها ، ثرية في قواعدها ، سخية في احتوائها لكل ما يقال .

ولكي يتبين لنا ما كان للقرآن من أثر في هذا التفريع يجدر بنا أن نتبين  
الجوانب التي قد تناولها هذا التفريع وهي كما يأتي :

١ - تفريع في التعريف .

٢ - تفريع في المعاني .

---

(١) سورة يونس آية ٦٨

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٩

(٣) سورة الأنبياء آية ١١

- ٣ - تفرّيع في العمل .
- ٤ - تفرّيع في النوع .
- ٥ - تفرّيع في التركيب .
- ٦ - تفرّيع في الأحكام .

وسنعرض لكل نوع من هذه الأنواع أمثلته التي تدل عليه :

### فأما النوع الاول وهو ما يتعلق بالتعريف :

فقد كان للقرآن أثره في تفرّيع بعض التعريفات التي وضعها النحاة لبعض الموضوعات ، وذلك كالتعريف المتعلق مثلاً بالمفعول المطلق ، فقد قيل في تعريفه : أنه المصدر الفصلة المؤكد لعامله أو المبين لنوعه أو عدده (١) .

وبتتبع هذه الأقسام التي تضمنها التعريف نجد أن للقرآن أثره في تعددها وهو إن لم يكن عاملاً في استحداثها فقد كان عاملاً في تأييدها والاستدلال عليها ، فبالقرآن كان المؤكد للعامل من المصدر قسماً من أقسام المفعول المطلق حيث وردت آيات كثيرة استدل بها النحاة لهذا القسم ومنها قوله تعالى : ( وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ) (٢) وقوله : ( وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ) (٣) . وقوله : ( صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ) (٤) .

ومن القرآن كذلك استمد النوع الثاني وهو الدال على النوع وذلك كقوله تعالى : ( فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ أَخْذًا عَزِيزًا مُقْتَدِرًا ) (٥) ، كما كان للقرآن كذلك أثره

(١) شذور الذهب لابن هشام ص ٢٢٦

(٢) سورة النساء آية ١٦٤

(٣) سورة النساء آية ٦٥

(٤) سورة الاحزاب آية ٥٦

(٥) سورة القمر آية ٤٢

في إيجاد القسم الثالث وهو بيان العدد وذلك من قوله تعالى : ( فَدَكَّنَا دَكْنَةً  
وَاحِدَةً ) (١) .

وأما النوع الثاني وهو ما يتعلق في تفريع المعاني :

فلقد كان للقرآن الكريم مجال كبير في تفريع المعاني الخاصة بالحروف وكنا  
قد أشرنا إلى بعض ذلك في صدد الحديث عن أثر القرآن في استحداث معاني  
هذه الحروف ، ونحن هنا نشير إلى أن ما كانت تحمله الآيات الكريمة من معان  
ومفاهيم جعل النحاة من خلالها يضعون تلك المعاني الاصطلاحية للحرف  
الواحد ، وهذا النوع من التفريعات تزخر به كتب النحو ومراجعته ، فلكل  
حرف من حروف الجر مثلاً أكثر من معنى واحد قد تصل إلى ما فوق العشرة  
أو العشرين ، ولحروف العطف كذلك معان أخرى، كما أن لحروف الاستفهام  
كذلك معانها الخاصة وهكذا حروف النفي وغير ذلك من الحروف .

وإذا كنا قد تحدثنا عن هذا الأمر بالنسبة لأثر القرآن في استحداث المعنى  
نفسه للحرف الواحد فإننا هنا نتحدث عن أثره في تعدد هذا المعنى وتفرعه ،  
فبفضل القرآن كان لحرف اللام الجارة أكثر من معنى فهي للملك ودليلها قوله  
تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (٢) . وهي لشبه الملك في  
قوله تعالى : ( فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَليّاً ) . ( يَرْتَبِئِي وَيَرْثُ مِنْ آلِ  
يَعْقُوبَ ) (٣) . وهي كذلك زائدة في قوله تعالى : ( إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا  
تَعْبِرُونَ ) (٤) . وكذلك في قوله جل وعلا : ( جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

(١) سورة الحاقة آية ١٤

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٤

(٣) سورة مريم آية ٥٥

(٤) سورة يوسف آية ٤٣

أزواجاً) (١) . وهي أيضاً للتعليل (٢) في قوله جل وعلا : ( لإيلافِ قريشٍ ) (٣) . وفي قوله : ( وإنه لحُبُّ الخَيْرِ لشديدٌ ) (٤) .

ولم يقف القرآن عند تفريع اللام الجارة في معناها بل تناولها كذلك في أنواع عملها فكانت الناصبة والجارة والجازمة والعاطفة وهو ما سنذكره أمثلة أخرى من غير اللام .

ثم إن التفريع القرآني للقاعدة قد يتناول فيها الكلمة فيفرعها إلى حرف واسم واسم فعل ، فالهاء مثلاً قد تكون إسماً لفعل ودليلها قوله تعالى : ( هَآؤُمُ إِقْرُؤْا كِتَابِيهِ ) (٥) . وقد تكون ضميراً للمؤنث ودليلها : ( فَآلِهْمَا فُجُورَهُمَا وَتَقْوَاهُمَا ) (٦) . وقد تكون حرفاً للتنبيه ودليلها : ( مَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ ) (٧) .

وأما النوع الثالث والرابع وهو ما يتعلق في تفريع القاعدة في عملها ونوعها :

فن أمثلته أن المفتوحة حيث وردت بعدة وجوه وأشكال ، وقد قسمها النحاة إلى أربعة منها ما يعمل فيما بعده ومنها ما لا يعمل ، وقد كان للقرآن أثره في هذا التفريع حيث وردت فيه آيات وقعت فيها أن عاملة في بعضها عاطلة في

- 
- (١) سورة الشورى آية ١١
  - (٢) البرهان - ٤ ص ٣٤٠
  - (٣) سورة قريش آية ١
  - (٤) سورة العاديات آية ٨
  - (٥) سورة الحاقة آية ١٩
  - (٦) سورة الشمس آية ٩١
  - (٧) سورة آل عمران آية ١١٩

البعض الآخر فأما العاملة فهي مثل أن المصدرية الخفيفة من الثقيلة وغير العاملة مثل المفصرة والزائدة .

ولهذين النوعين وجود كبير في القرآن الكريم فإن العاملة كالناصبة للمضارع فهي كثيرة وأمثلتها قوله تعالى : ( وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ) (١) وقوله كذلك : ( وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ) (٢) .

وأما الخفيفة من الثقيلة فقد اختلف في عملها فقد قيل انها تعمل وتنصب الاسم وترفع الخبر (٣) كما قيل انها لا تعمل وهذا رأي الكوفيين (٤) . وعلى كل فإن للقرآن عليها أمثلة عديدة منها قوله تعالى : ( عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ) (٥) وقوله : ( وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً ) (٦) برفع الفعل وقوله : ( أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) (٧) .

وأما النوعان العاطلان فهما المفصرة والزائدة ، فقد كان للقرآن أثره في تقريرهما وتفرع أن إليهما ، فالمفسرة كقوله تعالى : ( فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْقُلُوبَ بِأَعْيُنِنَا ) (٨) . وقوله كذلك ( وَتَوَدُّوا أَنْ يُلَاقِيَكُمُ الْجِنَّةُ ) (٩) وللزائدة كذلك نصيبها من القرآن ، فقد استدل لها بقوله تعالى : ( وَمَلَأْنَا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُطُوفًا سِئَاءَ بِهِمْ ) (١٠) . وقوله : ( فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) (١١) .

(١) سورة البقرة آية ١٨٤

(٢) سورة النساء آية ٢٥

(٣) المغني ج ١ ص ٣١

(٤) نفس المرجع والصفحة

(٥) سورة المزل آية ٢٠

(٦) سورة المائدة آية ٧١

(٧) سورة طه آية ٨٩

(٨) سورة المؤمنون آية ٢٧

(٩) سورة الاعراف آية ٤٣

(١٠) سورة العنكبوت آية ٣٣

(١١) سورة يوسف آية ٩٦

وقد رأى الأخص أنها قد تكون عاملة رغم زيادتها (١) ولم يقدم دليلاً لما يقول من القرآن الكريم وذلك قوله تعالى : ( وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ) (٢) وقوله أيضاً : ( وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) (٣) .

### ومثال آخر للتفريع فى العمل فقط :

وهو الفعل ( اتخذ ) فإن له ثلاثة أنواع باعتبار عمله فيما بعده ، فقد يتعدى إلى مفعول واحد وقد يتعدى إلى مفعولين وقد يحتمل النوعين وللقرآن أثره الواضح فى هذا التفريع ، فمثال الأول قوله تعالى : ( يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ) (٤) . وقوله كذلك : ( أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ) (٥) . وقوله : ( وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ) (٦) .

وأما النوع الثانى فهو المتمم لمفعولين ، فالقرآن كذلك أثره ومثاله : ( لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ) (٧) . أو حذف أولهما وذكر ثانيهما ومثاله : ( فَكُلُوا مِمَّا نَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَهْلِيَةً ) (٨) أو ذكر الأول وحذف الثانى ومثاله : ( اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ) (٩) . أو قوله : ( بَاتَّخِذُوا كُمُ الْعِجْلَ ) (١٠) .

(١) البرهان للزركشي - ٣ ص ٧٦

(٢) سورة ابراهيم آية ١٢

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٦

(٤) سورة الفرقان آية ٢٧

(٥) سورة الزخرف آية ١٦

(٦) سورة الفرقان آية ٣

(٧) سورة المتحنة آية ١

(٨) سورة الأحقاف آية ٢٨

(٩) سورة البقرة آية ٥١

(١٠) سورة البقرة آية ٥٤

والنوع الثالث وهو احتمال الأمرين ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى :  
( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلتي )<sup>(١)</sup> . وذلك على أن زيادة  
من في الإيجاب ممكنة .

ومثال آخر للتفريع في النوع فقط وهو ما يلي : قد يلجأ المتكلم إلى إيضاح  
كلامه ورفع التباسه بعدة طرق ، منها التوكيد أو النعت أو البدل ، ولكل  
نوع من هذه الأنواع خصائصه ومميزاته ، ولقد كان للبدل وهو أحد التوابع  
فروع أربعة ذكرها النحاة هي : بدل كل من كل - وبدل بعض من كل -  
وبدل اشتغال - وبدل الغلط .

ولم يكن القرآن الكريم حياً هذا التفريع ببعيد عن صنعه بل كان له  
الأثر الكبير في تقريره والاستدلال عليه وتشعبه ، فقد استشهد النحاة للنوع  
الأول بقوله تعالى : ( اهتدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت  
عليهم )<sup>(٢)</sup> ، كما استدل للثاني بقوله ( وارزق أهله من الثمرات  
من آمن منهم بالله واليوم الآخر )<sup>(٣)</sup> .

وأما النوع الثالث فدل عليه قوله تعالى : ( يسألونك عن الشهر الحرام  
قتال فيه )<sup>(٤)</sup> ولم يكن للقرآن أي أثر في النوع الرابع تنزيهاً له عن  
أن يكون فيه مثل هذا الغلط أو النسيان .

وأما النوع الخامس : وهو ما يتعلق بأثر القرآن في تفريع القاعدة من  
حيث التركيب ، فإن القاعدة قد تقتضي تغييراً في تركيب الجملة ،  
سواء ذلك بالحذف أم بالزيادة أم كان بالتقديم أم بالتأخير ، وكل هذا يرجع

- 
- (١) سورة البقرة آية ١٢٥ .
  - (٢) سورة الفاتحة آية ٦ ، ٧ .
  - (٣) سورة البقرة آية ١٢٦ .
  - (٤) سورة البقرة آية ٢١٧ .

إلى تركيب الجملة وبنائها وهناك قواعد كثيرة تتعلق بما يؤثر على تركيب الجمل وترتيب أركانها وللقرآن في تفريع هذه القواعد أثره الواضح ومثال هذا : قاعدة المفعول به ورتبته : إذ المعروف أن الأصل في المفعول به أن لا يتقدم عن الفعل والفاعل ولكنه قد يتوسط بينهما ، وقد يتقدم عليها (١) ولكل تركيب من هذه التركيبات الثلاثة أدلتها في القرآن ، فمثال الأول : قوله تعالى : ( وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ) (٢) ومثال الثاني : ( وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ) (٣) وهذا توسط جائز وقد يكون واجبا وأمثله : قوله تعالى : ( وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ) (٤) وقوله : ( يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْتَدَتُهُمْ ) (٥) وقوله : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) (٦) .

وأما التركيب الثالث فقد يكون جائزاً وواجباً كذلك ، وللقرآن في هذا التفريع أثره ، فلجائز قوله تعالى : ( فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَتَقْتُلُونَ ) (٧) وللواجب أمثله كذلك : منها : ( فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ) (٨) وقوله : ( أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) (٩) وقوله : ( وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ) (١٠) وقوله : ( فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ) (١١) .

(١) أوضح المسالك لابن هشام - ص ١٠٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ .

(٢) سورة النمل آية ١٦ .

(٣) سورة القمر آية ٤١ .

(٤) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٥) سورة غافر آية ٥٢ .

(٦) سورة فاطر آية ٢٨ .

(٧) سورة البقرة آية ٨٧ .

(٨) سورة غافر آية ٨١ .

(٩) سورة الاسراء آية ١١١ .

(١٠) سورة المدثر آية ٣ .

(١١) سورة الضحى آية ٩ .

وأما النوع السادس وهو أثر القرآن في تفريع أحكام القاعدة :

فمثاله : إذا قيل لنا أن الفاعل هو الاسم الذي أوقع الفعل فإن هذا لا يكفي في تعريف الفاعل وتحديدده وحصر احترازاته ، بل لا بد من أن له أحكاماً تعينه وتضبط مفهومه وحدوده ، بما يجعل تعريفه جامعاً مانعاً .

وعلى هذا فالفاعل الذي أوقع الفعل له أحكام معينة إذا نحن تفصيلناها وجدنا للقرآن أثره في تعددها كما ان له أحياناً أثره في عكسها وأضدادها فمن أحكام الفاعل الرفع ، وقد ورد في القرآن مرفوعاً في معظم مواقعه ومواطنه كقوله تعالى : ( قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ) (١) وقوله : ( وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ) (٢) وغير هذين كثير وكثير ، وقد ورد الفاعل مجروراً ، ولم يكن القرآن في هذه الحالة في منأى عن أن يحتوي على أمثلة من ذلك كقوله تعالى : ( وَلَتَوَلَّوْا دِفْعَةَ اللهِ النَّاسَ ) (٣) وقوله كذلك : ( وَكُفِيََ بِاللَّهِ شَهِيداً ) (٤) .

ومن أحكام الفاعل كذلك وقوعه بعد المسند (٥) وفي الأمثلة التي ذكرناها دليل على اسهام القرآن الكريم في هذا الحكم وتقريره .

ولقد يرد ما ظاهره يخالفه هذا أي أن القرآن الكريم قد ترد فيه أمثلة تدل على أن الاسم المرفوع قد تقدم على المسند ، وهو ما يؤوله معظم النحاة على أنه فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور وهذا كقوله تعالى : ( وَإِنْ

(١) سورة المجادلة آية ١ .

(٢) سورة الروم آية ٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥١ .

(٤) سورة الفتح آية ٢٨ .

(٥) أوضح المسالك ج ١ ص ٣٣٧ .

أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ (١) أي وإن استجارك أحد من المشركين استجارك ، وعليه فإن الفاعل يظل متأخراً عن المسند حتى ولو كان مقدرأً خلافاً للكوفيين الذين يميزون تقديمه (٢) .

وفي الأمثلة القرآنية التي ذكرناها والتي لم نذكرها في هذا الباب دليل على حكم ثالث وهو ضرورة ذكر الفاعل لفظاً كما في تلك الأمثلة أو تقديرأً كما في قوله تعالى : ( كِتَابًا إِذَا بَلَغَتِ الثَّرَاقِيَّ ) (٣) أي : إذا بلغت الروح التراقي . وهكذا عكس ما رواه الكسائي كما تقدم من أن الفاعل يحذف ولا يقدر (٤) ثم إن من أحكام الفاعل كذلك جواز حذف فعله في حالة ما إذا أُجيب به نفي أو استفهام محقق (٥) ، وذلك كقوله تعالى : ( وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) (٦) أي خلقهم الله .

ومن أحكامه كذلك : توحيد فعله مع الفاعل المثنى أو المجموع وذلك كقوله تعالى : ( قَالَ رَجُلَانِ ) (٧) وقوله : ( وَقَالَ الظَّالِمُونَ ) (٨) وقوله : ( وَقَالَ نِسْوَةٌ ) (٩) ، كما أن من أحكامه كذلك أن يؤنث له الفعل وجوباً إن كان مؤنثاً حقيقياً وذلك كقوله تعالى : ( إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ) (١٠) .

(١) سورة التوبة آية ٦ .

(٢) أوضح المسالك - ١ ص ٣٣٧ .

(٣) سورة القيامة آية ٢٦ .

(٤) ورد هذا في صفحة ١٦٨ من الرسالة .

(٥) أوضح المسالك - ١ ص ٣٤١ .

(٦) سورة الزخرف آية ٨٧ .

(٧) سورة المائدة آية ٢٣ .

(٨) سورة الفرقان آية ٨ .

(٩) سورة يوسف آية ٣٠ .

(١٠) سورة آل عمران آية ٣٥ .

أو يجوز فيه الامران ، التذكير والتأنيث وهذا إن كان مجازياً وذلك كقوله تعالى : ( وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ )<sup>(١)</sup> أو كان جمعاً على اعتبار معنى الجماعة فيه<sup>(٢)</sup> وذلك كقوله تعالى : ( كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ )<sup>(٣)</sup> .

وهكذا ومن خلال العرض الملخص لاحكام الفاعل نجد أن القرآن الكريم كان له أثره الواضح في وضع هذه الأحكام وتعددتها وتفرعها إلى هذا العدد الذي يضبط المعرف ويجده .

وبهذا كله كذلك يتبين لنا أن آيات الله جل وعلا كانت بصفة عامة هي المحدثة للقاعدة كما أنها المثبتة لها في الوقت ذاته وهي الناقضة لمفهومها في بعض الأحيان كما أنها المفرعة كذلك لمفهومها وأحكامها ومعانيها وكل ما يتعلق بها أو ينبثق عنها .

ونحن إذا قلنا هذا وأيدناه بالدليل فلا يعني أن أمراً آخر غير القرآن لم يكن له أثر في الاستحداث أو الإثبات أو النقص أو التفريع وإنما نعني به أن القرآن كان له السهم الأكبر والأقوى في هذه المجالات الأربعة التي أشرنا إليها .



---

(١) سورة القيامة آية ٩ .

(٢) أوضح المسالك - ١ ص ٣٥٩ .

(٣) سورة الشعراء آية ١٠٥ .

## الفصل الثاني

# القرآن الكريم وأثره في تعليل القاعدة النحوية

لم تقتصر مراجع النحو ومصنفاته على تلك القواعد الضابطة التي تحدد الكلام وتضبطه ، بل وجدناها تتسع لأكثر من هذا وأشمل منه فنحن إذا تتبعنا الموضوعات النحوية في مراجعها فسنجدها تحتوي على الأمور التالية :

١ - حدود وتعريفات

٢ - تقسيمات منطقية

٣ - قواعد عامة

٤ - تعليلات

وإذا ما أردنا أن نبين أثر القرآن الكريم في كل هذه الأنواع فلن نجد فيه ذلك الأثر الواسع الذي لمسناه في القواعد ، سواء في بنائها أو نقضها أو قفريهما .

فأما الحدود والتعريفات فهي طريقة تمخضت عن شيوع علمي الفلسفة والمنطق في تلك المجتمعات التي عاصرها النحاة أي: أن إيرادهم لهذه التعريفات التي نراها لكل باب من الأبواب كتعريف التنازع والاشتغال والمعرب والمبني والحال والنعت لم يكن في اعتقادي إلا نتيجة لتشبع العلماء واللغويين بما كان يشيع في مجالسهم من مدارس المنطق وقضاياها ونتائجها .

وعلى هذا لم يكن للقرآن في ذلك أي أثر ملموس ، وما كان ليكون له مثل هذا الأثر في أمور لا علاقة لها بصحة تعبير أو سلامة تركيب وان كنت أعتقد بأن ما خلفه القرآن في العقلية العربية من تركيز وتنظيم وتهذيب بفضل أسلوبه الرائع كان ولا شك له انعكاساته على تلك العقليات التي نظمت ووضعت تلك الحدود والتعريفات من حيث تركيزها وتنظيمها وما قلناه في هذه الحدود وتلك التعريفات نقوله كذلك في التقسيمات المنطقية لجزئيات القاعدة الواحدة ، فهذه أمور تعتبر كذلك وليدة الأثر الذي خلفه علماء المنطق والفلسفة في عقول النحاة واللغويين ، فما كان لهؤلاء أن يفرعوا القاعدة الى فروع مرتبة هذا الترتيب الذي نامسه في كثير من التقسيمات ، لولا القدرة التي صنعها لهم علم المنطق ، وتبلورت في الاستطاعة على بلورة المقدمات وترتيب ما يترتب عليها من نتائج وتوليد القاعدة من القاعدة توليداً يشبه إلى حد كبير ذلك الكلام الذي يخوضه المناطقة عندما يتكلمون عن القضية الكبرى والصغرى وما شابه هذا الكلام .

وإن كان للقرآن في ذلك من أثر فلن يتعدى الأثر الذي تحدثنا عنه في تفریع القاعدة وما يتعلق أحياناً بتعريفاتها وحدودها ، وأما بالنسبة للقواعد فقد كان للقرآن أثره البالغ فيها وهو ما تحدثنا عنه فيما مضى من حيث بناء القاعدة واستحداثها وتفریعها ونقضها أو الإسهام في الاستشهاد عليها أو الاستدلال لها ، ويكفيها من ذلك كل ما عرضناه .

وأما التعليقات النحوية فقد كان لكتاب الله أثره فيها كذلك ولكن قبل أن نتحدث في هذا يجدر بنا أن نلقي على هذه التعليقات ضوءاً نتعرف من خلاله على نشأتها وزمان هذه النشأة وكيفيتها .

إن العلة النحوية في واقعها لتشكل جزءاً كبيراً من القدر الذي احتوته المراجع النحوية والمصنفات اللغوية ، ولقد كان لاختلاط العرب بالمعجم وترجمة ما كان لهم من أفكار فلسفية ومنطقية وعلمية تمكن العرب من الاطلاع عليها

والتعرف على ما فيها أثره في ثقافتهم واعتمادهم على الفلسفة في بناء أفكارهم وأحكامهم<sup>(١)</sup> ، ولم يكن اللغويون في منأى عن مثل هذه الثقافة التي أثرت في الفقهاء والمتكلمين وشاع أثرها في فقههم وكلامهم وتعريفاتهم وآرائهم ، فقد كان لهم منها نصيب كبير انعكس على نحوهم وآرائهم اللغوية حيث وجدناهم يرتبون علم النحو في أبوابه ترتيباً دقيقاً يدل على تأثيرهم الشديد بتلك الثقافات ، كما وجدناهم يتنافسون بتعليل الأحكام واستنباط عللها<sup>(٢)</sup> فيضعون لكل حكم علة ويتلمسون لكل ظاهرة نحوية علة عقلية تبررها<sup>(٣)</sup> .

وفي رأيي ان انصراف العلماء إلى تعليل الظواهر النحوية لم يكن مواكباً لنشأة النحو وبدايته كما يرى الدكتور مازن المبارك<sup>(٤)</sup> بل ان هذه الظاهرة لم تشع في هذا العلم إلا بعد أن استقرت أصوله ووضعت أركانه ، ولم يعد أمام النحاة متسع لأكثر مما قيل فلجأوا إلى تعليل الأحكام التي يرونها أمامهم ، حيث وجدوا في ذلك رياضة عقلية ومسلة ذهنية يلقون في مجالها قدراتهم التحليلية وملكاتهم التعليلية حتى تم لهم ذلك الصرح الشامخ من التعليلات المركزة القوية ، أي أن لجوء النحاة إلى هذه التعليلات كان ترفاً علمياً دفعهم إليه ما رأوه في النحو من كمال ليس لمضيف عليه أن يضيف شيئاً وليس أدل على ذلك مما قيل من أن الخليل بن أحمد هو أول من بسط القول في العلة<sup>(٥)</sup> وتلمسها للحكم وللظاهرة النحوية حيث سئل عن العلل التي يعلل بها في النحو فقبل له : أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : ان العرب نطقت على سجيته وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله وان لم ينقل

(١) مقدمة الدكتور شوقي ضيف على كتاب الايضاح في علل النحو للزجاجي ص ج

(٢) النحو العزلي للدكتور مازن المبارك ص ٥ .

(٣) مقدمة الدكتور ضيف على كتاب الايضاح .

(٤) النحو العربي للدكتور مازن المبارك ص ٥ .

(٥) من مقدمة الدكتور الضيف على كتاب الايضاح للزجاجي ص ب .

ذلك عنها واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علته منه فإن أكن قد أصبت العلة فهو الذي التمس (١) . .

ولقد افتن النحاة من بعد الخليل بهذه العلة وأخذوا يتبارون في التماسها وصنعها فهذا مبتدأ مرفوع ولرفعه علة وذاك اسم للا منصوب ولنصبه علة كذلك وذاك المثني مرفوع بالألف ومنصوب بالياء ولكل من رفعه ونصبه علة تبرره ، والحقيقة أن هذه التعليلات كانت مختبراً قوياً ومخطأً دقيقاً لتلك العقليات الجبارة التي أوتيت من القدرة ما استطاعت به أن تسهم في صنع هذا العلم وتشيد بنائه واكتمال مسائه .

ولقد كان من العلماء الذين سعوا وراء العلة يتصيدونها لكل شيء الخليل ابن أحمد كما ذكرنا وابن جني في خصائصه وكتابه من صناعة الأعراب (٢) وكذلك أبو علي الفارسي الذي يتحدث عن ابن جني حيث يقول عنه في صدد شغفه بالتعليل : قد خطر له وانتزع من علل النحو ثلث ما وقع منها لسائر النحويين ولقد كان كذلك أبو القاسم الزجاجي من النحاة الذين شغفوا بهذه العلة حيث ألف فيها كتابه المسمى بالإيضاح في علل النحو حيث يقول في مقدمته عنه : « وهذا كتاب أنشأناه في علل النحو خاصة والاحتجاج له وذكر أسرارها وكشف المستغلق من لطائفه وغوامضه دون الأصول لأن الكتب المصنفة في الأصول كثيرة جداً ولم أر كتاباً إلى هذه الغاية مفرداً في علل النحو مستوعباً فيه جميعها » (٣) .

وإذا كان معظم العلماء قد رصدوا العلة وقيدوا أو أبدها وجمعوا شواردها وشغفوا بها فإن منهم كذلك من ندد بها وثار عليها ، وذلك كابن مضاء القرطبي الذي لم يرق له طريقة النحاة ووسيلتهم في عرض آرائهم وحشو مراجع النحو

(١) الاقتراح للسيوطي ص ٥٧ - الإيضاح للزجاجي ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) القواعد النحوية مادتها وطريقتها للأستاذ عبد الحميد حسن ص ٢٢٨ .

(٣) الإيضاح لأبي القاسم الزجاجي ص ٣٨ .

بما يكسد الفكر ويهق العقل دونها فائدة تعود على اللغة أو تخدم التعبير من قريب أو بعيد .

وقد عبر ابن مضاء عن ذلك في الكتاب الذي ألفه من أجل هذا الغرض وأسماه « الرد على النحاة » وهو فيه يناهض بإبطال كثير مما نجده في كتب النحو كمنظريّة العامل والقياس وكذلك العلل النحوية نفسها ثوابها وثوابها : إذ كان يرى في ذلك كله افساداً للنحو وتقييداً له ، وهو بثورته هذه يقصد إلى تخليص النحو وتحريره مما قيد به من قيود و« حدود »<sup>(١)</sup> .

ولقد كانت ثورة ابن مضاء هذه منطلقاً واسعاً فيما بعد لكل من رأى ضرورة تخليص نحونا مما يعانیه من حشو وزيادة لا فائدة منها؛ فتوالت لذلك ثورات الإصلاح وقامت حركات وحركات تنادي بضرورة هذا الإصلاح ولا تزال حتى وقتنا الحاضر نطلع على آراء حديثة في هذا المجال .

ونحن هنا في الحقيقة لا نبعده عما قيل في هذا الصدد إذ أن ما نادى به ابن مضاء من تخليص للنحو من هذه التعليقات والقياسات غير الواقعية هو نداء يجدر بنا أن نأخذ به باعتباره ، إذ يكفينا من نحونا أن يعيننا على القراءة السليمة والكتابة الصحيحة والتعبير الفصيح ، وهو ما نستطيع أن نحصل عليه دون أن نحشو أذهاننا بتعليقات إذا كانت قوية في حقيقة فإنها قد لا تتناسب وزماننا هذا ، وبخاصة أنها في عصر يقتضينا أن نهض فيه بلغتنا نهوضاً يجعلها تسير تطور الزمن وتعدد الحضارات وتقدمها . وهو أمر قد تعرفه تلك الفلسفات التي لا ينتقص فقدانها من صحة التعبير كما لا يزيد وجودها في صحته وسلامته .

وإذا كنا نحن نندد بتلك الزيادات في علم النحو فهذا لا يعني بأنها غير

(١) النحو العربي للدكتور مازن المبارك ص ١٤٨ .

جديرة بالتسجيل والإشادة ، فهي إذا كانت لا تجدي في وقتنا الحاضر ولا تؤثر على التعبير والكلام ، فهذا لا يعني بأن نسلخ عنها تاريخها وكونها تمثل ذلك الفكر العربي الرائع الذي تمخضت عنه عقول أجدادنا الأفاضل وعلمائنا الفحول الذين ابتدعوا مثل هذه الأمور خدمة منهم للعلم وسعيًا به إلى الصلاح والكمال ، سواء أكانوا في هذا مصيبين أم غير مصيبين ، وبهمننا من صنيعهم حسن نيتهم وإخلاصهم في خدمة اللغة وتقويتها .

وعلى هذا فإن العلة النحوية تمثل دور النمو الفكري للعلماء الأوائل وهو ما يجدر بنا أن نسجله لهم مقترنًا بالتمجيد والفخر .

وإذا كان لا يعنيننا في هذا المجال أن نفصل ونشرح أنواع العلل النحوية من تعليمية أو قياسية أو جدلية نظرية<sup>(١)</sup> فإن هذا لا يمنعنا من القول بأن القرآن الكريم كان له أثره في هذا الجانب من النحو إلى حد ما كما كان له أثره في غيره ، وهو ما أردنا الحديث عنه في هذا الفصل .

ان أثر القرآن الكريم في التعليقات النحوية لم يكن بذلك الأثر الواسع الذي نشهده في كل ما قدمناه من جوانب ولعل سبب ذلك كون العلة في حقيقتها نافذة فكرية لا تؤثر كما قلنا في مسيرة تعبير أو مجرى تركيب وكل ما فيها أنها تفسير وتبرير لظاهرة ما أو شكل معين ، ولذا فإن أثر كتاب الله في هذا الجانب النحوي أثر عادي نلمسه في بعض التعليقات المتناثرة هنا وهناك ولنبن ذلك نضرب بعض الأمثلة وهي :

١ - قال تعالى : ( إن هذان لساحران )<sup>(٢)</sup> لقد تعددت آراء النحاة في هذه الآية الكريمة حيث أشكل مجيء الألف في هذان بعد « إن » وكان ممن سئل عن اعرابها ابن كيسان فقال : نجعلها مبنية على الألف في كل

(١) الايضاح في علل النحو للزجاجي ص ٦٤ .

(٢) سورة طه آية ٦٣ .

حالاتها ، ولما سئل عن علة بنائها أجاب بأن المفرد من لفظ هذان وهو هذا مبني وكذلك الجمع مبني أيضاً ويجعل المثني مثلها <sup>(١)</sup> أمي : مثل المفرد والجمع في البناء .

٢ - قال تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى ) <sup>(٢)</sup> يرى الفراء أن ( الصابثون ) في الآية الكريمة معطوفة على الذين ، وهو في هذا يوافق الكسائي <sup>(٣)</sup> على جواز رفع الاسم إذا عطف على اسم إن قبل اكتمال خبرها في حالة ما إذا كان اسم إن خفي الاعراب كما في الآية <sup>(٤)</sup> وهما في رأيها يخالفان غيرهم ممن يرون وجوب النصب في مثل هذه الحالة ، وفي ذلك يغلط سيبويه من لا ينصب في مثل هذا الموضع <sup>(٥)</sup> . . . والذي أراه أن القراءة سنة متبعة فلا ترد بقاعدة نحوية متى كان السند سليماً .

وقد ذهب الفراء في تحليل اعرابه المذكور إلى أن « الذين » لفظ يبقى على جهة واحدة في رفعه ونصبه وجره ، فلما كان اعرابه واحداً وكان نصب إن ضعيفاً وضعفه أنه يقع على الاسم ولا يقع على الخبر جاز رفع الصابثين <sup>(٦)</sup> . ولم يكن للقرآن فقط مجالاً لتحليل قاعدة ما بل كان يتخذ منه أحياناً دليل على تحليل معين لقاعدة معينة فمن ذلك مثلاً .

#### ١ - قاعدة العامل في البديل :

لقد اختلف النحويون في هذا العامل ، وهل هو نفس العامل في المبدل

- 
- (١) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٢٤٩ بتصرف .
  - (٢) سورة المائدة آية ٦٩ .
  - (٣) الأشموني ج ١ ص ٢٨٧ .
  - (٤) الأشموني ج ١ ص ٢٨٧ المغني ج ٢ ص ٤٧٤ .
  - (٥) الأشموني ج ١ ص ٢٨٧ .
  - (٦) المدرسة الكوفية للدكتور مهدي الخزرمي ص ١٤٣ .

منه أم غيره ، وقد رأى جماعة منهم أبو علي الفارسي أن العاملين مختلفان ومن أجل ذلك سئل كيف يكون البديل ايضاحاً للمبدل وهو من غير جملته (١) فأجاب معللاً لهذه الظاهرة بقوله : « لما لم يظهر العامل في البديل وإنما دل عليه العامل في المبدل واتصل البديل بالمبدل في اللفظ جاز أن يوضحه » (٢) .

وقد استدل لصحة هذا التعليل بكون العامل في البديل غير العامل في المبدل منه بقوله تعالى : ( ولولا أن يكون الناس أمّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفرُ بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضةٍ ) (٣) إذ أن ظهور اللام في كلمة بيوتهم وهي بدل من من يدل على أن العامل في كل منها مختلف (٤) .

كما استدل له كذلك بقوله تعالى : ( قال الملائكة الذين استكبروا من قومك للذين استضعفوا لمن آمن منهم ) (٥) فمن بدل من الذين وفي كل منها عامل يختلف عن الآخر ، وهذا يدل على أن العامل في البديل غيره في المبدل وهو ما يقره أكثر النحاة (٦) .

## ٢ - قاعدة المفعول المطلق وكونه يقع حدثاً وغير حدث :

يرى أكثر النحاة أن المفعول المطلق لا يكون إلا حدثاً (٧) ولا يكون غير ذلك ولكن بعض النحاة لا يرون هذا الحصر بل يرون أنه يأتي حدثاً

(١) أسرار العربية لابن الانباري ص ٣٠٠ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) سورة الزخرف آية ٣٣ .

(٤) أسرار العربية ص ٣٠١ .

(٥) سورة الأعراف آية ٧٥ .

(٦) أسرار العربية لابن الانباري ص ٣٠١ .

(٧) المغني ج ٢ ص ٦٦٠ .

ويأتي غير حدث وقد مثلوا لذلك بقوله تعالى : ( خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ ) (١)  
على أن لفظ السموات مفعول مطلق لا مفعول به .

وكان ممن أقر هذا الإعراب ابن الحاجب والزنجشيري والجرجاني (٢)  
ووافقهم عليه ابن هشام وجعل إعراب السموات مفعولاً به من الأخطاء التي  
يجب الحذر منها وقد تقدم ذكر ذلك في مكان آخر من الرسالة .

ولم يقف ابن هشام عند ذلك بل وجدناه يعمل لما رآه هو وغيره بتعليق  
اثنين أحدهما أن المفعول المطلق هو ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد نحو  
ضربت ضرباً ، والسموات يقع عليها اسم المفعول بدون هذا القيد ، إذ يقال:  
فيها إنها مفعول كما يقال في « ضرباً » كذلك .

وتعليل آخر وقد تقدم ذكره كذلك وهو أن المفعول به يجب أن يكون  
موجوداً قبل وقوع الفعل لا مقترناً به شأن المفعول المطلق ، وهو ما ينطبق  
على السموات من الآية الكريمة ، إذ أن وجود السموات اقترن بفعل الخلق ولم  
يكن قبله وهذا ما يتحقق بالمفعول المطلق لا بالمفعول به (٣) .

(١) سورة العنكبوت آية ٤٤ وسورة الجاثية آية ٢١ .

(٢) شرح التصريح ج ١ ص ٧٩ .

(٣) المغني ج ٢ ص ٦٦٠ ، ٦٦١ .

## الفصل الثالث

### القاعدة النحوية بين أدلتها

لقد اعتمد النحو كما ذكرنا على عدة مصادر اتخذها النحاة مصدراً لأرائهم وقواعدهم ومن ذلك كلام العرب ونثرهم وشعرهم وكذلك الحديث الشريف والقرآن الكريم وليس من شك في أن القرآن كان المصدر السليم والنبع الصافي لقواعد النحو وجزئياته ويليه في ذلك كلام العرب بقسميه ثم يأتي بعد ذلك الحديث الشريف . ولم يكن القرآن في هذه المرتبة من بين هذه المصادر إلا لما قدمناه وذكرناه آنفاً من حيث صحته وتواتره وثبوته الذي لا يداخله شك أو ريب ، وحسب القرآن في هذا الصدد كما تقدم أن يكون وجوده والحرص عليه السبب المباشر في تأليف هذا العلم ونشأته .

فإذا كنا قد عرفنا ذلك فلا بد إذن من القول بأن القاعدة التي سندها شاهد قرآني تكون بذلك قد استمدت من هذا الشاهد عناصر القوة والثقة والثبوت في الوقت الذي لا تستطيع قاعدة أخرى اعتمدت على غير الدليل القرآني أن تنال ما تناله القاعدة المبنية على دليل قرآني فالشاهد الشعري أو النثري لا يعتمد عليه كدليل سليم على قواعد اللغة إلا إذا كان أولاً من فترة زمنية معينة حددها العلماء بالعصور الجاهلية وصدر الإسلام والدولة الأموية وهذا قد لا يتوفر دائماً بالإضافة إلى أن كثيراً من الأدلة المثبتة في كتب النحو قد أصابها الاضطراب لعدم معرفة قائلها أو الشك فيها حيث لا يمنع من

التخبط في هذا الصدد مانع كذلك الذي يقوم حيال القرآن ويتمثل في قُداسته التي تمنع من النيل منه بما قد وقر في النفوس عما يحجره مثل هذا التخبط والتقول والعبث في كلام الله من اثم وجزاء بالعين .

ولكي نقبين مقدار القيمة التي يولها القرآن للقاعدة النحوية كدليل عليها ولنعرف كذلك قدر القاعدة باعتبار دليلها وأثر القرآن في هذا القدر وفي تلك القيمة لا بسد من تقسيم القاعدة باعتبار ما اعتمدت عليه من أدلة إلى مجموعات ثلاث مرتبة حسب أهميتها وهي كما يلي :

- ١ - قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن الكريم والحديث الشريف والكلام الموثوق به مما لم يجهل قائله .
- ٢ - قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام غير موثوق به لكونه مولداً أو مجهول القائل .
- ٣ - قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن الكريم والحديث الشريف فقط .
- ٤ - « « « « وكلام عربي موثوق به .
- ٥ - « « « « غير موثوق .
- ٦ - « « « « والقياس .
- ٧ - « « « « فقط .
- ٨ - قاعدة اعتمدت على دليل من الحديث والكلام العربي الموثوق به .
- ٩ - « « « « غير الموثوق به .
- ١٠ - قاعدة اعتمدت على كلام عربي موثوق به فقط .
- ١١ - « « « « غير موثوق به .

وحق يظهر لنا قيمة هذه القواعد ومدى أثر الدليل في كل منها تمثل لها بالأمثلة الآتية :

أولاً : القاعدة التي اعتمدت على أنواع ثلاثة من الأدلة وهي القرآن الكريم والحديث الشريف والكلام العربي الموثوق به تعتبر في قمة ما يجب التسليم به إذ لا يتطرق اليها الشك بأي حال من الأحوال حيث أسندت بمصادر ثلاثة لإخلاف في قوتها ، وأمثلة هذه القاعدة كثيرة فمنها :

### ١ - قاعدة مجيء في بمعنى التعليل :

لحرف الجر ( في ) معان كثيرة منها التعليل أو السببية ، وقد حظيت هذه القاعدة بأدلة متعددة من القرآن والحديث والكلام العربي بما يجعلها في غاية المتانة والقوة ، فقد استدل لها من القرآن بالآيات التالية :

قوله تعالى : ( وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ )<sup>(١)</sup> وقوله : ( لولا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ )<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى أيضاً : ( لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ )<sup>(٣)</sup> وقوله أيضاً : ( فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمَسْنِي فِيهِ )<sup>(٤)</sup> .

واستشهد لها كذلك بالحديث الشريف وهو قول الرسول عليه الصلاة والسلام : أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها أي : بسبب هرة<sup>(٥)</sup> وقوله أيضاً : « يعذبان وما يعذبان في كبير »<sup>(٦)</sup> أي بسبب كبير .

(١) سورة البقرة آية ١٧٩

(٢) سورة الانفال آية ٦٨

(٣) سورة النور آية ١٤

(٤) سورة يوسف آية ٣٢

(٥) المفني ص ١٦٨

(٦) شواهد التوضيح ص ٦٨

وملأ كلام العرب قول جميل (١) .  
 فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي  
 أي : فليت رجالاً بسببك .  
 ومنه كذلك قول أبي خراش (٢) .  
 لوى رأسه عني ومال بوده  
 أغانيج خود كان فينا يزورها

## ٢ - قاعدة جواز حذف الاستفهام :

قد تحذف همزة الاستفهام ويبقى المستفهم عنه وهذا الحذف جائز في أي حال (٣) حتى في الاختيار وهذا ما يراه الأخفش ويؤيده (٤) حيث استدل لهذه القاعدة بآيات قرآنية منها قوله تعالى : ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ) (٥) أي : أو تلك نعممة (٦) وقوله أيضاً ( هَذَا رَبِّي ) (٧) أي أهذا ربي وقوله حسب قراءة ابن محيصن : ( سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ) (٨) أي : أسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وقوله كذلك : ( تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَةِ ) (٩) أي أتلقون إليهم بالمودة ، بحذف الهمزة (١٠) .

(١) شواهد التوضيح ص ٦٨

(٢) نفس المرجع

(٣) المغني - ١ ص ١٤

(٤) اعراب القرآن - ١ ص ٣٥٢ - المغني - ١ ص ١٥

(٥) سورة الشعراء آية ٢٢

(٦) شواهد التوضيح ص ٨٧ - اعراب القرآن - ١ ص ٣٥٢

(٧) سورة الانعام ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ - المغني - ١ ص ١٥ ، اعراب القرآن - ١

ص ٣٥٢

(٨) سورة البقرة آية ٦

(٩) سورة المتحنة آية ١

(١٠) اعراب القرآن - ١ ص ٣٥٢

ولم تُعتمد هذه القاعدة على القرآن الكريم فقط بل اعتمدت كذلك على الحديث الشريف ومنه قول رسول الله ﷺ : أتاني من ربي يبشرنى أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت : وان زنى وان سرق ، قال : وان زنى وان سرق أي : أن زنى وان سرق (١) ، وكذلك أيضاً ورد عن ابن عباس أن رجلاً قال : ان أمتي ماتت وعليها صوم شهر فأقضيه أي : أفاقضيه (٢) .

كما أن من الأبيات الشعرية التي ذكرت في هذا الصدد قول الكمي (٣) طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب أي أو ذو الشيب يلعب ؟

ثانياً : قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام عربي غير موثوق . ومثالها : قاعدة الابتداء بالنكرة إذا وقعت بعد واو الحال .

المعروف أن النكرة لا تقع مبتدأ إلا إذا أفادت ومن مواطن افادتها وقوعها بعد واو الحال ، وقد استدل لها بقوله تعالى : ( ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَامًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ) (٤) فكلمة ( طائفة ) مبتدأ وهي نكرة والذي سوغ هذا الابتداء وقوعه بعد واو الحال (٥) .

وقد استدل لها كذلك بحديث عائشة رضي الله عنها وهو قولها : ( ودخل

(١) المغني - ١ ص ١٥ - شواهد التوضيح ٨٩

(٢) شواهد التوضيح ص ٨٩

(٣) نفس المرجع ص ٨٨

(٤) سورة آل عمران آية ١٥٤

(٥) شواهد التوضيح ص ٤٥

رسول الله ﷺ وبرمة على النار ) فبرمة مبتدأ وهي نكرة وقعت بعد  
واو الحال .

ولها من الشواهد الشعرية غير الموثوقة لكونها مجهولة القائل قول  
الشاعر (١) :

سرينا ونجم قد أضاء فمذبا محياك أخفى ضوءه كل شارق  
وقوله أيضاً (٢) :

الذئب يطرقها في الدهر واحدة وكل يوم تراني مديّة بيدي

ثالثاً : قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن والحديث، ومثال هذا النوع  
وقوع جملة القسم خبراً عن المبتدأ :

قد تقع جملة القسم خبراً عن المبتدأ وهذا كثير في رأي ابن مالك (٣)  
وقد تقدم ذكر هذا ، وأما دليل هذه القاعدة من القرآن الكريم فبضع آيات  
منها قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا  
لَنَسُوبُنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) (٤) كما استدل لها ، بقول الرسول عليه  
الصلاة والسلام ( وقبصر ليهلكن ثم لا يكون قبصر بعده ) ، ولم أعثر على  
دليل آخر من غير القرآن والحديث سواء من الكلام العربي الموثوق أم غيره .

## ٢ - قاعدة دخول الفاء على خبر المبتدأ :

إذا كان المبتدأ متضمناً معنى الشرط جاز دخول الفاء على خبره وذلك

(١) شواهد التوضيح ص ٤٦ - الأشموني ص ١ - ٢٠٦

(٢) الأشموني ص ١ - ٢٠٦

(٣) شواهد التوضيح ص ١٦٥

(٤) سورة النحل آية ٤١

إذا كان اسماً موصولاً<sup>(١)</sup> ، وقد استدل لهذه القاعدة بقوله تعالى : ( الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ )<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى كذلك : ( وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَنِ الْهِ )<sup>(٣)</sup> . وكذلك قوله : ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ يَوْمِ التَّقْيِ الْجَمْعَمَانِ فَبِإِذْنِ الْهِ )<sup>(٤)</sup> .

كما استشهد لها بحديث شريف وهو قول الرسول ﷺ الذي رأيته يشق شذقه فكذاب .

رابعاً : قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن وكلام موثوق . ومثال هذا النوع ما يلي :

١ - كسر همزة إن عند وقوعها في موضع الحال : دال عليها بقوله تعالى : ( كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِنَكَرِهُونَ )<sup>(٥)</sup> ودليلها من الكلام العربي الموثوق قول كثير عزة :

ما أعطيتني ولا سألتها إلا وإني لحاجزي كرمي

والشاهد فيه كسر همزة إن لوقوعها هي ومعمولاها في موضع الحال .

٢ - قاعدة نصب الفعل المضارع بأن سواء أكانت مضمرة أم مذكورة وذلك إذا عطف على اسم لم يقصد به معنى الفعل وقد استدل لهذه القاعدة بقوله تعالى : ( وما كانَ لِيُبَشِّرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ

(١) شرح المفصل - ١ ص ٩٩

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٤

(٣) سورة النحل آية ٥٣

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٦

(٥) سورة الانفال آية ٥

وراء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا (١) وذلك بعطف يرسل على وحيًا .

وقد دلت هذه القاعدة بيئتين : أحدهما ليسون الكلية .

ولبس عباءة وتقرر عيني أحب إلى من لبس الشفوف

وثانيها قول أنس بن مدركة الخثعمي :

اني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

خامساً : قاعدة اعتمدت على دليل قرآني مع دليل من كلام عربي غير

موثوق . إما لكون صاحبه مولداً أو مجهولاً وأمثلة هذا النوع :

١ قاعدة مجيء من الموضوعات للعاقل أصلاً لغير العاقل :

استدل لهذه القاعدة من القرآن الكريم بقوله تعالى : ( ومنهم من

يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ) (٢) ودليل هذه القاعدة من القرآن الكريم بيتان

من الشعر للعباس ابن الأحنف وهو شاعر مولد (٣) لا يحتاج بما يقول وهما :

بكيت على سرب القطا إذ مررن بي فقلت ومثلي بالبكاء جدير

أسرب القطا هل من يميز جناحه لعلني إلى من قد هويت أطير

٢ - قاعدة إعمال ما عمل ليس أي رفعها للمبتدأ على أنه اسمها ونصب

الخبر على أنه خبرها .

استدل لهذه القاعدة بقوله تعالى : ( ما هَذَا بَشَرًا ) (٤) وبقره كذلك

(١) سورة الشورى آية ٥١

(٢) سورة النور آية ٤٥

(٣) شرح شواهد الأشتوني للمعني - ١ ص ١٥١

(٤) سورة يوسف آية ٣١

( مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ )<sup>(١)</sup> كما استدلل له بيت من الشعر لم يعرف  
قائله<sup>(٢)</sup> وهو :

أبناؤها متكنفون آباءهم      حنقو الصدور وما هم أولادها

سادساً : قاعدة اعتمدت على القرآن والقياس :

إذا كانت القاعدة كما رأينا تعتمد في بنائها على قرآن وحديث وكلام  
موثوق أو غير موثوق مجتمعة كلها أو منفردة ، فإن اعتمادها على القرآن  
والقياس أمر من القلة في مكان ، وليس مرد هذا إلا إلى أن القاعدة لا يلجأ  
في بنائها إلى القياس إلا إذا عز الدليل وفقد ، فلذا كان من النادر بل من  
المتعذر تقريباً أن يجتمع لقاعدة دليلان أحدهما من القرآن والآخر من القياس ،  
لأن هذه القاعدة إذا توفر لها الدليل القرآني فلا حاجة بها إلى بناء من القياس  
إلا نادراً ، وذلك كقاعدة حذف عائد الموصول الذي استدلل له ابن مالك  
بدليلين<sup>(٣)</sup> أحدهما قياسه له على حذفه في الخبر والآخر حذفه في قوله تعالى :  
( ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ )<sup>(٤)</sup> أي به .

وندره وجود هذا النوع من القواعد تجعلنا نكرر ونقول بأن اجتماع هذين  
الدليلين اجتماع لا يمكن أن يحصل بسهولة ويسر لما فيه من تناقض إذ لا يحسن  
البناء على القياس كما ذكرنا إلا إذا عز الدليل وفقد ، وطالما أن الدليل موجود  
فلا حاجة إلى اعتماد القياس أو البحث عنه إلا إذا جاء عفواً وبدون تعمل أو  
تكلف كالمثال الذي ذكرناه :

(١) سورة المجادلة آية ٢

(٢) تعليق الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ص ٢٦٠ - ١

(٣) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٣١٥

(٤) سورة الشورى آية ٢٣

سابعا - قاعدة اعتمدت على دليل قرآني فقط : ومثال هذا النوع :

#### ١ - قاعدة جواز حذف الحال

قد يحذف الحال إذا دل على ذلك قرينة ما (١) وقد رأى النحاة أن هذا الحذف يكثر إذا ما كان قولاً أغنى عنه المقول (٢) وقد استشهدوا لهذه القاعدة بالقرآن الكريم فقط وذلك بقوله تعالى : ( والملائكةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) (٣) أي قائلين ذلك ، واستدل كذلك بقوله جل وعلا : ( واذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ) (٤) أي : قائلين ذلك .

ولم أجد مرجعاً من المراجع تعرض لهذه القاعدة واستدل لها بغير القرآن الكريم .

#### ٢ - قاعدة حذف المبتدأ وجواز ذلك :

استدل لحذف المبتدأ في كل موطن بالآيات الكريمة ومن هذه المواطن حذف المبتدأ في جواب الاستفهام كقوله تعالى : ( وما أدراك ما الحُطْمَةُ تَارُ اللهُ الْمُوقَدَةُ ) (٥) أي : هي نار الله (٦) .

وبعد فاء الجواب كقوله تعالى : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ) (٧) أي : فعمله لنفسه وإساءته عليها (٨) وبعد القول : كقوله : ( وقالوا )

(١) الأشموني - ٢ ص ١٩٣

(٢) الأشموني - ٢ ص ١٩٣ المغني - ٢ ص ٦٣٤

(٣) سورة الرعد آية ٢٣، ٢٤

(٤) سورة البقرة آية ١٢٧

(٥) سورة الحمزة آية ٦٠

(٦) المغني - ٢ ص ٦٢٩

(٧) سورة فصلت آية ٤٦

(٨) المغني - ٢ ص ٦٢٩

أساطير الأولين (١) وبعد ما الخبر صفة له في المعنى (٢) كقوله تعالى :  
( التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ) (٣) .

كما استدل بالقرآن فقط على قاعدة حذف الجزئين معاً أي المبتدأ والخبر  
وذلك في قوله تعالى : ( واللّائِي لمْ يَحِضْنَ ) (٤) والتقدير : فمئتين ثلاثة  
أشهر ، وقد حذف الجملة لوقوعها موقع المفرد وهو لفظ كذلك . (٥)

ثامناً - قاعدة اعتمدت على الحديث الشريف والكلام الموثوق دون  
دليل من القرآن الكريم ، وأمثلة هذا النوع :

١ - قاعدة تصرف سوى وجرها بمن : يرى سيوييه والجمهور أن سوى  
ظرف مكان ملازم للنصب ولا تتصرف (٦) وقد وقع في الشعر والنثر ما يخالف  
ذلك أي أنها تتصرف فتجر بالحرف والإضافة كما أنها ترفع وتنصب ، وقد  
استدل لهذا التصرف بأحاديث منها قول الرسول عليه الصلاة والسلام :  
« دعوت ربي ألا يسלט على أمتي عدواً من سوى أنفسها » وقوله كذلك :  
« ما أنتم في سواكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود » (٧)

وقد استشهد النحاة لهذه القاعدة بأبيات موثوقة منها قول المراد بن سلامة  
العجلي (٨) :

- 
- (١) سورة الفرقان آية ٥
  - (٢) المغني - ٢ ص ٦٣٠
  - (٣) سورة التوبة آية ١١٢
  - (٤) سورة الطلاق آية ٤
  - (٥) الأشموني - ١ ص ٢١٤
  - (٦) المغني - ١ ص ١٤١
  - (٧) الأشموني - ٢ ص ١٥٨
  - (٨) خزانة الأدب - ٣ ص ٤٣٨

ولا ينطق الفحشاء من كان منهم إذا جلسوا منا ولا من سوائنا  
وقول الفند الزماني كذلك<sup>(١)</sup>

ولم يبق سوى العدوا ن دقاهم كما دانوا

٢ - قاعدة اعراب سنين بالحركات الثلاث على نونه وكذلك كل ما جاء على  
بابه : لم يؤيد هذا الإعراب بأية آية من الآيات الكريمة، بل استدل لها بحديث  
شريف وهو قول الرسول عليه الصلاة والسلام : اللهم اجعلها عليهم سنينا  
كسنين يوسف . كما استدل لها بقول عربي موثوق وهو قول الصمة بن عبد الله :  
دعاني من نجد فان سنينه لعين بنا شيئاً وشيبتنا مردا

٣ - قاعدة استعمال ما حاشا كعدا ونصب ما بعدها على أنه مفعول به ،  
فهذه قاعدة ليس لها دليل قرآني وإنما استدل لها بقول الرسول صلى الله عليه  
وسلم : اسامة أجب الناس إلى ما حاشا فاطمة<sup>(٢)</sup> كما استدل لها بقول الأخطل :  
رأيت الناس ما حاشا قريشاً فانا نحن أفضلهم فعلا  
كما استدل لها وهي بدون ما يقول الفرزدق<sup>(٣)</sup>

حاشا قريشاً فان الله فضلهم على البرية بالاسلام والدين

تاسعاً : قاعدة اعتمدت على دليل من الحديث وكلام عربي غير  
موثوق لجعل قائله أو لكونه مولداً . وأمثلة هذا النوع :

١ - قاعدة اتصال نون الوقاية باسم الفاعل وغيره من الأسماء المعربة من

(١) خزانة الأدب للبغدادي - ٣ ص ٤٣١

(٢) الأشموني - ٢ ص ١٦٧

(٣) تعليق الأستاذ محي الدين عبد الحميد على شرح ابن عقيل ج ١ ص ٥٢٦ .

المشهور والمتعارف عليه بين النحاة وأهل اللغة أن نون الوقاية تختص بالأفعال والحروف وأسماء الأفعال (١) إذا ما اتصلت بها ياء المتكلم وهذا الحكم لازم للأفعال ويختلف فيه بالنسبة للحروف ، وأما الأسماء العربية فالأصل فيها أن تصحبها ولكنها منعت من ذلك (٢) غير أنهم أجازوه في بعض الأسماء العربية والمشابهة للفعل تنبيهاً بذلك إلى الأصل المتروك (٣) وقد استدلوا لذلك بأحاديث وأشعار مجهولة ، فمن الأحاديث قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « فهل أنتم صادقوني » وقوله كذلك : « غير الدجال أخوفني عليكم » (٤) .

وقد استدل لهذه القاعدة بأبيات غير موثوق بها لعدم معرفة قائلها

وهي :

وليس بعيني وفي الناس ممتع      صديق إذا أعيا على صديق

وكذلك قوله :

وليس الموافيني ليرفد خائباً      فإن له أضعاف ما كان أملاً

٢ - قاعدة ثبوت الخبر بعد لولا : المعروف أن الخبر يجذف بعد لولا إذا كان كونا مطلقاً وذلك كقوله تعالى : ( وَلَوْلا دَفَعْنَا اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ) (٥) .

وقد يذكر هذا الخبر إذا كان كونا خاصاً ، وقد استدل لهذه القاعدة بقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لولا قومك حديثو عهد بكفر لبليت

(١) المغني ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٢) حاشية الصبان ج ١ ص ١٢٦ .

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ١١٨ .

(٤) المرجع السابق ص ١١٩ - الأشموني ج ١ ص ١٢٦ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٥١ .

الكعبة على قواعد إبراهيم (١) ، كما استدل لها ببيتين غير موثوقين لعدم معرفة قائل الأول وهو :

لولا زهير جفاني كنت منتظراً ولم أكن جانحاً للسلم إن جنحوا  
ولكون الثاني لشاعر مولد لا يحتج بشمره وهو أبو العلاء المعري وهو :  
يذيب الرعب منه كل غضب ولولا الغمد يسكه لسالا  
وقد اختار ابن مالك هذا المذهب وأيده فيه علماء منهم الرماني  
والشلوبين (٢) وخالف الجمهور في ذلك حيث خطأوا المعري ولخوه كما علقوا  
على الحديث بأنه مروى بالمعنى لا باللفظ (٣) .

عاشراً : قاعدة اعتمدت على كلام عربي موثوق فقط : ومن أمثلة  
هذا النوع :

١ - قاعدة وصل الالف واللام بالفعل المضارع على أنها موصولة :  
لا يوجد لهذه القاعدة دليل قرآني لشذوذها وخروجها عن القياس كما  
لا يوجد لها دليل من الحديث كذلك بل استدل لها ببين موثوق وهو قول  
الفرزدق (٤) .

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولاذي الرأي والجدل

٢ - قاعدة مجيء المبتدأ نكرة إذا كانت مبهمة :  
لا يوجد لهذه القاعدة كذلك دليل من قرآن أو حديث بل استدل لها

(١) الأشموني ج ١ ص ٢١٥ .

(٢) المغني ج ١ ص ٢٧٣ .

(٣) الأشموني ج ١ ص ٢١٦ .

(٤) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٣٦ .

ببيت لامرئ القيس وهو قوله (١) :

مرسعة بين أرساغه      به عم بيتغي أرنبا

٣ - قاعدة توسط خبر ليس بينها وبين اسمها :

ليس لهذه القاعدة دليل سوى قول السمومل بن عادياء (٢) .

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم      فليس سواء عالم وجهول

الحادية عشرة : قاعدة اعتمدت على كلام عربي غير موثوق : ومن

أمثلة هذا :

١ - قاعدة إعمال لات في غير لفظ الحين من الألفاظ المرادفة له :

ليس لهذه القاعدة من دليل إلا قول عربي اختلف في نسبه (٣) مما

لا يجعله ثقة في هذا الصدد وهو قول الشاعر :

ندم البغاة ولات ساعة مندم      والبغي مرتع مبتغيه وخيم

فقد قيل ان هذا البيت لمحمد بن عيسى التميمي، كما قيل أنه لمهلل بن مالك

الكناني (٤) .

٢ - قاعدة مجيء الضمير المتصل بعد الا :

وهذه قاعدة شاذة ولم يدلل لها إلا بيتين من الشعر ، لم يعرف قائلها ،

ومها :

(١) نفس المرجع ص ١٩٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٣٦ تعليق الاستاذ محي الدين عبد الحميد .

(٣) تعليق الاستاذ محي الدين على شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٧٥ .

(٤) شرح شواهد الاشموني للمعيني ج ١ ص ٢٥٥ .

وما عليك إذا ما كنت جارتنا  
والثاني :

أعوذ برب العرش من فئة بفت  
على فمالي عوض الاء ناصر

٣ - قاعدة عطف الاسم على الفعل :

وقد دال على هذه القاعدة بيئتين لم يعزوا إلى قائل معين ، والناظم يؤيد ذلك بآية يخرج الحي النخ وأولها غيره (١) وأما البيتان فهما :

فألفيته يوماً يسير عدوه  
ويعبر عطاء يستحق المعابرا  
والثاني :

بات يغشها بعضب باتر  
وهكذا إذا ما أردنا أن نضع هذه القواعد في الميزان وجدناها بالنسبة لقيمتها وقدرتها على البقاء والثبوت هي كما أوردناها مرتبة ومقسمة ومن هذا الترتيب يتبين لنا أن وجود الدليل القرآني على قاعدة ما سواء انفرد أو اشترك معه دليل موثوق أو غير موثوق كفيلا بأن يكسب القاعدة قوة لا تعادلها قوة الأمر الذي يمكن للباحثين من خلاله أن ينطلقوا إلى غريسة النحو وتصفيته واصطفاء قواعده التي تعتمد على القرآن اعتماداً لا يتناول إليه التأويل أو فلسفات التحليل والتعليل والابتماد به عما تقتضيه الآراء الشخصية والمنافرات المذهبية من خلاف يترتب عليه غالباً تأويل وتعليل ونقض وتفريع ثم بعد هذا يركن إلى ما قد يوجد من أدلة قوية من الأحاديث الشريفة أو الكلام العربي الفصيح .

وحسب القرآن بما قدمنا أثراً يصنمه للقاعدة النحوية ويخلفه في ذاتها ومبناها .



(١) تقدم هذا في صدر الحديث عن آراء ابن مالك ص ٩٢ .

# الباب الثالث

## الآيات القرآنية بين المفسرين والمُعربين

### وفيه فصول

الفصل الأول : تفسير القرآن الكريم وعلم النحو

الفصل الثاني : إعراب القرآن

الفصل الثالث : الآية القرآنية في مجال الخلاف على إعرابها بين النحويين.



## التحريف

لم تعد لتخفى علينا علاقة النحو بالقرآن الكريم بعد أن تبين لنا أثر القرآن في هذا العلم العظيم ، ولعل أول علاقة للنحو بكتاب الله كما قلنا هو أن قداسته وحرص المسلمين على الارتفاع به عن معاول التحريف كانا هما السبب في انشاء علم كهذا يحفظ على القرآن قداسته .

وأما العلاقة الثانية فهو ذلك البحر الزاخر من الآيات العظيمة التي كانت شواهد وأدلة على قواعد نحوية مختلفة أو كانت سبباً في استحداث ذلك العدد الضخم من هذه القواعد التي تزخر بها مراجع النحو وأسفاره ، ولست أريد تكرار القول في هذا بأكثر مما قلت ولكن ما أريد أن أبينه في هذا الصدد هو أن العلاقة التي ربطت النحو بالقرآن لم تكن لتقتصر على القرآن ذاته بل تعدته إلى ما نتج عنه من علوم كثيرة ارتبطت بالنحو كارتباطها بالقرآن مصدرها ومنبعها فبالنحو استعان التفسير والمفسرون في توضيح آيات الله وإدراك مدلولاتها ومراميها ، وبالنحو كذلك وعليه بنيت الآراء الفقهية المتنوعة حتى كان علم الفقه كما نراه الآن بين أيدينا .

وزيادة على هذا فقد انكب كثير من العلماء يعربون القرآن كله إعراباً دقيقاً يبين موقع كل كلمة فيه مستقصين في ذلك كل ما قيل من آراء وما سجل من خلافات واتفاقات ، فكانت بذلك أسفار ضخمة وكتب كبيرة تمتلئ بها المكتاب العربية في كل مكان .

وهكذا فإن القرآن الكريم كما كان سبباً في نشأة علم النحو نجد كذلك أن

هذا العلم كان سبباً كذلك في توضيح آيات الله وبيانها كما كان له الأثر الواضح في توضيح المسائل المختلفة والاحكام المتنوعة التي استخلصت منها في كل علم من العلوم التي عرفها المسلمون عبر تاريخهم الطويل .

وبما أننا الآن لسنا في صدد البحث عن قواعد النحو في كل علم نشأ عن القرآن فإن ذلك لا يهمننا ولا يعنيننا في مجالنا هذا ، وكل ما نريده أن نقول فيما بين أيدينا من بحث هو أن النحو قد شغل المفسرين واتخذوا منه أداة لايضاح آيات الله ، كما أن القرآن كذلك ومن جانب آخر قد شغلت آياته النحاة حيث انكبوا عليها اعراباً وقبائناً وإيضاحاً .

وإذا كنا في كل ما سبق قد درنا حول القاعدة ، وما استشهد به عليها من آيات فإننا هنا سندور حول الآية الكريمة وما جرى حولها من توضيح وما جند في سبيلها من تبيان إذ تناولها المفسرون بالتفسير واستعانوا عليه بالنحو ليكتمل لهم ما يريدون وتناولها كذلك النحاة فأنشأوا لها للكتب يعربونها ويوضحون تركيبها ومواقع ألفاظها حيناً بينما يتناولونها في حين آخر مبدئين فيها آراءهم .. وهذا كله سنبينه في ما يأتي من فصول .



## الفصل الأول

### ( ١ ) تفسير القرآن الكريم وعلم النحو

لم يك علم من العلوم التي نبعت من القرآن ودارت حوله من قريب أو بعيد في غناء عن علم النحو والاعتماد على قواعده وأصوله ، ونحن إذا ما تتبعنا هذه العلوم وجدناها بالفعل تتخذ من النحو أدلة وبراهين على ما تذهب إليه من آراء وقواعد وأحكام .

ولقد كان علم التفسير أكثر حظاً في النحو من غيره ، بل كان ارتباطه أكثر من ارتباط غيره به ، فقد نشأت العلاقة بينهما في الوقت الذي احتجج فيه إلى ضبط القراءة والحرص على القرآن الكريم من اللحن والانحراف فما علم النحو أصلاً إلا مظهر من مظاهر تفسير القرآن وتوضيحه ، أو على الأقل هو الوسيلة الأولى التي توصل إلى هذا الإيضاح والتبيان .

وليس أدل على الارتباط الشديد بين هذين العلمين من أن معرفة قواعد النحو وأصوله كانت أول الأدوات التي يجب على المفسر أن يتسلح بها إذا ما أراد أن يتناول كتاب الله بالتفسير والتحليل ، إذ يشترط فيه بعد معرفته باللغة معرفة تامة أن يعرف النحو بكل جزئياته وشوارده ومقاييسه وبذلك يقول السيوطي في صدد الحديث عن شروط المفسر التي يجب أن تتوافر فيه وذلك بعد أن بدأ باللغة ومعرفته - كشرط أول ، قال : الشرط الثاني - النحو ،

ولم يكتف بذلك بل وجه الحاجة إلى هذا العلم في مجال التفسير حيث قال معللاً لذلك لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره (١) وإذا كان الرعيل الأول من المفسرين وهم جماعة الصحابة ومن بعدهم بقليل لم يكونوا بحاجة في تفسيرهم للقرآن إلى علم النحو ، لأن فصاحتهم لم تكن قد ندت بهم بعد ، كما أنهم كانوا يفهمون القرآن بدون حاجة إلى معرفة مواقع الألفاظ الإعرابية في الآيات ، والحاجة إلى استخدام علم النحو لم تحدث إلا بعد أن انحرفت الألسنة انحرافاً ينعكس خطره المباشر على القرآن ، وأصبح الناس في حالة قد لا يستطيعون معها أن يدركوا معنى الآيات أو بعضها لجهلهم بتركيبها اللغوي أو النحوي .

ولعل أول ظاهرة ربطت القرآن بالنحو هي حرص الرجل العادي على إقامة القراءة وعدم اللحن فيها اعتقاداً منه بأن الخطأ مهلكة لا تنجيه من عذاب الله وماله من سبيل إلى تجنب ذلك إلا أن يتعلم العربية ليقي نفسه من الإثم وقد روى في هذا الصدد أن الحسن قد سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن النطق ويقم بها قراءته فقال : حسن يتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك أي بسببها (٢) .

وقد رأينا العلاقة تزداد بين التفسير والنحو ازدياداً ملموساً وذلك عندما كثر اللحن وشاع وأخذت الأذهان تتفتح والعقول تتساءل عن معاني القرآن ومراميها وإشاراته فعندها لم يكن بد لدى المفسرين من اعتماد قواعد النحو وعلى الأخص لتبيان الآيات التي تختلف معانيها باختلاف الوجوه اللفظية التي تحتلها ولم يقتصر الأمر على هذا بل أصبحت معرفة اللغة والنحو كما قلنا شرطاً لدى

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٨٠ - البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١

ص ٣٠٢ .

(٢) الاتقان ج ١ ص ١٨٠ .

المفسر حتى يساغ له أن يقول في كتاب الله ما ينور الله بصيرته له وفي هذا يقول مالك رضي الله عنه ، لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته فكالا .

والحقيقة التي لا بد من تقريرها وهي أن اشتراط النحو لأي مفسر للقرآن الكريم حق لا مرية فيه ولا جدال ، كما أنه ليس من المبالغة إذا قلنا بأن النحو هو التفسير أو نصفه لأن كثيراً من الآيات كانت ستظل غامضة لو لم تعنها وسائل النحو وقواعده على أن تتضح وتبين .

ومن هنا نقول بأن النحو بالفعل هو مفتاح القرآن الذي يجعل الآيات الكريمة تطل إلى صدور المؤمنين فتنفذ إلى قلوبهم وتعبر نفوسهم وأرواحهم فيطمثون إلى معرفتهم واستيعابهم وفهمهم لكتاب الله العظيم .

وإنه ليمجني السيوطي في ذلك إذ يقول : وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسرار النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً<sup>(١)</sup> إذ مما لا شك فيه أن معرفة هذه الأشياء تعين على معرفة المعنى أو تقريبه ، فانتصاب كلاله مثلاً من قوله تعالى : ( وإن كان رجلاً يورث كلاله )<sup>(٢)</sup> يحتمل أن تكون حالاً أو مفعولاً لأجله ، فعلى الأول يكون كلاله اسماً للميت وإن كان الثاني كان المقصود بالكلاله القرابة<sup>(٣)</sup> .

وكما جاء في قوله تعالى : كذلك ( سبباً من المثاني )<sup>(٤)</sup> فتحديد معنى من يحدد المعنى المقصود من المثاني فإن كانت للتبويض فالمقصود بها القرآن

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٣٠٢ .

(٢) سورة النساء آية ١٢ .

(٣) البرهان ج ١ ص ٣٠٢ - المغني ج ٢ ص ٥٢٩ .

(٤) سورة الحجر آية ٨٧ .

وإن كانت لبيان الجنس فالمقصود بها الفاتحة (١) أي سبعا هي المثاني .  
وهذا يتضح أن للنحو علاقة وثيقة بالتفسير تجعل أحدهما لا ينفك عن  
الأخر فللقرآن وبالقرآن وضع النحو والنحو كذلك يتضح القرآن وتبين  
أحكامه وتميز إشاراتِه وذلك فضل من الله أنانا إياه ليحفظ كتابه العظيم في  
صدورنا وقلوبنا ونفوسنا .

## ( ٢ ) كتب التفسير وعلاقتها بالنحو

لم تكن كتب التفسير على مرتبة واحدة بالنسبة لاهتمامها في النواحي  
الاعرابية النحوية ، فقد كانت تتفاوت في هذا تفاوتاً كبيراً جعل كل تفسير  
يغلب عليه طابع معين فالتفسير الرازي مثلاً يغلب عليه الطابع الفلسفي حيث  
يمج بأقوال الحكماء والفلاسفة (٢) وتفسير أبي السعود تغلب عليه العناية بابرز  
الصور البلاغية وتفسير النسفي يجمع بين العناية بالبلاغة القرآنية واستقصاء  
وجوه الاعراب والقراءات (٣) ، كما يغلب الطابع اللغوي والعقلي على تفسير  
الزخشمري .

وهكذا فإننا نجد كل مفسر قد اعتنى بجوانب معينة رآها في نظره تستحق  
العناية والبحث فاتجه إليها حتى أصبحت طابعاً لتفسيره ، غير أننا في هذا الصدد  
سنعرض أمثلة لبعض المفسرين ممن عنوا بالمسائل النحوية بشكل لا نقول إنه  
قد طغى على هذه الكتب حتى أصبح النحو طابعاً لها ، ولكننا نقول : إن  
هذه التفاسير قد أولت المسائل النحوية اهتماماً كبيراً ، والحقيقة أن ما يهمننا في

(١) البرهان ج ١ ص ٣٠٣ .

(٢) الاتقان للسيوطي ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٢٩٣ .

هذا هو القول بأن النحو قد وجد في مراجع التفسير بشتى أنواعها سواء منها ما غلب عليه الطابع البلاغي أو الفلسفي أو اللغوي وإذا كان هناك من فرق في ذلك فما هذا الفرق إلا في مقدار الخوض في هذه المسائل النحوية والاعتماد عليها والافإن كل مفسر قد جند النحو في إيضاح ما يقول وتقوية ما يفسر :

ففي قوله تعالى ( فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ) (١) ( وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ) (٢) ( وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ) (٣) يقف النسفي في تفسيره لهذه الآيات على كل كلمة فيها وبين مواقع اعرابها بما يعين على فهمها ، فذراه يعرب كلمة « تجري » حالاً من الريح ورخاء حالاً من الضمير المستتر في تجري ، وحيث ظرفاً متعلقاً بتجري كذلك . وأما الشياطين فيقرها بما يوضح معنى الآية فيقول : انها عطف على الريح أي : سخرنا له الشياطين ، ويعرب كل بناء بدلا من الشياطين وآخرين عطف على كل بناء (٤) .

وفي قوله تعالى كذلك : ( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) (٥) نجد أبا السعود في تفسيره يتحدث عن الفاء في قوله : فلنولينك فيقول : انها تدل على سببية ما قبلها لما بعدها وهي داخلة على قسم محذوف تدل عليه اللام والتقدير : فوالله لنولينك .

وينتقل إلى توجيه النصب في كلمة : قبله فيقول : إنه منصوب بانزاع

(١) سورة ص آية ٣٦ .

(٢) سورة ص آية ٣٧ .

(٣) سورة ص آية ٣٨ .

(٤) تفسير النسفي ج ٤ ص ٤٢ .

(٥) سورة البقرة آية ١٤٤ .

الخافض أي إلى قبلة ، ويروي رأياً آخر فيقول : وقيل إنه مفعول به ثان لكلمة لنولينك على أنه فعل يتعدى لمفعولين (١) .

وينتقل كذلك إلى إعراب « شطر المسجد الحرام » فيروي فيها ثلاثة آراء : الأول نصبه على الظرفية والثاني على نزع الخافض والثالث على أنه مفعول ثان لول ، ونجده كذلك يتعقب كلمة : الهدى من قوله تعالى : ( هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوكم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالنَّهْدِيِّ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلُّهُ ) (٢) ويتحدث عن إعرابها فيقول : إما أن تكون منصوبة بالمطف على الكاف في صدوكم أو مجرورة عطفاً على المسجد نحذف المضاف أي : ونجر الهدى ومعكوفاً حال من الهدى وجملة أن يبلغ محله بدل اشتغال أو منصوب بنزع الخافض والتقدير : محبوساً من أن يبلغ مكانه الذي يحل فيه (٣) .

وفي آية أخرى نجده يستعرض فيها آراء نحوية كثيرة تكاد تصيب أكثر مفرداتها وهي قوله تعالى : ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ) (٤) فنراه يعرب « محمد » خبراً لمبتدأ محذوف ، ورسول الله بدل أو بيان أو نعت ، ولا يكتفي بذلك ، بل يستعرض رأياً آخر في ذلك فيقول : وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره ، ثم نراه ينتقل إلى قوله والذين معه : فيعربها مبتدأً وأشداء على الكفار خبره ، وجملة تراهم ركعاً

(١) تفسير أبي السعود ج ١ ص ١٣٥ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٨٤ .

(٤) سورة الفتح آية ٢٩ .

سجداً ، وكذلك يبتغون خبران أو أن جملة يبتغون فضلاً . . . الخ حال من الهاء في « تراهم » (١) .

وللزخشري كذلك جولات نحوية وأي جولات فهو في قوله تعالى :  
( إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) (٢) يتناول الضمير « هو » من الآية فيستعرض فيه ما يمكن أن يقال في مثله وهو احتمال أن يكون فصلاً بين اسم ان وخبرها أو مبتدأ وخبره القصص ، على أن تكون الجملة من المبتدأ والخبر خبر « إن » (٣) .

وهو لا يقف عند هذا بل نراه يتساءل فيقول : فإن قلب لم جاز دخول اللام على ضمير الفصل ؟ . وإنه ليجيب كذلك فيقول : إذا جاز دخولها على الخبر ، كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ ، وأصلها أن تدخل على المبتدأ (٤) .

ونراه كذلك يتعرض لكلمة « ما » من قوله تعالى : ( هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ) (٥) فيقول فيها : هذا مبتدأ وما وعد ، أي : الوصول وصلته خبر المبتدأ ، ونجده لا يكتفي بهذا الاعراب ، بل نراه يستقصي وجوهاً أخرى ، فيجوز أن يكون « هذا » صفة « لمرقد » أي على تقدير مرقدنا المشار إليه ، وجملة ما وعد خبر لمبتدأ محذوف . (٦)

وإنه لا يكتفي برأي واحد في ما بل يرى فيها رأياً آخر وهو إعراب

(١) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦٢ .

(٣) الكشف للزخشري ج ١ ص ٣٢٧ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) سورة يس آية ٥٢ .

(٦) الكشف ج ٢ ص ٥٩٠ .

الاسم الموصول مبتدأ وخبره محذوف والتقدير على هذا يكون : ما وعد الرحمن أي : وعد الرحمن حق (١) .

ونرى البيضاوي أيضاً في تفسيره يتعرض لقوله تعالى : ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِبِئْسَ لَدِينِهِمْ فَرَحُونٌ ) (٢) فيعرب كلمة « أمرهم » بأنها منصوبة على نزع الخافض ، ثم يعرب كلمة « زبرا » بأنها حال من قوله : « أمرهم » ، أو من الواو في الفعل أو تعرب مفعولاً ثانياً للفعل « تقطعوا » على تضمنه معنى « جعل » (٣) .

وللشوكاني كذلك في تفسيره المسمى « فتح القدير » آراء ونقول نحوية في قوله تعالى : ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ) (٤) حيث يقول في اعراب جملة « ووهبنا له » انها معطوفة على جملة « وتلك حجتنا عطف جملة فعلية على جملة اسمية ، وقيل انها معطوفة على آتيهاها : ولم يقف الأمر بالمفسر على النقل فقط بل نراه يرجح الأول بقوله « والأول أولى » . ثم ينتقل إلى قوله : « وكلا هدينا » حيث يعرب كلامه مفعولاً مقديما هدينا على سبيل القصر وكلمة « نوحاً » منصوبة بهدينا الثانية (٥)

وفي قوله تعالى : ( فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِينَ وَرَأَى إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) (٦) نرى الشوكاني ينقل آراء عديدة لعلماء مختلفين حول كلمة يعقوب من الآية فهو يخرج قراءة حفص وابن عامر لها بالنصب على أنها مفعول به لفعل يدل عليه

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) سورة المؤمنون آية ٥٥ .

(٣) تفسير البيضاوي ص ٤٥٦ .

(٤) سورة الانعام آية ٨٤ .

(٥) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٣٠ .

(٦) سورة هود آية ٧١ .

« فبشرناها » ثم ينقل ما يميزه الكسائي والأخفش و ابو حاتم من جواز أن يكون لفظ « يعقوب » في محل جر بينا الفراء لا يجوز الجر إلا باعادة الحرف<sup>(١)</sup> ثم يوالي الشوكاني استعراض الآراء حول هذه الكلمة فيذكر أن الباين قد قرأوها مرفوعة على أنها مبتدأ وخبره من وراء اسحق أو على أنه فاعل لفاعل محذوف تقديره « ثبت لها أو يحدث لها »<sup>(٢)</sup> .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة وهو منهج قد يختلف عما سبق نجده يتعرض لقوله تعالى : ( فَصَبِرْ جَمِيلٌ )<sup>(٣)</sup> فيعلل لرفع الكلمتين بكون كلمة جميل صفة للصبر ولو كان الصبر وحده لنصبوه كقولك صبراً لأنه في موضع اصبر ، وإذا وصفوه رفعوه واستغنوا عن موضع اصبر<sup>(٤)</sup> .

ونجده في قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ )<sup>(٥)</sup> يعلل لكون « لا ينفقونها » خبراً عن أحد الاثنين الذهب أو الفضة حيث لم يقل « ولا ينفقونها » بقوله : والعرب تفعل ذلك إذا أشرکوا بين اثنين قصرُوا فخبروا عن أحدهما استغناء بذلك وتخفيفاً لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر ، قال :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فاني وقيدار بها لغريب  
وقال أيضاً :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف<sup>(٦)</sup>

(١) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٤٨٦ .

(٢) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٣) سورة يوسف آية ١٨ ، ٨٣ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ج ١ ص ٣٠٣ مكتبة الخانجي .

(٥) سورة التوبة آية ٣٤ .

(٦) مجاز القرآن لابي عبيدة ج ١ ص ٢٥٧ .

هكذا ولم يكن المفسرون في كل ما ذكرناه يتعرضون للنحو في تفاسيرهم لمجرد استعراض له فقط أو لمجرد إيضاح لموقع الكلمة أو الجملة من الآية ، بل كانوا في بعض الأحيان يرتبون على الرأي النحوي وجهات متعددة في التفسير تقتضيها الاحتمالات النحوية التي يمكن أن تورد في الآية الواحدة فمن ذلك مثلا قوله تعالى: ( أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ) (١) فقد اختلف في الواو من قوله : ولا يخافون لومة لائم ما إذا كانت عاطفة أو للحال ، فإن كانت للحال كان المعنى أن هؤلاء يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين (٢) ويورد أبو السعود اعتراضاً على هذا الإعراب مفاده : أن الواو الحال لا تدخل على المضارع المنفي بلا أو ما لعدم دخولها على المثبت كما لا تدخل على المثبت (٣) وإما أن تكون الواو عاطفة لجملة لا يخافون على جملة « يجاهدون » والمعنى على هذا أنهم جامعون بين الصلابة في الدين والمجاهدة (٤) . وكقوله تعالى كذلك : ( وما تسقط من رقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا يابس إلا في كتاب مبين ) (٥) يحتمل هنا أن يكون الاستثناء وهو قوله تعالى : إلا في كتاب مبين بدل كل من « إلا يعلمها » والمعنى على هذا أن الكتاب المبين هو علم الله أو يكون بدل اشتغال على أنه عبارة عن اللوح المحفوظ (٦) وكقوله تعالى : ( فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ) (٧) فاحتمال كون الاستثناء

(١) سورة المائدة آية ٥٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٣٨ .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) نفس المرجع السابق ص ٣٩ .

(٥) سورة الانعام آية ٥٩ .

(٦) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١١٧ .

(٧) سورة الاعراف آية ١١ .

متصلاً أو منقطعاً ترتب عليه اختلاف في تفسير الآية فمن قال باتصاله : رُتّباً على ذلك أحد أمرين ، أولهما - أن إبليس متصف بصفات الملائكة حتى اعتبر واحداً منهم أو أن جنساً من الملائكة يتوالدون يقال لهم الجن ، وعلى انقطاعه يكون متصلاً بما بعده والمعنى على ذلك : فسجدوا لكن إبليس لم يكن من الساجدين . (١)

ولم يقف تأثير النحو في التفسير على ما ذكرنا بل كان المفسرون في بعض الأحيان يتخذون من الوجه النحوي دليلاً على تقديرات معينة في الآية لا يعينها السياق وذلك كما في قوله تعالى : ( هَاؤُمْ اقْرءُوا كِتَابِيَهٗ ) (٢) ففي تفسير أبي السعود لها نجد بعد أن تعرض لكلمة هاؤم وما فيها من لغات قد قدر لها مفعولاً على اعتبار أنها اسم فعل بمعنى خذ فقال في ذلك «ومفعوله محذوف وكتابه مفعول اقراءوا» ويعلل لهذه المفعولية باختيار أقرب الماملين ، ثم يستطرد في التعليل ويقول : ولأنه لو كان مفعول هاؤم لقبل اقراءوه إذ الأولى ضميره حيث أمكن (٣) .

وبتدبر ذلك نجد أن التعليل النحوي كان سبباً في توجيه الآية الكريمة وتفسيرها، وهذا يتبين لنا مدى ما كان للنحو من أثر جم في كتاب الله قد يعدله أثر هذا الكتاب فيه بما يؤيد ما قلناه من أن علم النحو كما قد أثر فيه غيره فإن غيره كذلك قد تأثر به وليس هذا عجيباً فعلم كهذا يعتبر من القرآن وللقرآن.

\* \* \*

---

(١) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٨٢ .

(٢) سورة الحاقة آية ١٩ .

(٣) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٩٠ .

## الفصل الثاني

### (١) اعراب القرآن

وكما عنى العلماء بتفسير القرآن وتجنيده القاعدة النحوية عنوا كذلك باعرابه وتبيان مواقع ألفاظه وآياته ، وهو أمر لم يكن أقل دلالة على الاهتمام بكتاب الله من تفسيره وشرح آياته وأحكامه ، فقد أنفق العلماء جهداً كبيراً في الحديث عن لغة القرآن وايضاح ما ورد فيه من تركيبات قد تبدو لأول وهلة أنها من الغموض في مكان ، مما يدعو إلى اعرابها وبيان مواقعها ليتضح من خلال ذلك معانيها وما ترمي إليه .

وليس الاعراب في حقيقته إلا المظهر الحي لعلم النحو وصناعته ، فقد كان وسيظل كذلك اعراب الكلمات بأي معنى تحتمله هذه الكلمة هو الهدف الحقيقي لهذا العلم العظيم ، وبدونه سيكون مجرداً عن أية فائدة حقيقية يمكن أن ننسبها إليه .

والاعراب كما قلت في غير هذا المكان من أهم ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات إذ بدونه تشبه الأساليب وتلتوي المعاني فلا تدرك مراميها وأبعادها ، وبذلك قد ينغلق على الناس فهم تراثهم الأدبي والتاريخي بل فهم قرآنهم وكتابتهم الكريم ، والاعراب كما يقولون فرع المعنى<sup>(١)</sup> وبدونه لا يتضح ما يهدف إليه الكلام أو ما يرمي إليه المتحدث أو المتكلم .

(١) البرهان ج ١ ص ٣٠٢ .

## القرآن الكريم والاعراب :

لا غرو بعد ذلك إذا رأينا العلماء ينكبون على القرآن ويعربونه ويبيّنون مواقع مفرداته ومركباته إيماناً منهم بأن هذا الصنيع لا يقل أهمية عن تفسير الكتاب وشرحه ، فهم بذلك يخدمون التفسير بالاعراب كما يخدم المفسرون العربيين بالتفسير فكما يكون الاعراب معيناً على فهم المعنى فقد تكون معرفة المعنى في أحيان أخرى معينة على الاعراب السليم .

وفي اعتقادي أن الاعراب هو تفسير لأننا عن طريقه نستطيع أن نصل إلى معان كثيرة من الآيات كما مثلنا .

ومن هنا يتضح لنا أن من أعرب القرآن أو من شارك في هذا الصنيع يعتبر قد خدم كتاب الله خدمة جلى لأن هذا الكتاب العظيم بحاجة إلى مثل هذا العمل لتتضح معانيه للناس ، وما أحوجهم إلى مثل هذا في كل زمان ومكان .

وليس أدل على حاجة القرآن للاعراب من اشتراط العلماء على المفسر إذا أراد أن يفسر معرفته بعلم النحو وفي ذلك يقول صاحب البرهان :  
وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة ويكون ذلك من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب وهو ما يتعلق بعلم النحو (١) .

متى أعرب القرآن :

إذا كان المعنى اللغوي والاصطلاحي للاعراب هو الافصاح والابانة

---

(١) البرهان للزركشي ج ٢ ص ١٧٣ بتصرف .

والإيضاح عن طريق اللفظ والشكل فليس بعد ذلك من شك بأن القرآن قد بدأ إعرابه عن طريق الصحابة الكرام ، وإذا كانت طريقة اعرابهم عن طريق اللفظ والتفسير فهذا لا يتنافى مع طريقة الاعراب التي عرفت فيما بعد : إذ تعتبر الطريقة الأولى مظهراً أولياً للاعراب يقتضيه الزمن الذي عمل على تطويره فيما بعد حتى وصل إلينا كما نعمده الآن ، وعليه أرى أن أمر الرسول الكريم باعراب القرآن في قوله : «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه» (١) أمر باعرابه أي : بالإبانة عن معانيه حسب الطريقة التي يقتضها الزمن والوقت . وهذا لا يتنافى مع الطريقة الاصطلاحية في الاعراب لأن هدف هذه الطريقة لا يتمدى أبداً الاضاح والإبانة ، وهما ما عناهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما قال : «لأن أعرب آية من القرآن أحب إلي من أن أحفظ آية» (٢) واعراب أبي بكر لا يتمدى في نظري احتمال أمرين أولهما : تفسير الآية ، بمعنى شرحها والثاني إيضاحها والإبانة عنها بالنطق السليم فإذا أدركنا أن الصحابة ومنهم أبو بكر لم يكونوا ليعنوا بالتفسير ، إذ كانوا يدركون أغلب المعاني بسلاقتهم ، فضلاً عن تخرجهم منه وحذرهم من الخوض فيه فإنه لا يبقى بعد ذلك في تفسير اعراب أبي بكر إلا الاتجاه بالقرآن الكريم إلى النطق الصحيح الذي لا لحن فيه وهو ما يعمل على إيضاح المعنى واستقراره في نفوسهم ، وهذا في اعتقادي ورأيي هو الهدف الأساسي للنحو وصناعته واعراب الألفاظ ومركباتها . وهو أمر إن لم يكن الصحابة ومن في عصرهم بحاجة إليه لأنهم فصحاء إلا أنهم كانوا يعيرون اللحن ويشنعون على صاحبه وهذا يعني أنهم يتوقعونه وطالما أنهم كذلك فلاغرابة في أن يدعو أبو بكر إلى توقيه باعراب القرآن والحرص على سلامة لفظه ونطقه .

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٧٥ ط ٣ مصطفى الحلبي .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

وعلى هذا يكون اعراب القرآن بمعناه اللغوي الذي لا ينفك عن المعنى الاصطلاحي قد وقع على أيدي الصحابة الأجلاء وبذلك يقول عمر : « من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد » (١) ويقول ابن عمر كذلك : أعرّبوا القرآن يدلّم على تأويله (٢) .

وأما السيوطي فيرى أن ما ورد من أحاديث حول اعراب القرآن لا تعني الاعراب الاصطلاحي إذ يقول في هذا الصدد : معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير ، لأن اطلاق الاعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث ولأنهم كانوا بسليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمه (٣) مع أنه في الوقت ذاته ينقل عن ابن النقيب قوله يجوز كون هذا الاعراب اعراباً صناعياً (٤) واني لأعجب أن يقع مثل ذلك من السيوطي لأن تعليقه المذكور يوحى بأن هناك تناقضاً بين التفسير والاعراب، مع أن المعنى اللغوي للاعراب وحتى الاصطلاحي هو البيان والافصاح بأي طريقة وهذا ما قاله في عبارته السابقة من الإشارة إلى أن الاعراب في الأحاديث بمعناه إرادة البيان ، وهمل الاعراب بمعناه الاصطلاحي إلا إرادة البيان كذلك . وماذا يمنع أن يكون الرسول قد استعمل لفظ « اعرّبوا » في الحديث إشارة منه إلى ما ستكون عليه طريقة الاعراب فيما بعد بناء على أنها ستكون واسطة لايضاح وبيان وتفسير القرآن ؟ لأن أمر الرسول عليه الصلاة والسلام لا يخص أناساً دون أناس في زمن دون زمن بل الأمر يشمل كل المسلمين في أي عصر من العصور وعليه : فاعراب القرآن إذا كان يتحقق في الزمن الأول عن طريق البيان والتفسير فلا مانع من أن

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٧٥ ط ٣ مصطفى الحلبي .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

يضاف إليه كذلك في العصور اللاحقة ضبط بالشكل وتبيان للألفاظ مبتدئاً ومفعولها وخبرها وحالها وفاعلها على أنه صورة من صور الاعراب بمعنى الايضاح والبيان وهذا هو ما ألقى بالفعل الضوء الساطع على تفسيره وتبينه وتوضيحه كما بينا في الحديث عن التفسير ومدى أثر علم النحو فيه .

### مظاهر اعراب القرآن :

لقد تبين لنا فيما سبق أن حاجة القرآن الكريم إلى الاعراب بمعناه الاصطلاحي لا تقل عن حاجته إلى الاعراب بمعنى التفسير والبيان ، فكل منها يكمل الآخر ويعتبر امتداداً له وعلى هذا فإني أعتقد بأن اعراب القرآن قد مر في مراحل ثلاث :

### الأولى :

ما سبق وأن ذكرناه من جريان ذلك على ألسنة الرسول والصحابة الكرام ولم يكن الاعراب في هذه المرحلة قد تخطى معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي فهو في هذه الفترة قد اتخذ معنى التفسير والايضاح عن طريق النطق السليم أو شرح الآيات وايضاها كما عني السيوطي أي أن ما جرى من اعراب أو بيان أو تفسير سواء على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام أو على لسان الصحابة الأجلاء ما هو في حقيقته إلا مرحلة مقدمة لاعراب القرآن اعراباً اصطلاحياً .

### الثانية :

لقد كانت المرحلة الثانية في اعراب القرآن هي نقطه وتشكيكه حيث كان

هذان الأمران هما الأساس الأول لوضع علم النحو بشكله الاصطلاحي الذي بين أيدينا كما أنها في الوقت ذاته اعراب مرحلي للقرآن الكريم إذ ليس الاعراب بمعناه الاصطلاحي إلا مانعاً من اللحن وما نقط القرآن وتشكيله إلا تحصيلنا له من اللحن في قراءة آياته الكريمة .

### الثالثة :

اتخذ اعراب القرآن في هذه المرحلة شكلاً يختلف عما اتخذ في المرحلتين الأولى والثانية ، فما أن أصبح النحو علماً له أصوله وقواعده حتى كانت الاعراب في ذاته هدفاً لهذه الأصول والقواعد ، وعليه وجدنا النحاة يعرفون علم النحو بأنه : علم يعرف به أواخر الكلمات من اعراب وبناء . ولما لم يكن اللسان العربي في هذه المرحلة قد تحسن عن ذي قبل بل ازداد انحرافاً ، وجدنا علم النحو بمعنى الاعراب يتجه إلى القرآن الكريم خدمة له وتوضيحاً لآياته الكريمة فكان أن نشأ عن ذلك مكتبة خاصة في إعراب هذا الكتاب العظيم حوت في جوانبها كثيراً من المصنفات التي دارت حول هذا الجانب مفتنة في انتقاء أفضل السبل وأحسنها في عرض هذا النوع من تفسير القرآن وتوضيحه .

ولقد كان إعراب القرآن في هذه المرحلة ذا صبغة نحوية بحتة ، حيث اتجه المعربون في ذلك إلى تبيان مواقع الكلمات في الآيات وتبيان فاعلها من مفعولها ومبتدئها من خبرها ومحذوفها من مذكورها وحالها من تمييزها كما اتجهوا إلى إعراب ما يبدو أنه مشكل في تركيبه أو ترتيبه ، فعرضوا ما رأوا واستعرضوا ما سمعوا ، فكانت لهم بذلك حصة عظيمة ليس للقرآن وتفسيره فحسب بل للغة ونحوها وصرفها وآدابها .

## (٢) كتب اعراب القرآن

لقد خاض كثير من العلماء في هذا الباب وألف فيه أكثر من واحد ، فكان للقرآن بذلك ثروة عظيمة تضم إلى ثروته في التفسير والفقہ والأصول والتوحيد ، فقد أعربه المكبري ، وعنى بذلك الحوفي ومكي<sup>(١)</sup> والنحاس والسمين الحلبي والزجاج وعز الدين بن عبد السلام ولقد أسهم كل هؤلاء وغيرهم في هذا الصنيع كما أنهم قد اختلفوا وتباينوا في النهج الذي سلكوه وإذا كان تناولنا لكل هذه المصنفات واستقصاء ما فيها أمراً قد يطول بنا ولا يعيننا منه الا أن نبين ما قد نستطيع تبيانه من خلال مصنفين أعرض لهما في هذا المجال ليلقيا لنا ضوءاً على ما نهدف إلى القول عنه وهو أن القرآن قد أعرب وأن القاعدة النحوية قد جندت في هذا السبيل فأدت ما أريد منها فإني أجتريء القول عنها باختبار مؤلفين قد اختلفا في منهجها ، وطريقتها. فأما الكتاب الأول فهو « اعراب القرآن » للزجاج والثاني كتاب « الفوائد في مشكل القرآن » لعز الدين بن عبد السلام .

### أ - كتاب « اعراب القرآن » للزجاج :

يعتبر هذا الكتاب من أشهر الكتب المتداولة في هذا الباب بين الناس ولقد تشكك كثيرون في نسبته إلى الزجاج ، ويبدو أن ما بدا عليه الكتاب وما ظهر فيه من عبارات وتقول يدل دلالة واضحة على أنه ليس للزجاج بالفعل وإنما هو لشخص آخر يعتقد فيه الاستاذ الابياري محقق الكتاب أنه مكي بن أبي طالب لأسباب قوية سردها في تعليقه على هذا الكتاب ولا يعيننا

(١) الاتقان ج ١ ص ١٢٩ .

منها إلا أنها بالفعل ترجح نسبة الكتاب إليه وتقويها ، وإذا كان ما يعيننا هنا أكثر من ذلك فهو أن منهج الكتاب قد دار حول القرآن الكريم وتحليل آياته من خلال القواعد النحوية .

فقد احتوى هذا المصنف الذي طبع أخيراً في أجزاء ثلاثة على تسعين باباً جعل فيها الجزئية النحوية أو الظاهرة عنواناً لكل باب منها كقوله مثلاً : هذا باب ما جاء في التنزيل من حذف واو العطف<sup>(١)</sup> وقوله : هذا باب ما جاء في التنزيل بما صار فيه المضاف إليه عوضاً عن شيء محذوف<sup>(٢)</sup> .

### نماذج لما تناوله الكتاب :

تحدث صاحب الكتاب في الباب الأول عن اضرار الجمل وما ورد منه في القرآن الكريم واستشهد لذلك بما يزيد عن مائة مثال قرآني منها قوله تعالى : ( بسم الله الرحمن الرحيم )<sup>(٣)</sup> قدر المحذوف في ذلك أبدأ باسم الله أو بدأت باسم الله أو أبدأ باسم الله ، وأضمر فيها قوم اسماً مفرداً تقديره : ابتدائي باسم الله<sup>(٤)</sup> ولم يكتف صاحب الكتاب بتقدير المحذوف بل استطرد في ذلك ، وقدم لنا الوجوه الإعرابية التي يراها في ذلك فقال على التقدير الأخير : وهو أن المحذوف : ابتدائي باسم الله . فيكون الطرف خيراً للمبتدأ<sup>(٥)</sup> .

وإذا قدرت أبدأ أو بدأت يكون باسم الله في موضع النصب مفعولاً به<sup>(٦)</sup> ويمثل لهذا الباب كذلك بقوله تعالى : ( قَالُوا لَوْ أَن لِي بِكُمْ

(١) اعراب القرآن ج ٢ ص ٨٠٣

(٢) نفس المرجع ص ٨١٧

(٣) فاتحة الكتاب آية ١

(٤) اعراب القرآن ج ١ ص ١٢

(٥) اعراب القرآن ج ١ ص ١٢

(٦) نفس المرجع السابق .

قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (١) فجواب لو محذوف وتقديره لو أن لي بكم قوة ... لالتجأت إليها (٢) .

وفي الباب الثاني والعشرين وهو باب ما جاء في التنزيل من ( هو وأنت ) فصلاً : يمثل صاحب الكتاب لذلك بقوله تعالى ( إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ) (٣) ، ويعرب الآية كما يأتي : الكاف اسم ان وأنت مبتدأ وما بعده خبر والجملة خبر إن (٤) .

ويلم بوجه آخر فيقول : ويجوز أن يكون أنت فصلاً في الكلام والخبر العليم : كما يعرض علينا رأياً ثالثاً يقول فيه أو ويجوز أن تكون أنت نصباً صفة للكاف وان كان ضميراً مرفوعاً (٥) .

ويذكر في هذا الباب قوله تعالى : ( السُّلَيْمِيُّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ) (٦) ويروى أن هو في هذه الآية تعرب فصلاً وصفة (٧) وهو يقصد بكلمة صفة : التوكيد .

في الباب السادس والعشرين وهو باب ما جاء في التنزيل من العطف على الضمير المرفوع نراه يمثل لذلك بقوله تعالى : ( فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمِيرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ) (٨) ويقول في ذلك : ان ما بعد الواو وهو من معطوف على الضمير في استقم ويجوز أن تكون من في موضع النصب مفعولاً معه (٩) .

(١) سورة هود آية ٨٠

(٢) اعراب القرآن ج ١ ص ٣٠

(٣) سورة البقرة آية ٣٢

(٤) اعراب القرآن ج ٢ ص ٥٣٩

(٥) اعراب القرآن ج ٢ ص ٥٣٩

(٦) سورة الانفال ٣٢

(٧) اعراب القرآن ج ١ ص ٥٤١

(٨) سورة هود ١١٢

(٩) اعراب القرآن ج ٢ ص ٥٩٩

في الباب الستين : وهو باب ما جاء في التنزيل من أن واو الحال تدخل على الجملة من الفعل والفاعل : ويمثل لذلك بقوله تعالى : ( قَالَا قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ ) (١) وذلك بدخول واو الحال على جملة ولا تتبعان (٢) .

ويمثل كذلك بقوله تعالى : ( الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ) (٣) ويقول في ذلك : يجوز أن يكون حالاً من الباغين أي يصدون باغين ويجوز أن يكون حالاً من السبيل (٤) .

وفي الباب الثاني والسبعين وهو باب ما جاء في التنزيل وقد أبدل المستثنى من المستثنى منه ، يمثل لذلك بقوله جل وعلا ( مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ) (٥) فيقول في ذلك : رفعوا قليلاً بالبدل من الواو في فعلوه وبقوله تعالى كذلك ( وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ) (٦) ويقول في ذلك : رفعه ابن كثير وأبو عمرو على البدل من أحد (٧) .

وهكذا باستعراض ما قد مثلنا به مما يصح أن يقاس عليه ما في الكتاب نخرج بالملاحظات الآتية :

أولاً : لم يلجأ صاحب الكتاب إلى إعراب كل كلمة في الآية كما يوحى به عنوان الكتاب أو كما يجب أن يكون عليه الإعراب بل وجدناه يثقل للقاعدة

- 
- (١) سورة يونس ٨٩
  - (٢) اعراب القرآن ج ٣ ص ٨٢٢
  - (٣) سورة الاعراف ٤٥
  - (٤) اعراب القرآن ج ٣ ص ٨٢٣
  - (٥) سورة النساء آية ٦٦
  - (٦) سورة هود آية ٨١
  - (٧) اعراب القرآن ج ٣ ص ٨٦١

النحوية بما يحضره من الآيات الكريمة .

ثانياً : لم يقتصر الكتاب على قواعد نحوية (١) بل أضاف إلى ذلك بعض القواعد الصرفية ويتمثل هذا في الأبواب الخامس والستين وهو في النسب والسابع والستين وهو ما جاء على وزن مفعول ويراد به المصدر والرابع والسبعين وهو ما خرج على أبنية التصريف والخامس والسبعين في القلب والابدال وغير ذلك .

وفي الكتاب كذلك أبواب لغوية كاللباب الثامن والأربعين وهو باب ما جاء في التنزيل من الجمع الذي يراد به التثنية ومنها كذلك أبواب تختص بالقراءات . كاللباب الحادي عشر الخاص بالاشمام والروم كاللباب السابع والثمانين الذي خصصه المؤلف لعرض القراءة التي رواها سيديويه في كتابه (٢) .  
ثالثاً : نستخلص من هذا كله أن كتاب اعراب القرآن المنسوب للزجاج رغم ما قيل فيه من تشكيك ونقد كتاب قيم شامل له مكانته العظيمة في المجال الذي شهر فيه وعرف به وهو القرآن وإعرابه .

ب - كتاب : الفوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبد السلام .

لم يكن اختياري لهذا الكتاب من دون الكتب التي تحدثت في إعراب القرآن فقط وشهرت بذلك محض صدفة ومصادفة بل قصدت أن أبين بالتحدث فيه أن من الكتب التي تكلمت في إعراب القرآن كتباً لم تختص بذلك فقط ، بل تضمنته زيادة على تبيان مشكله وغرائبه وبلاغته .  
وهذا الكتاب رغم تعدد مباحثه ، إلا أنه يعتبر في اعراب القرآن وتبيان

(١) تعليق الاستاذ الابياري على الكتاب ج ٣ ص ١٠٩٤

(٢) اعراب القرآن ج ٣ ص ٩٣٥

وجوهه اللغوية النحوية من أعظم الكتب وأروعها ، ولا أبالغ إذا قلت بأن الناحية الاعرابية لآيات القرآن تكاد تغلب فيه على كل جانب آخر ، ومن هنا يحق لنا أن نعتبر هذا الكتاب من كتب اعراب القرآن التي لها مكانتها وان لم تمحض لذلك .

فالكتاب يشتمل على جزء واحد فقط اعتمد فيه المؤلف على عرض سور القرآن مرتبة من الفاتحة إلى سورة الناس ، وقد تعرض لكل سورة على حدة حيث اقتصر منها على كل آية يبدو أنها تضمنت إشكالاً ما، سواء في تفسيرها أو بلاغتها أو تركيبها اللغوي والنحوي .

وقد اعتمد في تبيان هذه الاشكالات وايضاها على طريقة السؤال ثم الاجابة ثم الاستطراد بعرض الفوائد التي يشتمل عليها القول في هذه الآيات ، ولا تكاد آية من الآيات التي تعرض لاشكالاتها تخلو من توضيح لغوي أو اعراب نحوي أو ما إلى ذلك ، وهو ما يعيننا في هذا المجال .

### نماذج لما تناوله الكتاب :

١ - من سورة بني إسرائيل يختار قوله تعالى : ( كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) (١) ويقول : ان حسيباً منصوب على التمييز ، ثم يورد سؤالاً مؤداه : إذا كان حسيباً تمييزاً ، وكفى فعل يأخذ مفعولين ، فأين مفعولاه ؟ ، وما تقديرهما ؟ فيجيب عن ذلك بقوله : انه كان أصل الكلام : كفتك نفسك محاسبة غيرها ، فهذان مفعولان فزيدت الباء للتأكيد مثل : كفى بالله شهيداً ، وحذف المفعول الأول لأنه معلوم والثاني للدلالة التمييز

(١) سورة بني اسرائيل آية ١٤

عليه (١)

٢ - ونراه في السورة نفسها يتعرض لاعراب أحدهما أو كلاهما في قوله تعالى : ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغْنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهِمَا ) (٢) فيقول : قالوا أي النحاة : اعراب احدهما بدل من الضمير في يبلغن ولم يقف المؤلف عند هذا لأنه رأى في هذا الاعراب اشكالا دعاه لأن يقول عنه : وهو « أي ذلك الاعراب » مشكل لأن المستتر ان كان جمعا أشكل ابدال الواحد منه لأن بدل البعض من الكل يبين أن الكل ليس مراداً وان كان المستتر موحداً أشكل ابدال الثنية منه لأن الأكثر لا يبدل من الأقل (٣) .

٣ - وفي سورة القيامة كذلك يتساءل عن معنى اللام في قوله تعالى : ( بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ ) (٤) مع كون الفعل لا يتعدى باللام وإنما يتعدى بنفسه : وللإجابة على ذلك نرى المؤلف يعرض رأي الفراء في ذلك وهو أن اللام مع الارادة تكون بمعنى أن (٥) .

٤ - في سورة الزخرف يتعرض المؤلف للوجوه الاعرابية التي في كلمة : وقيله من قوله تعالى : ( وَقِيلِهِ يَا رَبِّ ) (٦) فنراه يذكر بأنها تقرأ بالوجوه الثلاثة : الرفع والنصب والجر : ولم يكتف المؤلف بذلك بل وجدناه يخرج كل وجه من هذه الوجوه فيوجه الرفع على أنه مبتدأ وخبره يا رب ، والنصب

(١) الفوائد في مشكل القرآن ص ١٠٢

(٢) سورة الامراء آية ٢٣

(٣) الفوائد في مشكل القرآن ص ١٠٤

(٤) سورة القيامة آية ٥

(٥) الفوائد في مشكل القرآن ص ١٧٦

(٦) سورة الزخرف آية ٨٨

بتقدير فعل تقديره : قال أو بالعطف على سرهم ونجواهم من قوله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وأما الخفض فهو على القسم أو على الساعة من قوله تعالى : ( وعندنا علم الساعة ) (١) .

٥ - وفي سورة الممتحنة يتعرض المؤلف لقوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوتي وعدوكم أولياءً تلقون إليهم بالمودة ) (٢) ويبدأ البحث فيها بأعراب الفعل تلقون الوارد فيها فيقول : ويجوز في تلقون أن يكون حالاً من فاعل تتخذوا ويجوز أن يكون استثناءً (٣) .

ولم يقف به الحد عند الأعراب فقط بل تعداه إلى الترجيح إذ قال : والاستئناف أحسن (٤) ثم يعلل ترجيحه للاستئناف على الحالية في هذه الآية مع ترجيحه الحالية على الاستئناف في قوله تعالى : ( وأنا أعلمُ بيماً أخفئسُهمُ ومنا أعلنسُهمُ ) (٥) بعد قوله : ( تلقون إليهم بالمودة ) فيقول : أنا لو جعلنا الأول حالاً لكان معناه : لا توالم ملقين إليهم فيدل بمفهومه على جواز الموالاة عند عدم هذه الحال والموالاة لا تجوز مطلقاً . وأما إذا جعلنا الثاني حالاً كان أبلغ في تنفير العباد عن موالاتهم كما لو قال أحداً لغيره : أنضرب ولدي وأنا أنظر (٦) .

وبهذه الطريقة الفذة وجدنا المؤلف يعرض لإعراب القرآن قارناً ذلك بالتعليل والتحليل واستعراض ما قيل من وجوه مع الترجيح المدعم بالأدلة العقلية والقياسية .

(١) الفوائد في مشكل القرآن ص ١٥٨

(٢) سورة الممتحنة آية ١

(٣) الفوائد في مشكل القرآن ص ١٦٨

(٤) الفوائد في مشكل القرآن ص ١٦٨

(٥) سورة الممتحنة آية ١

(٦) الفوائد في مشكل القرآن ص ١٦٨ ، ١٦٩

## الفصل الثالث

### آيات القرآن الكريم

#### في مجال الخلاف على إعرابها بين النحويين

لم يكن القرآن الكريم فقط وسيلة لاستشهاد النحاة به على صحة قواعدهم التي يرونها أو أدلة يتخذون منها سنداً لإثبات آرائهم ونظرياتهم ، فهو زيادة على ما ذكرنا كانت آياته مجالاً واسعاً للقول فيها وإبداء الرأي حولها، سواء في معناها كما ظهر في التفسير أو في تركيبها وإعرابها كما ظهر في الإعراب وإذا كان العلماء قد أفردوا للإعراب والتفسير مصنفات خاصة يعربون فيها القرآن ويفسرون ويوضحون ما أشكل فيه ، فقد وجدنا كذلك آراء فردية أو جماعية أبدت حول آيات من القرآن الكريم كان النحاة يبدون فيها ما يرون من إعرابات قد يتفرد بها واحد منهم أو يوافقه على ما يراه آخرون أو يخالفونه فيه مما يجعلنا نقول بأن الآيات الكريمة كما كانت شواهد قوية لتأييد القواعد فهي أيضاً مجال خصب للحديث في ذاتها من حيث تركيبها ومواقع ألفاظها ولبيان ذلك نفصل القول بما يلي :

تنقسم الآيات باعتبار ما رئي فيها من آراء قسمين وهما :

١ - آيات رثيت فيها آراء فردية .

٢ - آيات رثيت فيها آراء جماعية مختلفة أو متفقة .

فمن النوع الأول مايلي :

١ - قوله تعالى : ( وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ) (١)

يروى أكثر النحاة أن عيوننا تمين وقد خالف في هذا الإعراب الشلوبين حيث يرى فيها أنها حال (٢) وليست تمييزاً وينفرد آخر وهو ابن الربيع الأموي برأي ثان وهو أنها بدل من الأرض (٣) .

٢ - قوله تعالى : ( إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى ) (٤)

يرى قطرب أن « إن » في الآية الكريمة بمعنى قد أي قد نفعت الذكرى (٥) ويرى الفراء أنها هنا ليست بمعنى قد لأنها في نظره لا تكون كذلك إلا إذا دخلت معها اللام أو الأمثل : إن قام لعبد الله والآ إن قام عبد الله وذلك على معنى قد قام عبد الله (٦) .

ويوافق ابن الشجري قطرباً على ذلك (٧) .

ومن الآيات الكريمة التي دارت حولها آراء جماعية عديدة قوله تعالى :  
( لَأُقْسِمُ بِبَيْتِومِ الْقِيَامَةِ ) (٨) فالكسائي يرى أن « لا » زائدة ومعنى الآية أقسم بيوم القيامة (٩) ويؤيد رأي الكسائي في هذا قراءة قوية وهي

(١) سورة القمر آية ١٢

(٢) الهمع للسيوطي ج ١ ص ٢٥١

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) سورة الاعلى آية ٩

(٥) المغني لابن هشام ج ١ ص ٢٦

(٦) الاضداد لابن الابناري ص ١٨٩، ١٩٠

(٧) البرهان ج ٤ ص ٢١٨

(٨) سورة القيامة آية ١

(٩) الاضداد ص ٢١٥

لأقسام (١) وقد اختلف في الغرض من زيادتها ، فمن قائل : إنها للتوكيد ، ومن قائل أنها موطئة وممهدة لنفي الجواب (٢) وهو « لا يتركون سدى » وقد رد هذا بأن جوابه مثبت وهو : لقد خلقنا الإنسان في كبد .

ويرى آخرون أنها نافية وليست زائدة ، ومن هؤلاء الفراء الذي يقول بأنها ليست زائدة لوقوعها في بداية الكلام فهي بذلك رد على الكفار الذين جعلوا لله ولداً وشريكاً وصاحبة وعندما رد عليهم قال : لائم ابتداءً بقسم وهو قوله : أقسم (٣) .

وقيل إن الله رد بها على من أنكر البعث ثم أقسم (٤) .

ومن رأى أنها نافية الزخشري ومنفيا في رأيه القسم أي : أن الإقسام لعظيم وليس المقسم به بحاجة إلى ذلك (٥) .

ويميز الحارزنجي اعتبار لابعنى الاستثناء أي : أصلها إلا حيث حذفتم الهزة وبقيت لا (٦) وهذا رأي غريب وبعيد كما يبدو .

ولعلنا بهذا القدر من الأمثلة قد بينا أن الآية الكريمة لم يقتصر الحديث عنها في المصنفات التي فسرت أو أعربت بل خرجت عن نطاق التصنيف إلى الآراء الفردية أو الجماعية كما ذكرنا .

وهنا وبعد كل ما عرضناه في الأبواب السابقة والفصول المتقدمة نتساءل

(١) البرهان ج ٤ ص ٣٥٩

(٢) المغني ج ١ ص ٢٤٩

(٣) الاضداد ص ٢١٥ ، ٢١٦

(٤) المغني ج ١ ص ٢٤٩

(٥) نفس المصدر السابق .

(٦) البرهان ج ٤ ص ٣٦٠

غما إذ كان من الجائز أن نقول بأن هناك نحواً قرآنياً كما يقول البعض (١) .  
ولست في الواقع أرى استساغة القول بوجود نحو قرآني لمجرد أن آيات  
القرآن قد بنيت عليها قواعد وأصول نحوية أو أنها كانت شواهد وأدلة على هذه  
القواعد والأصول كما يقول الدكتور عبد الغال سالم في صدد حديثه عن المقصود  
بالنحو القرآني ما نصه : أقصد أن القرآن الكريم قامت على أساسه قواعد  
وبنيت على نهجه أصول (٢)

ونحن إذا سلمنا بذلك وأن نوعاً من النحو قرآني كان لزاماً علينا كذلك أن  
نسلم لمن يقول بأن هناك كذلك نحواً شعرياً لأن الشعر كذلك قد قامت عليه  
قواعد وأصول كما أن كثيراً من قواعد النحو قد استدلت لها بالشعر .

وعلينا في الوقت نفسه أن نستسيغ قول من يقول بأن هناك نحواً حديثياً  
نسبة إلى الحديث الشريف على اعتبار أن بعضاً من أحاديث الرسول الكريم قد  
قامت عليها هي الأخرى أصول نحوية ، كما استدلت بها كذلك على قواعد  
وجزئيات مختلفة لنحاة متنوعين .

ثم ما وجه الحاجة بنا إلى القول بأن من النحو ما هو قرآني إذا كان  
النحو كله أو معظمه قام على القرآن وبالقرآن ومن أجل القرآن ، فعلى ذلك  
فالنحو كله قرآني ، وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة إلى تمييزه بهذا الوصف  
لأن مثل هذه التعبيرات توحى بأن النحو يتنوع بتنوع ما يقوم عليه من أصول  
وأدلة ، وليس هذا من الصحة في شيء ، فالنحو نحو واحد سواء اعتمد على  
القرآن أم على كلام العرب أم على حديث الرسول ﷺ ، وكل ما هنالك أن

---

(١) هذا ما يقول الاستاذ الابياري والدكتور عبد الغال سالم ، الاول في تعليقه على  
كتاب اعراب القرآن ج ٣ ص ١٠٩٥ والثاني في كتابه : القرآن الكريم وأثره في  
الدراسات النحوية ص ٣٠٦

(٢) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٣٠٦

القاعدة تتنوع باعتبار دليلها وشاهدها فهناك القاعدة القوية والقاعدة الضعيفة،  
وضعفها وقوتها باعتبار ما اعتمدت عليه في بنائها وتركيبها .

وعلى هذا ورغم ما كان للآية الكريمة من أثر في بناء القاعدة أو تثبيتها أو  
من أثر في استقطابها للنحاة ودورانهم حولها يعربونها ويبينون مواقع اعرابها ،  
فإن كل هذا لا يبرر أن يكون للنحو أنواع وأصناف ، فالقاعدة التي يحكمها  
المفسر في تفسيره والفقهاء في فقهه ومعرب القرآن في اعرابه هي نفس القاعدة  
التي يحكمها شارح الشعر ومعرب النثر ، وكما أعرب القرآن كذلك أعربت في  
الوقت نفسه دواوين الشعر وأقاويل الكتاب .



# الباب الرابع

## القراءات والنحو

### وفيه فصول

الفصل الأول : القراءات وحقيقة الحروف السبعة

الفصل الثاني : علاقة القراءات بالنحو

الفصل الثالث : القراءات وأثرها في بناء القواعد النحوية

الفصل الرابع : النحو والقراءات الشاذة



## القراءات والنحو

### تمهيد :

قد يبدو للناظر أول وهلة أن الحديث في القراءات ومدى أثرها في النحو تكرر لما قد قيل في أثر القرآن نفسه في هذا العلم على اعتبار أن القراءات هي القرآن ، والقرآن في قراءاته ، وليس هذا صحيحاً فالحديث في القرآن يختلف عن الحديث في القراءات وهي وإن كانت من القرآن إلا أن هناك فرقا بينها وبينه ، فنحن عندما نتحدثنا عن القرآن وأثره تناولنا في ذلك القرآن من حيث آياته والاستشهاد بها وعلاقة القرآن ككل في نشأة هذا العلم وعلمائه ومناظراته ومذاهبه وحينما نتحدث عن القراءات في هذا الصدد فحديثنا فيها يتناول ما قد ترتب على طريقة اللفظ في الآية الواحدة وليس الحديث فيها عن الآية بشكل عام وما فيها من تركيب يشتهر به على قاعدة أو نظرية نحوية ، لأن القراءات في واقعها لم تتناول الآية ككل بل تناولت الألفاظ التي تتركب منها هذه الآية .

ولست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات إذ لا بد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً ، غير أن الاختلاف رغم هذا يظل موجوداً بينهما بمعنى أن كلا منهما شيء يختلف عن الآخر بحيث لا يقوى التداخل بينهما على أن يجعلها شيئاً واحداً ، فما القرآن إلا التركيب واللفظ وما القراءة إلا اللفظ ونطقه والفرق بين هذا وذاك واضح وبين<sup>(١)</sup> .

(١) البرهان ج ١ ص ٣١٨ .

ولعل قول الزركشي في هذا الصدد بأن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان<sup>(١)</sup> خير دليل على التغاير الذي أشرنا إليه بين القراءة والقرآن وهذا ما يجعلنا نفرّد هذا الباب في الحديث عن القراءات وأثرها في النحو على أن هذا الأثر يختلف عن أثر القرآن رغم وجود علاقة وثيقة وأكيدة بينهما كما أشرنا مما لا يمكن أن ننكره بأي حال من الأحوال .

\* \* \*

---

(١) نفس المرجع السابق .

## الفصل الأول

# القراءات وحقائق الحروف السبعة

### حقيقة القراءات :

القراءات هي تلك الوجوه اللغوية والصوتية التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيراً وتخفيفاً على العباد .

ولقد شهر من هذه القراءات سبع نسبت إلى : عبد الله بن كثير ونافع بن نعيم ، وعبد الله بن عامر اليحصبي ، وأبي عمرو بن العلاء ، وعاصم بن بهدلة الاسدي ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعلي بن حمزة<sup>(١)</sup> .

وتأتي بعد هذا قراءات ثلاث تضم إلى السبع المذكورة فتصبح القراءات المعتمدة عشر قراءات على بعض الآراء، وما عدا هذه القراءات كلها تعتبر شاذة لم تصل في صحتها إلى ما وصلت إليه تلك القراءات العشر أو لم تتوفر فيها شروط القراءة الصحيحة<sup>(٢)</sup> .

### القراءات وحديث الحروف السبعة :

اشتهر من القراءات كما قلنا سبع قراءات ، ولعل تداول هذا العدد في

(١) البرهان ج ١ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٢) الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٨١ .

موضوع القراءات جعل الناس يربطونه ويستدلون عليه بقول الرسول عليه الصلاة والسلام « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه »<sup>(١)</sup>. وفي الغالب لم ينل هذا الربط والاستدلال من العلماء إلا النفي والاستنكار وتجهيل من يورد مثل هذا القول أو يقربه : وقد ذهبوا في تفسير الحروف السبعة مذاهب وآراء شتى قد تبلغ الأربعين<sup>(٢)</sup> .

فأما كون الحديث لا علاقة له بالقراءات وليس في العدد « سبعة » ما يدل على كون المقصود به القراءات السبع فهذا قول لا نستطيع رده ولا نمك فيه إلا أن نوافق من ذهب إليه للأسباب الآتية :

١ - اتفاق معظم العلماء على انكار كون الحروف السبعة قراءات سبعة ، بل لم يقتصروا على الانكار ، بل تجاوزوه إلى تجهيل من يقول به وتغليظه وتخطئته إذ يقول مكي في ذلك : « من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأمثالهم هي الأحرف السبعة التي في الحديث ، فقد غلط غلطاً عظيماً »<sup>(٣)</sup> .

ويقول أبو شامة في هذا الصدد كذلك « ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل »<sup>(٤)</sup> .

٢ - القراءات المتداولة أكثر من سبع ، بل أكثر من عشر سواء ، ما صح منها أو ما فسد ، وهو ما يتنافى مع العدد ، ودلالته في الحديث الشريف .

٣ - لا توجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل<sup>(٥)</sup> وذلك

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٣٢٢ للمحافظ المنذري تحقيق الالباني ط الكويت .  
(٢) الاتقان ج ١ ص ٤٥ مباحث علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ١٠٣ .  
(٣) الاتقان ج ١ ص ٨٠ ، ٨١ .  
(٤) الاتقان ج ١ ص ٨٠ الفرقان لابن الخطيب ص ١٣١ ،  
(٥) الاتقان ج ١ ص ٤٦ .

مثل : ( وَعَبَسَدَ الطَّاغُوتَ ) (١) وكذلك : ( فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ ) (٢) .  
ونحن إذا ما تتبعنا ما قيل في تفسير معنى الحروف السبعة الواردة في الحديث  
وجدناها كثيرة ولكن أهمها ما يلي :

أ - سبعة حروف أي : قراءات .

ب - سبعة حروف أي : سبعة وجوه من المعاني المتفقة للألفاظ المختلفة .

ج - سبعة حروف أي : لهجات .

د - سبعة حروف أي : أصناف .

هـ - سبعة حروف أي : وجوه وأنواع من الشكل والتغيير .

فأما الأول فقد تعرضنا له وأثبتنا بأنه لا دلالة في الحديث عليه ، وأما  
الثاني ، فقد رآه من العلماء كثيرون وقد استدلل له السيوطي بأحاديث كثيرة  
وأقوال عديدة للصحابة مجوزة قراءة اللفظ بمعناه طالما أن هذه القراءة لا تخلط  
رحمة بمعذاب ولا عذابا بمغفرة (٣) .

وفي الواقع أن لهذا الرأي خطورته وأبعاده التي قد لا تحمد إذ تنضمن  
إباحته قراءة اللفظ القرآني بمرادفه جواز قراءة القرآن بالمعنى وفي هذا من الخطورة  
على القرآن وتحريفه ما لا يخفى .

وإلى هذا المعنى يشير أحد المستشرقين بقوله : «إن نظرية قراءة القرآن بالمعنى  
كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية لأنها أسلمت النص القرآني إلى  
هوى كل شخص» (٤) .

(١) سورة المائدة آية ٦٠

(٢) سورة الاسراء آية ٢٣

(٣) اتقان القرآن ج ١ ص ٤٧ .

(٤) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبيحي الصالح ص ١٠٧

وأما الرأي الثالث وهو تفسير الحروف باللغات أو اللهجات أي أنه نزل بلغات عربية سبع وهي لغة قريش وهذيل وتميم والازد وربيعة وهوازن وسعد ابن بكر (١) ، فإن اعتراضاً ما قد يرد عليه وهو أن تخصيص الحروف بسبعة لا أقل ولا أكثر يردده كون لغات العرب أكثر من ذلك (٢) .

وقد يدحض هذا الاعتراض القول بأن المراد في الحديث أفصح اللغات وأن العدد على حقيقته أو أن العدد لا يراد به معناه الوضعي وإنما جاء به للدلالة على الكثرة وذلك على عادة الساميين في استعماله دالاً عليها (٣) .

فلا يكون العدد سبعة إذن مقصوداً لذاته ، بل ليراد منه أن القرآن نزل بلغات كثيرة انتشرت فيه : ولا يعني هذا أن كلمة من القرآن تقرأ بسبع لغات أو بأكثر ، بل يعني كما أورد السيوطي في اقتانسه على لسان أبي عبيد : « إن هذه اللغات متفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن إلى آخر ذلك » (٤) .

وفي رأبي أنه لا يمكن أن يكون معنى اليسر المقصود من إباحة قراءة القرآن بسبعة أحرف جواز قراءة العربي له بلغته التي يتقنها بحجة أن لغة واحدة قد تعسر عليه ، إذ ليس من المعقول أن يكون نطق العربي من أمة قبيلة كانت لأي لفظ قرآني بلغة قريش أمراً صعباً يعز على لسانه أن يأتيه وذلك للأسباب التالية :

١ - فصاحة العربي تأبى عليه اللحن ، ولكن لا يعني ذلك عجزه عن النطق بلهجة عربية أو بلغة أخرى وبخاصة إذا كان يدين لها بأمر مقدس .

(١) الاتقان ج ١ ص ٤٧

(٢) الاتقان ج ١ ص ٤٧

(٣) أصول اللغة والنحو للدكتور فؤاد حنا ترزي ص ٣٠

(٤) الاتقان ج ١ ص ٤٧

٢ - لم تكن اللهجات العربية متباعدة بعداً يجعل استعمال قبيلة لغة قبيلة أخرى أمراً متعذراً .

٣ - لا بد وأن من العرب من كان يستطيع التكلم بلغة غير العربية نتيجة لرحلاتهم التي كانوا يرحلون فيها ويختلطون فيها بغيرهم فمن يستطيع أن يتقن لغة لا يعجزه أن يعرف لهجة .

٤ - ليس من السائغ بل ليس من المسموع أن تنطق كلمة قرآنية بما يراد فيها إذ لا يعقل أن تستبدل كلمة سجي مثلاً في قوله تعالى ( واللَّيْلُ إِذَا سَجَى )<sup>(١)</sup> بكلمة هدا .

٥ - كتابة القرآن كانت بطريقة واحدة فلا يمكن أبدأ أن يكتب بلهجة وطريقة معينة ثم يباح من جانب آخر أن يقرأ بطريقة أخرى لأن هذا يعتبر باباً للتحريف له أخطاره وأبعاده .

٦ - كلمة أنزل في الحديث تفيد أن انزاله من عند الله ، ولم ينزله الله جل وعلا إلا بلغة واحدة وهي لغة قريش ، ولم يكن الرسول كذلك يقرأه بلغات عربية متعددة بل كان يقرأه باللغة التي أنزل عليها وإن كان قد ثبت عنه قراءته بوجوه عديدة وهو ما نسميها بالقراءات . ولكنها ليست لغات وهذا ما نريد أن نتوصل إليه .

٧ - إذا كان العرب في سوق عكاظ يحاولون الحديث والكلام بلغة قريش ، فما العسرة التي سبلاقونها في قراءة القرآن بنفس اللغة التي يتحدثون بها في عكاظ . وعلى هذا فما وجه التيسير عليهم في ذلك ؟ فالعربي الذي يستعمل لهجة قريش في سوق عكاظ لا يعجزه أن يقرأ القرآن بلغتها .

وأما الرابع وهو كون المقصود بالحروف ، الأصناف أي أن القرآن

(١) سورة الضحى آية ٢

أنزل على سبعة أصناف وقد اختلف في تعيينها فمنهم من قال أن السبعة هي الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال (١) .

ومنهم من قال إنها الأمر والزجر والترغيب والترهيب والجدل وحكمة ومثل ، أو ظهر وبطن وفرض وندب وخصوص وعموم وأمثال (٢) إلى آخر ما قيل في هذا .

وأما الرأي الأخير وهو كون المقصود بالحروف السبعة سبعة أوجه من الشكل والتغيير فقد لقي كثيراً من تأييد العلماء محدثين أو قداماء .  
وخلصته أن القرآن أنزل على سبعة وجوه وأشكال في اللفظ أو التركيب الواحد بحيث يستطيع كل إنسان أن يقرأ بها ، ولن يخرج نطقه عن نطاق هذه الوجوه السبعة وهي كما يلي (٣) .

أولاً : الاختلاف في إعراب الكلمة أو ضبطها بشكل لا يغير صورتها ولا يس معناها في قوله تعالى : ( هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) (٤) فقد قرئت بنصب أطهر كما قرئت برفعها وكقوله كذلك ( هل نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرُ ) (٥) وقد قرئت وهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرُ (٦) .

ثانياً : الاختلاف في إعراب الكلمة وضبطها بما يغير معناها ، ولكن لا يزيل صورتها في الكتاب مثل ( رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ) (٧) فقد قرئت : ربنا باعد بين أسفارنا يجعل الفعل باعد ماضياً .

(١) الاتقان ج ١ ص ٤٨

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) نفس المرجع ص ٤٦

(٤) سورة هود آية ٧٨

(٥) سورة سبأ آية ١٧

(٦) سورة سبأ آية ١٧

(٧) سورة سبأ آية ١٩

ثالثاً : الاختلاف في حروف الكلمة مثل : (كَيْفَ نَنْشُرُهَا) (١) وكيف ننشرها بالراء .

رابعاً : الاختلاف بين اللفظين بحروف متقاربة في قوله تعالى : ( وَطَلَّحَ مَسْجُودٍ ) (٢) وطلع منضود فالحاء والعين حروف حلقيّة .

خامساً : الاختلاف في التقديم والتأخير نحو قوله : ( وَجَاءَتْ سَكْرَةٌ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ) (٣) وقد قرئت : وجاءت سكرة الحق بالموت .

سادساً : الاختلاف في اللفظ مع الاتفاق في المعنى مثل : ( كَالْمِهْنِ الْمَنْفُوشِ ) (٤) وقد قرئت كالصوف المنفوش .

سابعاً : الاختلاف بالزيادة والنقصان مثل ( لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ تَعْجَةً ) (٥) وقد قرئت تعجة أنثى .

وبعد ما ذكرنا من آراء في هذا الصدد وهو قليل من كثير قد ذكر فيه فإنه لا يعنيننا من موضوع هذا الحديث أكثر مما قلنا ، لكن إذا كان لابد أن نختار ما نراه من هذه الآراء التي سجلناها لكثير من العلماء ، فليس في اعتقادي أقرب إلى المنطق والمعقول من الرأي الأخير الذي أشرنا إليه وهو كون الحروف السبعة وجوها مختلفة تشترك في مظاهر الشكل الإعرابي والتقديم والتأخير والزيادة والنقصان واللفظ وهو ما يتناسب مع مقصد التيسير والتسهيل الذي أشار إليه العلماء في شروحيهم لهذا الحديث (٦) .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩

(٢) سورة الواقعة آية ٢٩

(٣) سورة ق آية ١٩

(٤) سورة القارعة آية ٥

(٥) سورة س آية ٢٣

(٦) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ١١٣

ولعل هذا الرأي يتيح المجال لأي مستوى من القارئ أن يقرأ بما يستطيع  
سواء أكان شيخاً فانياً يا كل اللفظ ولا يكاد يبينه أم خادماً جاهلاً أم عجوزاً  
كبيرة أم متعلماً تعليماً واسعاً أم قليلاً وسواء أكان القارئ رجلاً أم امرأة  
عربياً كان أم غير عربي .

ولعل هؤلاء أو بعضهم هم الذين قصدهم الرسول عليه الصلاة والسلام  
بالتخفيف المراد في الحديث المتقدم حيث روى الترمذي عن أبي بن كعب أيضاً  
قال : لقي رسول الله جبريل عند أحجار المروة قال : فقال رسول الله ﷺ  
لجبريل : إني بعثت إلى أمة أميين منهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام  
قال : فرم فليقرؤا القرآن على سبعة أحرف (١) .

فهؤلاء إن قدموا أو أخروا في ترتيب الكلمات فلهم حرف يبرر لهم ذلك ،  
وإن رفعوا أو نصبوا فلهم أيضاً حرف يبرر لهم صنيعهم وكذ لك إن زادوا  
ونقصوا فلهم حرف يبيح لهم زيادتهم أو نقصهم ولهم في الرأي الذي اختبرناه  
كل ما قد يبرر لهم ما يقدمون عليه دون قصد منهم سوى أنهم لا يستطيعون  
أكثر مما يعلمون وهو ما يحقق معنى التسهيل الذي يحمله الحديث في طياته كما  
يتسق مع مبدأ التيسير الذي يعتبر مظهراً مميّزاً للإسلام عن كل الأديان .

وعلى كل وبعد هذا كله نخرج بنتيجة خرج بها غيرنا وهو أن الحروف  
السبعة التي أشار إليها الحديث ليست هي القراءات السبع وعلى ذلك نبني  
وتساءل : ما القراءات إذن ؟ وكيف نشأت ؟ ومن أصحابها ؟ فنقول : إن  
القراءات كما سبق وذكرنا أنها الوجوه اللغوية والصوتية التي أباح الله بها قراءة  
القرآن وتزيد على ذلك أنها وجوه صدرت عن الرسول عليه الصلاة والسلام (٢)

(١) مناهل القرآن للزرقاني ج ١ ص ١٣٦ ط الحلبي الثالثة .

(٢) الاتقان ج ١ ص ٨٣ - البرهان ج ١ ص ٢٢٧

وقرأها وأقرأها للصحابة وعلمهم إياها ، وإن كان يرى البعض كالأشعري أنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء (١) .

ومن المستشرقين من دار حول هذا كجولد تسيهر ورأى أن القراءات مصنوعة وما اختلفت إلى سبع أو أكثر إلا لسبيين وهما :  
أولاً : عدم نطق الألفاظ .

ثانياً : عدم وجود الحركات النحوية .

ويستشهد لذلك بقوله تعالى : ( وَتَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَ نَهُمْ بِسْمَاءِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ) (٢)  
بقراءة الفعل الأخير من الآية بالباء وفي قراءة أخرى تستكثرون .  
وبقوله تعالى كذلك : وهو الذي أرسل الرياح بشري بين يدي رحمته وفي قراءه أخرى نشرأ بالنون بدل الباء (٣) .

ولا يخفى ما في ذلك من دس على القرآن الكريم وإيهام بأن المسلمين قد قرؤوه كما شأوا وحرفوا في حروفه وألفاظه بدون وحي من الله أو أمر من الرسول وفي ذلك باب للاطعن لا يخفى ولا يجهل .

وتلخيصاً لهذا نقول : إن القراءات سنن مروية عن الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) بوحى من الله تخفيفاً على العباد وتسهيلاً لهم حتى يستطيعوا تناول كتابهم العزيز بما لديهم من قدرة على ذلك وما يدعوننا إلى هذا الرأي إلا لأنه أقرب إلى قداسة القرآن وما تقتضيه هذه القداسة من ضرورة الحفاظ على هذا الكتاب الكريم كما أنزل من عند الله .

(١) البرهان للزركشي ج ١ ص ٣٢١

(٢) سورة الأعراف آية ٤٨ .

(٣) رسم الصحف والاحتجاج به في القرآن للدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلي .

(٤) البرهان ج ١ ص ٣٢٢

## أنواع القراءات

لعل معرفة ما تنوعت إليه القراءات يمت إلى موضوعنا الذي نحن بصدده بصلة وثيقة فلقد كان لهذه القراءات بشق أنواعها الأثر الكبير في علم النحو وهو الموضوع الذي نعقد هذا الفصل من أجله ، فلم يكن النحاة أو معظمهم على الأقل كما يبدو لينبذوا قراءة قرىء بها القرآن مها كان نوعها وهم إن لم يكونوا قد استشهدوا بها كثيراً فلا أقل من أنهم خاضوا فيها وحكموا بها قواعدهم فإن وافقتها فهي قراءة صحيحة وإن لم توافقها فهي قراءة مرفوضة وبعبارة أوضح نقول : إن القراءات بشق أنواعها قد خاض فيها النحاة أخذاً بها أو رفضاً لها أو جدلاً حولها ، وسنرى كل ذلك عندما نتحدث عما خلفته القراءات في نحونا العربي .

وما دامت القراءات وأنواعها لها علاقة وثيقة بموضوعنا نقول : إن السيوطي في اتقانه يذكر بأن القاضي جلال الدين البلقيني قال : القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ . فالقراءات السبع من المتواتر والثلاث الأخرى التي تتم القراءات إلى عشر من الآحاد وصاعداً ذلك من الشاذ (١) ولعل هذا التقسيم أقرب إلى ما هو شائع بين الناس من أن القراءات سبع ثم لا يلبثون أن يوصلوها إلى عشر وهما رقمان متواتران وعلى الأخص رقم السبعة وما زاد عن ذلك لم ينل من الشهرة إلا لدى من يعنيه هذا الأمر ممن كتبوا في هذا الموضوع أو تناولوه من قريب أو بعيد ولست الآن في صدد عرض ما قد قيل في هذا إذ لا يعنيننا من ذلك أكثر مما ذكرنا وإلا نكون قد خرجنا عن الهدف الذي نعقد من أجله هذا الباب .



---

(١) الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٧٥

## الفصل الثاني

### علاقة القراءات بالنحو

بما لا شك فيه أن علاقة القراءات بالنحو مرتبطة تمام الارتباط بعلاقة النحو بالقرآن ونحن عندما نعقد فصلاً خاصاً في هذا الموضوع نعتقد بأن ما بين الأمرين من تغاير يتجلى في مظاهر التأثير الذي خلفه كل من القرآن والقراءات في علم النحو وهذا لا يعني أبداً أن التغاير شديد بين العلاقتين وأن علاقة القرآن بالنحو غير علاقة القراءات به ، ولقد أوضحنا هذه النقطة في بداية حديثنا عن أثر القراءات بقولنا : وهذا ما يجعلنا نفرّد هذا الفصل في الحديث عن القراءات وأثرها في النحو على أن هذا الأثر يختلف عن أثر القرآن فيه رغم وجود علاقة وثيقة وأكيدة بينهما مما لا يمكن أن ننكره بأي حال من الأحوال ويتتبع منا ورد من القراءات وما دار حولها في كتب النحو ومراجعته ندرك أن أثر القراءات في هذا العلم قد ظهر في مذاهبه وآراء النحاة ومواقفهم من القواعد النحوية . ولكن قبل التحدث عن كل ما ذكرناه يجب علينا أن نتبين أولاً العلاقة العامة التي تربط بين النحو والقراءات إذ أن تبيان هذه العلاقة يلقي لنا ضوءاً كاملاً على ما كان للقراءات من أثر بالغ في علم النحو وقواعده .

وعلى هذا أقول :

إن العلاقة الأولية التي تربط علم النحو بالقراءات هي تلك الشروط الثلاثة

التي وضعها العلماء للقراءة الصحيحة وهي (١) :

١ - موافقة القراءة للمربية بأي وجه كان .

٢ - موافقة أحد المصاحف ولو احتمالاً .

٣ - صحة سند القراءة .

فإذا كانت موافقة القراءة للمربية ولو من وجه واحد شرطاً في شروط صحتها فهذا ولا شك يبين لنا الأثر البالغ للنحو في تقويم القراءة الواحدة وهو ما نستطيع أن نقول : أنه العلاقة الوثيقة التي ربطت هذا بذلك .  
وإذا أردنا أن نتبين علاقة أوثق من تلك فلن نجد لها إلا بعد أن أصبح النحو علماً كاملاً له أصوله وقواعده كما أن له أمثله وشواهد وأدلته .

## موقف النحاة من القراءات

لم يقف النحاة أو بعضهم على الأصح موقف المعارضة والرد والتضعيف كما وقفوا حيال القراءات وقد وجدنا كثيراً منهم في أحيان كثيرة يتصيدون للقراءات يخطئون حيناً ويضعفونها حيناً آخرو يؤيدونها حيناً ثالثاً أو يردونها مرة أخرى حتى طال الجدل بينهم وبين القراء وبينهم وبين أنفسهم ، فالبصريون مثلاً ينظرون إلى القراءات نظرة حذر وحيطة ولا يأخذون بها إلا ما ندر بينما نرى الكوفيين يعتمدون عليها اعتماداً كبيراً ولعل ما قاله الرازي في هذا الصدد يبين لنا مقدار السلبية التي كان عليها حيال القراءات إذ يقول : « إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى وكثيراً

---

(١) البرهان - ١ ص ٣٣١ ومناهل العرفان - ١ ص ٤١١ وتفسير القاسمي - ١

ص ٣٠٧ لمحمد جمال الدين القاسمي ط الحلبي .

مانرى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ، فإذا استشهدوا في تقريرها ببیت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التمتعج منهم ، فإنهم إذا جعلوا ورود البيت المجهول على وفقها دليلاً على صحتها فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أولى ، (١) .

ويبدو أن استهانة النحاة بالقراءات وبخاصة ما أشكل منها كان بسبب اعتقادهم بأن القراءات آراء تنبثق من أصحابها وليست متواترة عن رسول الله ﷺ .

ويؤيد هذا قول من نقد الزمخشري في رده لقراءة ابن عامر بالفصل بين المتضايقين في قوله تعالى: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شرкауهم) (٢) برفع قتل وجر « شركائهم » على أنها مضاف إليه حيث قال : « فهذا ظن من الزمخشري أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه » (٣) .

ويقول أبو غانم أحمد بن حمدان في هذا الصدد : إن قراءة ابن عامر هذه لاتجوز في العربية وهي زلة عالم (٤) .

وهو بقوله هذا يوحي بأن ابن عامر صانع هذه القراءة وأنهم عنده وفي الحقيقة أن النحاة كانوا مغالين ومبالغين في معارضة القراءات ، إذ لم تقف معارضتهم فقط على القراءات المشككة أو الشاذة بل تعدتها حتى إلى القراءات المتواترة وهذا ما رأيناه في موقفهم حيال قراءة ابن عامر ونضيف إلى ذلك موقفهم أيضاً من قراءات غيره كعاصم ونافع وهما من أصحاب القراءات المتواترة ومن ذلك مايلي :

(١) تفسير الفخر الرازي - ٣ ص ١٩٣

(٢) سورة الأنعام آية ١٣٧

(٣) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير الاسكندري - ٢ ص ٥٣

ط الحلبي الاخيرة ١٩٦٦

(٤) فتح القدير للشوكاني - ٢ ص ١٥٧

١ قراءة حمزة لكلمة الأرحام مجرورة عطفاً لها على الضمير المجرور من قوله تعالى : ( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام )<sup>(١)</sup> .  
فقد ضعف أكثر النحاة هذه القراءة وتصدوا لها<sup>(٢)</sup> باتجاهات ثلاثة :

### الاتجاه الأول :

تخطئة هذه القراءة وفي ذلك يقول الزجاج فيها : « القراءة الجيدة نصب الأرحام وأما الخفض في العربية فإن اجماع النحاة أنه يقبح أن يعطف اسم ظاهر على اسم مضمّر في حالة الخفض إلا باظهار الخافض<sup>(٣)</sup> ، وقد نسب إلى البصريين أنهم يلحنون هذه القراءة كما أن الكوفيين يقبحونها<sup>(٤)</sup> » وهذا قول غريب عن الكوفيين إذ المعروف أن هذه القاعدة كوفية اعتمدوا فيها على هذه القراءة وهو ما ذكرته في غير هذا الموضع من الرسالة .

### الاتجاه الثاني :

تضميف هذه القراءة ، وهذا رأي الزمخشري حيث يقول : « وقراءة حمزة والأرحام بالجر ليست بتلك القوية<sup>(٥)</sup> كما قال عن هذا العطف كذلك في موضع آخر : « وليس بسديد »<sup>(٦)</sup> .

### الاتجاه الثالث :

المغالاة في إنكار هذه القراءة لدرجة تحريم القراءة بها وهذا رأي المبرد<sup>(٧)</sup>

(١) سورة النساء آية ١

(٢) شرح المفصل لابن يمش - ٣ - ص ٧٨

(٣) القراءات واللهجات للدكتور حمودة ص ١٣٠

(٤) فتح القدير - ١ - ص ٣٨٣

(٥) المفصل - ٢ - ص ٧٤

(٦) الكشاف - ١ - ص ٣٧٢ ط الحلبي ١٩٤٨

(٧) شرح المفصل - ٣ - ص ٧٨

وقد روى الفارسي عنه أكثر من ذلك حيث ذكر عنه قوله : «لوصليت خلف  
إمام يقرأ : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام بالجبر لأخذت نعلي ومضيت» (١)

٢- قراءة ابن عامر بالفصل بين المتضايين في قوله تعالى : ( وَكَذَلِكَ زَيْنَ  
لكثير من المشركين قَتَلَ أولادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ )<sup>(٢)</sup> يجز شركائهم على أن : قتل  
مضاف وشركائهم مضاف إليه وأولادهم مفعول به منصوب لقتل . وقد تقدم  
ذكر هذه القراءة وما دار حولها من نقض أو تعقيب ، فقد ردها الزنجشيري كما  
ذكرنا حيث قال فيها : « والفصل بينها - أي بين المتضايين - بغير الظرف  
شيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً فكيف به في  
القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته » (٣) .

وقد سبق أن ذكرنا أن ابن حمدان قد أنكرها واعتبرها زلة ، وممن  
أنكرها ابن عصفور<sup>(٤)</sup> وتبعها في ذلك النحاس الذي يقول عنها « إنها  
قراءة لاتجوز في كلام ولا في شعر »<sup>(٥)</sup> ثم نجد الشوكاني أيضاً في تفسيره يعلن  
عدم تواتر هذه القراءة ويقول فيها : « فن قرأ بما يخالف الوجه النحوي  
فقرأته رد عليه »<sup>(٦)</sup> .

٣ - قراءة نافع : معايش بالهمزة في قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا  
مَعَايِشَ )<sup>(٧)</sup> لقد تعقب النحاة هذه القراءة فردها البصريون وفي ذلك يقول

(١) فتح القدير للشوكاني - ١ ص ٣٨٣

(٢) سورة الأنعام آية ١٣٧

(٣) الكشف - ٢ ص ٥٤ ط الحلبي

(٤) البرهان - ١ ص ٣١٩

(٥) فتح القدير - ٢ ص ١٥٧

(٦) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٧) الاعراف آية ١٠

الزجاج : جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ ، ولا أعلم لها وجهاً إلا التشبيه بصحيفة وصحائف ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة ولا يلتفت إليها (١) .

ويقول النحاس عن هذا الهمز إنه لحن لا يجوز (٢) ويتناول المازني على صاحب القراءة بقوله : « أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية ، وله أحرف يقرأها لحناً نحواً من هذا » (٣) .

٤ - قراءة من قرأ ( ثلاثمائة سنين ) (٤) بإضافة مائة إلى سنين وهي قراءة منسوبة إلى حمزة والكسائي وهما من القراء السبعة (٥) وقد خطأها المبرد ولم يجوزها إلا في الشعر ضرورة بقوله « وهذا خطأ في الكلام غير جائز وإنما يجوز مثله في الشعر للضرورة » (٦) .

وإلى جانب هؤلاء النحاة الذين وقفوا موقف المعارضة للقراءات وتضعيفها كان هناك عدد لا بأس به من النحاة يأخذ بالقراءات ويستدل بها على ما يرى فإذا كان البصريون مثلاً يقفون موقف الرفض لكثير من القراءات في مجال نحوهم وآرائهم وجدنا الكوفة على النقيض تستشهد وتستدل وتؤيد ما تراه في النحو بما تراه من القراءات كما تأخذ من القراءات ما قدرت من النحو .

وإذا كان من البصريين أنفسهم من يعارض ويرد ويرفض فإن منهم كذلك من يقبل القراءة ويأخذ منها ويستدل بها وإذا كان طابع الكوفيين أخذاً بالقراءة وتأييداً لها فإن منهم من كان يعارضها ويدحضها .

---

(١) القراءات واللهجات للدكتور حمودة ص ١٤١ ، المنصف (شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني ، ج ١ ص ٣٠٧ ط الحلبي .

(٢) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٨٢

(٣) القراءات واللهجات ص ١٤١ ، المنصف ج ١ ص ٣٠٧

(٤) سورة الكهف ٢٥

(٥) تعليق الاستاذ عبد الخالق عضية على المقتضب ج ٢ ص ١٧١

(٦) المقتضب للمبرد ج ٢ ص ١٧١

فإذا كان سيبويه مثلاً يرى في القراءة أنها سنة ويجب اتباعها (١) فهناك  
الفراء الكوفي يرفض بعض القراءات ولا يتبعها وإذا كان المازني البصري يخطيء  
قراءة ما فإن الكسائي الكوفي يحتضن أخرى ويبني عليها .

وإذا كنا نرى المبرد مثلاً ينكر على ابن عامر قراءة الأرحام بالجر والزجاج  
يخطئها والزخشمري يضعفها فإن هناك من أيدىها ودافع عنها فهذا هو ابن جني  
يرد على المبرد إنكاره فيقول : « ليست هذه القراءة عندنا من الأبعاد والفحش  
والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس بل الأمر فيها دون  
ذلك وأقرب وأخف وألطف » (٢) .

ثم نجد ابن جني زيادة على ذلك يوجه قراءة حمزة بقوله : « لمحة أن يقول  
لأبي العباس : إنني لم أحمل الأرحام على العطف على الجرور المضمر بل اعتقدت  
أن تكون فيه باء ثانية كأني قلت (وبالارحام) ثم حذفت الباء لتقدم ذكرها » (٣)  
وهذا أحد الوجوه التي أقرها ابن يعيش في شرحه المفصل (٤) .

ونجد ابن يعيش أيضاً في صدد حديثه عن هذه القراءة لا يرضى عن قول  
المبرد إذ يقول : « وهذا القول غير مرض من أبي العباس لأنه قد رواها إمام  
ثقة ولا سبيل إلى رد نقل الثقة (٥) كما أن صاحب البرهان يضم صوته إلى  
أصوات المؤيدين فيندد بانكار المبرد بقوله : ولا عبرة بانكار المبرد قراءة  
حمزة (والارحام) (٦) .

(١) الكتاب لسيبويه ج ١ ص ١٤٨

(٢) الخصائص لابن جني ج ١ ص ٢٨٥ ط بيروت .

(٣) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ج ٣ ص ٧٨

(٥) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٦) البرهان للزركشي ج ١ ص ٣١٨

وإذا كان الزمخشري كذلك يرد قراءة ابن عامر في فصله بين المتضايين في قوله تعالى : ( وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ ) (١) كما أوردنا وجدنا على المقابل أصواتاً نحوية أخرى ترتفع وتندد بالزمخشري فيها هو أبو حيان يقول مستنكراً على الزمخشري رأيه : « أعجب لمجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة » (٢) .

وإذا كان المازني قد ندد بقراءة من قرأ معاش بالهمز وكان النحاس قد لحنها فإن من النحاة من حاول أن يتلمس لها مخرجاً ، فما هو الزجاج الذي يحذر من التعويل على هذه القراءة نجده في الوقت ذاته يقول : جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ : فكلمة « تزعم » توحى بعدم الرضا عما زعمه البصريون وأنه لينذهب بمد هذا إلى تلمس مخرج يخرجها فيقول : ولا أعلم لها وجهاً إلا التشبيه بصحيفة وصحائف (٣) .

وإذا كان المبرد يخطئ قراءة حمزة والكسائي لقوله تعالى ( ثلاثمائة سنين ) بالاضافة وحذف التنوين فإن من النحويين من يرى هذه القراءة ويقرها ، فأبو حيان يقول في محيطه « أنحى أبو حاتم على هذه القراءة ولا يجوز له ذلك » (٤) ثم نراه ينقل تجويز أبي علي لاضافة مائة إلى الجمع حيث قال : « وقال أبو علي : هذه تضاف في المشهور إلى المفرد وقد تضاف إلى الجمع » (٥) وإذا كان هذا موقف الأفراد من القراءات فما موقف المذاهب : منها ؟ ان

(١) سورة الانعام آية ١٣٧

(٢) القراءات واللهجات للدكتور حمودة ص ١٣٦ ، ١٣٧

(٣) نفس المرجع ص ١٤١

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ج ٦ ص ١١٧ نقلاً عن تعليق الاستاذ عزيمة على المنتخب

للمبرد ج ٢ ص ١٧١

(٥) نفس المرجع .

مواقف المذاهب من القراءة لم يختلف عن مواقف الأفراد منها فمن المذاهب من أخذ بها واستنتج منها واستدل لها، ومنها من وقف عكس هذا فرفضها وردها أو أولها وأخذ يخرجها لتوافق قواعده وآراءه ، فلقد وقف البصريون والكوفيون إزاء القراءات موقفاً يختلف عند كل منها وليس مرد هذا الاختلاف في اعتقادي إلا المنهج الذي اتخذته كل من الفريقين في بناء قواعده وآرائه النحوية ، فحرص البصريين وحذرهم جعلهم يقفون حيال القراءات موقفاً حذراً ، بينما بساطة الكوفيين في طريقة التعميد جعلتهم يحتضنون القراءات ويعتمدون عليها في قواعدهم وآرائهم . فمن أجل هذا وجدنا البصريين لا يرون مانعاً من رد القراءة إذا ما اصطدمت بقواعدهم بل يذهبون إلى أكثر من هذا فنراهم يخطئون القراءة أو يضعفونها أو يحدون لها مخرجاً يجعلها تتواءم وما يرون من قواعد .

وأنا لنراهم يتطرفون في ذلك كثيراً فيسقطون القراءة من حسابهم بينما يأخذون في سبيل تثبيت قواعدهم بتعليلات منطقية أو بأبيات شعرية أو أقوال غريبة فمن الأول مثلاً : تعليلهم لعدم جواز العطف على الضمير المخفوض بقولهم : إن الجار والجرور بمنزلة شيء واحد فإذا عطف على الضمير المجرور فكأنك عطف الاسم على الحرف الجار وعطف الاسم على الحرف لا يجوز . (١)

وممن من يعلل لذلك بقوله : ان الضمير قد صار عوضاً عن التنوين وهو أمر لا يجوز العطف عليه .

ورغم ضعف هذه التعليقات فهي تلقي لنا ضوءاً على مدى تعصبهم ونبذهم للقراءات لأنهم يذهبون إلى هذه التعليقات الواهية رغم وجود قراءة من القراءات السبعة التي تثبت جواز عطف الاسم على الضمير المجرور دون إعادة

(١) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري مسألة ٦٠ ص ٢٧٤

الخافض وهي قراءة حمزة لقوله تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ  
وَالْأَرْحَامَ ) (١) .

ومن الثاني استدلالهم على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف  
والجار والمجرور (٢) بقول الشاعرة الجشمية :

هما أخوا في الحرب من لا أخاله إذا خاف يوماً نبوة فدعاها  
ويقول أبو حية النميري كذلك :

كما خط الكتاب بكف يوماً يهودي يقارب أو يزيل

بينما ينعون الفصل بين المتضامين (٣) بغير ذلك دون مبالاة بقراءة ابن  
عامر وهو أحد القراء السبعة المعروفين في قوله تعالى: ( وَكَذَلِكَ زَيَّنْ لِكَثِيرٍ  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ) (٤) بفصل المفعول بينهما كما تقدم .

وما أحسب البصريين في صنيعهم هذا وتفضيل أقوال العرب على القراءات  
المتواترة وغير المتواترة إلا أنهم المعنيون بمعجب الرازي الذي سبق أن قدمناه  
من هؤلاء النحاة الذين يفرحون ببيت من الشعر قد يكون قائله مجحولاً بينما  
يجدون بين أيديهم قراءة ما لأي آية قرآنية فيمفلون أو يتغافلون عنها .

لكن بعد هذا كله هل يصح أن نحكم على البصريين جميعهم بأن مذهبهم  
مطبوع برد القراءات ورفضها وأن ذلك صبغة لهم لا تنفك عنهم ؟

الصحيح أن هذا لا يصلح حكماً عاماً على علماء البصرة كلهم أو طابعاً  
خاصاً للمذهب البصري ويميزه عن غيره : فنحن عندما نسجل ذلك للبصريين

(١) سورة النساء آية ١

(٢) الانصاف مسألة ٦٠ ص ٢٥٠٠ ، ٢٥١٠

(٣) الانصاف مسألة ٦٠ ص ٢٥٠ ، ٢٥١

(٤) سورة الأنعام آية ١٣٧

فليس من المنطق أن نغفل عن ناحية مهمة في هذا الموضوع وهي أن من نخاة  
البصرة المؤسسين من هم قراء مشهورون كما ذكرنا وذلك مثل أبي عمرو بن العلاء  
البصري وهو من القراء السبعة وأبي محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي وهو  
من القراء العشرة وكذلك عيسى بن عمر : ويعتبر هؤلاء الثلاثة من مؤسسي  
علم النحو وواضعي أركانه كما أنهم أساتذة لأبرز علماء البصرة كسيبويه  
والخليل .

فوجود بعض القراء المشاهير بالإضافة إلى كونهم نخاة كباراً في صفوف  
البصريين وتمازج مشاهير النحويين البصريين عليهم يدل دلالة قاطعة على أن  
المذهب البصري وبخاصة بالنسبة لعلمائه الأوائل لم يكن في منأى عن القراءات  
والاعتماد عليها أو لم يقفوا على الأقل حياها موقف من جاء من بعدهم من بصريي  
القرن الثالث : إذ لا يعقل مثلاً أن يأخذ الكوفيون بقراءة أبي عمرو بن العلاء  
بينما تلاميذه من البصريين يتحرزون عنها ويتعلمون .

ويدحض الدكتور شوقي ضيف تهمة معارضة البصريين للقراءات ويرى أن  
معارضتهم لها ليست طابعاً لهم ولا ظاهرة عامة عند نخاتهم ، وما معارضتهم  
 للقراءات إلا محدودة في عدد قليل منها لا يتجاوز أصابع اليد وأوها لا تطرد  
مع قواعدهم فردوها ولم يأخذوا بها . (١)

ويستطرد الدكتور ضيف في إثبات هذه الحقيقة فيعتمد على كتاب سيبويه  
في ذلك فيقول : إنه لا يوجد في هذا الكتاب وهو مرجع في مذهب البصرة  
ونحوها أي شاهد واحد يؤيد هذه التهمة ويثبتها . (٢)

وبالفعل فقد وجدنا سيبويه يعتمد على كثير من القراءات فهو يؤيد مثلاً

---

(١) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ١٩ بتصرف .

(٢) المدارس النحوية ص ١٩

قراءة عيسى بن عمر لقوله تعالى : ( والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ ) (١) وقوله  
( الزَّانِيَةُ والزَّانِي ) (٢) بنصب كل منها فيقول في ذلك : وقد قرأ اناس :  
والسارق والسارقة والزانية والزاني وهو : أي النصب في العربية على ما ذكرت  
لك من القوة : ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع . (٣)

وفي موضع آخر يقول : وأما قوله عز وجل ( إِنَّمَا كُنَّ شَيْءٍ مِّن خَلْقِنَاهُ  
يَقْتَدِرُ ) (٤) فانما هو على حد قوله : زيدا ضربته وهو عربي كثير وقصد قرأ  
بعضهم ( وأما ثمودُ فهديئناهم ) (٥) : إلا أن القراءة لا تخالف لأن القراءة  
سنة . (٦)

ولم يقتصر الأمر كما يرى على خلو كتاب سيبويه من معارضة القراءات بل  
وجدناه يؤيد القراءات ويستشهد بها ويحيطها بهالة من التقديس يرى معها عدم  
جواز مخالفتها لأنها من الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولا نجد مثل هذا التأييد فقط لدى سيبويه بل نجده لدى الأخفش كذلك ،  
وفي هذا يقول الدكتور ضيف : ومضى الأخفش الأوسط يسبق الكوفيين  
المتأخرين إلى التمسك بشواذ القراءات والاستدلال عليها من كلام العرب  
وأشعارهم (٧) . فهاهو يوافق الفراء الكوفي على جواز تقديم الحال على عاملها المجرور  
أو الظرف عملاً بقراءة من قرأ قوله تعالى : ( والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ) (٨) .

(١) سورة المائدة آية ٣٨

(٢) سورة النور آية ٢

(٣) الكتاب لسيبويه ج ١ ص ١٤٤

(٤) سورة القمر آية ٤٩

(٥) سورة فصلت آية ١٧

(٦) الكتاب ج ١ ص ١٤٨

(٧) المدارس النحوية ص ١٩

(٨) سورة الزمر آية ٦٧

وكذلك : ( ما في بَطُونِ هذهِ الأَنْعَامِ خِثَالِيصَةٌ لِيَذْكُورِنَا ) (١) على رغم من أن البصريين لا يميزون ذلك أبداً وما ورد منه مسوعاً يحفظ ولا يقاس عليه (٢)

ونراه كذلك يستدلون على صحة أعمال أن المخففة بقراءة نافع وابن كثير لقوله تعالى : ( وَإِنَّ كَلَامًا لِيُؤْفِقُنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ ) (٣) وذلك بتخفيف أن وعملها في ما بعدها (٤) .

ونراه أيضاً يستدلون على بناء المضاف إذا أضيف إلى اسم غير متمكن وعدم جواز إعرابه كما يرى الكوفيون بقراءة نافع وأبي جعفر لقوله تعالى : ( وَهُمْ مِنْ فِرْعَانَ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ ) (٥) .

ولعل فيما رآه الدكتور ضيف من الدفاع المطلق عن البصريين ما يستوجب ردنا عليه بأن البصريين رغم ما تقدم من استشهادهم بالقراءات لم يكن موقفهم حيالها موقف من أطلق يده فيها وعب منها ما استطاع كما فعل الكوفيون ، فقد رأيناهم بالاضافة إلى ما تقدم من أمثلة معارضتهم يعارضون قراءات كثيرة ولا يأخذون بها مما يجعلنا لانفهم إعفاء مطلقاً من إمامهم للقراءات ورددها والظعن فيها ونخص بذلك المتأخرين منهم .

ولقد سجلت لهم المراجع النحوية مطاعن عديدة في قراءات متعددة لاتقف عند عدد الاصابع كما يرى الدكتور ضيف بل تعدتها إلى أكثر من ذلك وحق لو سلنا بقلة ما ردوه من القراءات أو طعنوا به فهذا لاينفي عنهم على الأقل

(١) سورة الأنعام آية ١٣٩

(٢) الاشموني ج ٢ ص ١٨١

(٣) سورة هود آية ١١١

(٤) الانصاف لابن الانباري مسألة ٢٤ ص ١٢٤

(٥) سورة النمل آية ٨٩

بأنهم وحدهم فقط هم الذين عارضوا القراءة في وقت كانوا هم بما عرف عنهم من دقة وحرص وحذر أولى من غيرهم بالأخذ بها وبخاصة إذا وضعت في مجال التمييز بينها وبين بيت شعري أو تعليل منطقي .

وعلى المقابل من ذلك نرى المذهب الكوفي أكثر اعتماداً على القراءات وأخذاً بها والتفافاً حولها وعباً من نبرها فهي في نظرهم أولى من بيت لم يعرف قائله أو قول قد يصح أولاً يصح .

ولسنا نعجب من موقفهم هذا إزاء القراءات وهم من عرف عنهم التساهل في أخذ اللغة والقواعد النحوية فقد كانوا يأخذون بأدنى دليل يسمعونه متى صح عندهم فكيف إذا كان الدليل من القرآن الكريم . ثم لا يجب أن يغيب عن أذهانتنا كذلك أن شيخهم وزعيم مذهبهم كان أحد القراء السبعة المشهورين وهو الكسائي الذي لا شك بأن نحوه قد تأثر بقراءته وعلى سنته سار من جاء بعده من الكوفيين .

ويرى الدكتور ضيف عكس هذا إذ يعتقد بأن الكسائي وتلميذه الفراء هما اللذان وقفنا من القراءات موقف المعارض والمخطيء فيقول : من هنا كنا نؤمن بأنه هو أي الفراء وأستاذه أي الكسائي فتحا للبصريين التاليين تخطئة بعض القراءات من أمثال المازني والمبرد والزجاج (١) .

بل ونرى الدكتور يذهب إلى أكثر من هذا فيرى أن مانئسه من انكباب الكوفيين المتأخرين على القراءات الشاذة والاستشهاد بها ما هو إلا اقتداء بالأخفش (٢) وهو بصري له مكانته في هذا المجال .

وإن هذا الرأي الذي تبناه الدكتور ضيف وخالف فيه الكثير معتقداً

(١) المدارس النحوية ص ١٥٧ ، ١٥٨

(٢) المدارس النحوية للدكتور ضيف ص ١٥٨

فيه بأن الشكوة أولى من البصرة فيما وجه إليها من اتهام حول موقفها من القراءات لا نستطيع أن نثبت تردده فيه إلا حينما نصطدم بتناقضه الذي وقع فيه فبينما يقول : أن الفراء الكوفي هو الذي بدأ بقوة تخطئة القراءة بحجده في الوقت نفسه يقف مدافعاً عن البصريين والكوفيين معاً ويضعهما في ميزان واحد مهوناً من موقف كل منها حيال القراءات فيقول «وينبغي أن نعرف أن حروفاً معدودة هي التي وقف عندها الكسائي والفراء ومن تلاهما من البصريين بحيث يكون من الاسراف أن يقال بأنهم يخطئون القراء ، إنما الذي ينبغي أن يقال : إنهم وقفوا عند بعض الأحرف في قراءات القرآن الكريم رغبة منهم في التحري الدقيق للفظ الذكر الحكيم ومنطقه » (١) .

فإذا كان هذا القول الذي أدلى به الدكتور ضيف لا يلصق التهمة لأي من الفريقين إلا بقدر متساو فإننا نرى في ذلك مجانبية للحق ، فالفراء الكوفي إذا كان يعارض أو يخطئ بعض القراءات كما تقدم فهو مثلاً يلحق الترجسي بالتمني في نصب المضارع بعده (٢) مستنداً بقراءة حفص لقوله تعالى (فاطِّلِح) (٣) بالنصب بعد لعلي أبلغ الخ .

وإذا كان الكسائي كذلك قد رفض قراءة ما فإنه قد قبل غيرها وبني عليها كقاعدة أعمال ان النافية عمل ليس (٤) وذلك كقراءة سعيد بن جبير : « إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم » (٥) .

كما أنها معاً أي الكسائي والفراء (٦) قد تمسكا بقراءة من قرأ قوله تعالى

(١) المدارس النحوية للدكتور ضيف ص ١٥٨

(٢) أوضح المسالك ج ٣ ص ١٨١

(٣) سورة غافر آية ٣٧

(٤) الاشموني ج ١ ص ٢٥٥

(٥) سورة الاعراف آية ١٩٤

(٦) الاشموني ج ١ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧

(إن الله وملائكته يصلون على النبي) (١) برفع ملائكته استدلالاً بها على رفع ما عطف على اسم إن قبل اكتمال الخبر (٢).

وزيادة على ذلك فإن المراجع النحوية قد سجلت للكسائي قراءات كثيرة بنيت عليها قواعد مختلفة وعليه فمن التجني مساواة الفريقين في اعتماد القراءات مرجعاً لبناء القاعدة النحوية .

وعلى كل إذا كان أوائل البصريين لم يطعنوا في القراءات فلا يعني ذلك بأن موقفهم كان موقف التأييد والقبول المطلقين وإذا كان كذلك أوائل الكوفيين فهذا لا يعني كذلك بأن موقفهم كان موقف المعارضة والرفض والتخطئة .

وفي اعتقادي أن الرأي الذي ساد في هذا المجال وهو توجيه التهمة إلى البصريين ونظرتهم الحذرة لم يأت عفواً لحاظاً وإنما كان حصيلة الآراء التي دفعها البصريون والكوفيون في هذا المجال مما جعل المتكلمين في هذا الموضوع يتهمون المذهب البصري بالظعن في القراءات وعدم مبالاتهم بها ولكي تتم أمامنا صورة ما قيل فلا بد من استعراض بعض الأمثلة التي تلقي لنا ضوءاً كاملاً على موقف كل من الطرفين وهي كما يأتي :

١ - هل يقع الفعل الماضي حالاً : يميز الكوفيون ذلك بينما ينعمه البصريون ويشترطون لذلك سبقه بقدر ظاهرة : ويسند الكوفيون رأيهم بقوله تعالى : (أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) (٣) بمعنى حصرة صدورهم ودليل ذلك قراءة الحسن البصري أو جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ . ويؤيد الكوفيون رأيهم زيادة على ذلك بقول الشاعر :

(١) سورة الاحزاب آية ٥٦

(٢) الاشموني - ١ ص ٢٨٦

(٣) سورة النساء آية ٩٠

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلبلة القطر  
ويتجاهل البصريون هذه القراءة ويفضلون عليها تعليلين منطقيين أحدهما:  
إن الفعل الماضي لا يدل على الحال . وثانيها أنه لا يصلح أن يكون حالاً إلا  
ما صلح أن يقال فيه الآن أو الساعة وهذا لا يصلح في الماضي (١) .

٢ - ما حكم الصفة بعد الظرف التام الواقع خبراً عن مبتدأ ، إذا تكرر  
الظرف يرى الكوفيون وجوب نصبه ويرى البصريون جواز ذلك لا وجوبه ،  
ويستدل الكوفيون على ذلك بإجماع القراء على نصب كلمة خالد بن خالد في قوله  
تعالى : ( وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالد بن خالد فيها ) (٢) وقوله كذلك :  
( فكان عاقبتهما أنها في النار خالد بن خالد فيها ) (٣) .

ويتجاهل البصريون إجماع القراء على النصب في الآيتين وعدم قراءتها بالرفع  
بتعليل عقلي مؤداه : إذا كان الرفع والنصب جائزين في الصفة إذا لم يكن  
الظرف مكرراً فهي كذلك إذا وقعت بعد ظرف مكرر (٤) .

وهكذا نجد الكتب النحوية قد زخرت بعرض آراء نحوية استدلت لها  
الكوفيون بالقراءات المختلفة بينما وقف البصريون منها موقف المعارض أو  
المتجاهل مفضلين عليها عللاً عقلية يؤيدون بها آراءهم وأقوالهم ، الأمر الذي  
يدعو إلى العجب والتساؤل كيف نفعل قراءة ما مهما كانت ترتبها بينما نعتمد على  
غيرها من علل أو أقوال في بناء قواعد ورصد الآراء ؟

وخلاصة القول في هذا أن النحاة لم يقفوا موقفاً موحداً من القراءات

(١) الانصاف المسألة ٣٢

(٢) سورة هود آية ١٠٨

(٣) سورة الحشر آية ١٧

(٤) الانصاف لابن الانباري مسألة ٣٣ ص ١٦٤ - ١٦٥

ومسألة الأخذ بها ، بل كانوا في ذلك على اتجاهات ثلاثة (١) اتجاه الأخذ بالقراءة والاستدلال بها دون ما حرج أو حذر (٢) اتجاه معارضتها ورفضها ونخطئتها (٣) اتجاه وسط بين هذا وذاك أي : أخذ بحذر واستدلال بتخريج وتأويل .

وإذا كان هذا موقف النحاة من القراءات فما موقف القراء من النحاة ؟ ، في الحقيقة أننا إذا أردنا التحدث في هذا الموضوع فعلينا ألا نغفل أولاً عن أن كثيراً من القراء هم نحاة مشهورون أمثال أبي عمرو بن العلاء والكسائي وعيسى ابن عمر ، وعلى هذا فإني لا أتصور أن يقف القراء من النحاة موقف النحاة من القراء إلا بمقدار ما يستدعي دفاعهم عن قراءاتهم والحد من غلو النحاة وغرورهم وتعصبهم في مبدأ تقويم القراءة بالقاعدة النحوية أو اللغوية ، إذ لم يكن يتصور القراء ولا ينبغي لهم أن يتصوروا بأن القراءة تصوب بالقاعدة النحوية بل العكس هو الصحيح ، وهذا ما دعا ابن المنير أن يقول في صدد احتداده على الزمخشري : « وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة » (١)

ولقد امتدت ثقة القراء بقراءاتهم إلى ضرورة الاعتماد في الاستدلال على القاعدة بالقراءات حتى ما شذ منها كما يقول السيوطي معبراً عن لسان حالهم « أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً ، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً » (٢) .

ويذهب السيوطي في ذلك إلى أبعد مما ذكر ، فيدعي أن النحاة لم يختلفوا أبداً في جواز الاحتجاج بالقراءة الشاذة فيقول : « وما ذكرته عن الاحتجاج

(١) تعليق ابن المنير على الكشاف - ٢ ص ٥٤ ط الحلبي ١٩٦٦

(٢) الاقتراح للسيوطي ص ١٧

بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة ، (١) .

وبقطع النظر عن غفلة السيوطي أو تغافله عن ذلك الحذر والحيطه التي وقفها النحاة حيال القراءات فإن كلامه ذلك يدل على ثقته المطلقة بالقراءة التي يجب أن تكون في نظره مبنى تنبني عليه القاعدة النحوية أو الرأي اللغوي .

وفما قلناه عن الرازي وعجبه ممن يترك القرآن والاستشهاد به « وهو هنا يقصد القراءات على التأكيد لأن غير القراءات من القرآن لم يتركه النحاة كما توحى عبارته » ويقبل بأبيات من الشعر لا يعرف لها قائل (٢) ما يدل دلالة واضحة على استنكار العلماء لصنيع النحاة وموقفهم من القراءات .

واحقاقاً للحق وإقراراً للحقيقة أقول : ان موقف بعض النحاة كما تقدم من القراءات موقف يباه العقل ويرفضه المنطق ، إذ لا يسوغ بالفعل أن ترفض قراءة متواترة أو غير متواترة ونأخذ ببيت من الشعر لم يعرف قائله أو نتلمس ما نراه تحليلاً أو تعليلاً أو قياساً نتكلفه ونتمجله ، بينما الأجدر والأولى بالتأييد والاستدلال به تلك القراءة التي لا يمكن أن تصل بأي شكل من الأشكال إلى صفة الانتحال أو الوضع أو الصنع فهي إن لم تكن متواترة عن الرسول عليه الصلاة والسلام فهي على الأقل قراءة ارتأها صحابي ورددها من يمينه تقواه ودينه من ادعائها وتزويرها ، وهي على الحالين تظل أولى بالاعتبار من أقوال نقلها عن العرب كما يقول الدماميني من لا يعتمد عليه لجهله أو لعدم عدالته أو لجهالة علمه . (٣)

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) تفسير الفخر الرازي - ٣ ص ٩٣

(٣) المواهب الفتحة للدماميني - ١ ص ٥٤

## القراءات في المراجع النحوية :

إذا كان النحاة أو بعضهم بتعبير أدق قد وقف من القراءات ذلك الموقف الذي سجلناه لهم فيما سبق فهذا لا يعني أبداً بأن مراجع النحو ومؤلفاته كانت بعيدة عن هذا المجال أو كان لموقف هؤلاء أثر فيها ، بل كان الأمر عكس ذلك حيث وجدنا هذه المراجع وتلك المؤلفات سجلاً حافلاً للآراء النحوية التي استندت على القراءات أو الآراء التي دحض أصحابها قراءة ما أوردوها أو ضعفوها . ولإيضاح ذلك أكثر نقول : بأنه يجب أن نفرق بين الآراء النحوية والكتب النحوية لأن الثانية في واقعها تعتبر فقط وعاء احتوى على الأولى وضمها بين جنباته ، فإذا كانت هناك معارضة من أصحاب الآراء النحوية فهذا لا يعني بالضرورة أن تتعكس هذه الآراء على من جمعها وضمها في كتاب واحد أو مرجع واحد وعلى هذا نقول : كانت المؤلفات النحوية على مختلف أزمعتها أو مناهجها محتوى ضم بين دفتيه كل ما ورد من قراءة ، متواترة كانت أم شاذة ولم يكن أصحابها ليكتفوا فقط في بعض الأحيان بتسجيل ما ورد على ألسنة النحاة من استدلال بالقراءة أو تضييف لها أو تسفيه لقارئها بل تعدى دورهم ذلك إلى المفاضلة والترجيح على ضوء القراءة أو الدفاع عنها ما أمكن إلى ذلك سبيلاً ، فإذا وجدنا الزمخشري مثلاً في مفصله قد وقف من قراءات متعددة موقف الناقد لها أو المتحرج منها ، وجدنا ابن يعين شارح هذا المفصل يقف حيال القراءات موقف المدافع المنافع عنها فنجده مثلاً يتصدى لأبي العباس محمد بن يزيد فيما ارتآه في قراءة حمزة لقوله تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ) (١) من حيث نخطئها لها وعدم تجويده القراءة بها فيقول في تصديده : وهذا القول غير مرض من أبي العباس لأنه قد رواها ( أي القراءة )

(١) سورة النساء آية ١

أمام ثقة ولا سبيل إلى رد نقل الثقة مع أنه قد قرأ بها جماعة من غير السبعة  
كابن مسعود وابن عباس والقاسم وإبراهيم النخعي والأعمش والحسن البصري  
وقتادة ومجاهد ، وإذا صحت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها . (١)

وبالتأمل فيما ذكر ابن يعيش نرى كلامه يتضمن رنة الاعتراض والمعجب  
من صنيع ابن يزيد ، حيث يخطيء قراءة لم يقرأها فقط أحد القراء السبعة بل  
تعداه إلى عدد كبير من علماء آخرين : كما أنه لا يرى أن هناك سبيلاً أو  
استساعة لرد ما تصح روايته .

وفي موضع آخر نرى ابن يعيش يسجل بعض القراءات لآية من الآيات ثم  
يقوي في نهاية الأمر ما يراه بإحدى هذه القراءات فيقول في قوله تعالى : ( أو لم  
تكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ) (٢) قرأها ابن عامر وحده  
بالتاء وقرأها بقية السبعة بالياء : أي أو لم يكن لهم آية .

ولم يقف ابن يعيش عند هذا بل تراه يحلل الآية ويعرب ما أشكل فيها  
على القراءتين فيرى أن لفظ آية على القراءة الأولى مرفوعة على أن اسم تكن  
مقدر وتقديره : أو لم تكن القصة أن يعلمه علماء بني إسرائيل آية ويكون  
المصدر المؤول من أن والفعل في محل رفع مبتدأ وخبره آية والجملة من المبتدأ  
والخبر خبر تكن وفي حالة القراءة بالياء ينصب لفظ آية على أنه خبر كان واسمها  
المصدر المؤول من أن والفعل (٣) .

ونجد ابن يعيش في نهاية الأمر يقوي بالقراءة الوجه الأول فيقول : ويقوي  
الوجه الأول قراءة الجماعة (٤) .

(١) شرح المفصل - ٣ ص ٧٨

(٢) سورة الشعراء آية ١٩٧

(٣) شرح المفصل لابن يعيش - ٣ ص ١١٦

(٤) نفس المرجع ص ١١٧

ويطالعنا مرجع آخر ، له مكانته في المراجع النحوية وهو شرح الأشموني على ألفية ابن مالك فنجده كذلك يسجل كثيراً من الآراء التي اعتمدت على القرلوات حتى غير المشهور منها فنراه مثلاً يستدل لرأي الكوفيين على حذف عائد الموصول حتى ولو لم تطل الصلة <sup>(١)</sup> بقراءة يحيى بن يعمر لقوله تعالى: (تَمَاماً على الذي أحسن) <sup>(٢)</sup> وقراءة مالك بن دينار وابن السكك (مثلاً ما بعوضة) <sup>(٣)</sup> بالرفع. ونراه كذلك يؤيد إعمال أن النافية عمل ليس بقوله : والصحيح الاعمال فقد سمع نثراً ونظماً فمن النثر قولهم : إن أحد خيراً من أحد وجعل منه ابن جني قراءة سعيد بن جبير <sup>(٤)</sup> لقوله تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عبادة أمثالكم) <sup>(٥)</sup> ويستدل كذلك لجواز حذف المضاف مع بقاء المضاف إليه إذا كان مع عاطف غير مفصول بلا بقراءة ابن جمار لقوله تعالى : ( تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ) <sup>(٦)</sup> أي عرض الآخرة أو ثواب الآخرة أو عمل الآخرة <sup>(٧)</sup> .

وكذلك ابن هشام في مرجمه العظيم « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » يستعرض كثيراً من القراءات في أكثر من أربعين موضعاً كلها في صدد الاستدلال بها أو استعمالها في معرض التقوية والتأييد .

فهو تارة ينسب القراءة إلى أصحابها وتارة يقول : قراءة من من قرأ وفي الحالتين دليل على احتفائه بالقراءة عموماً كدليل على القاعدة النحوية أو

(١) الأشموني - ١ ص ١٦٨

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٤

(٣) سورة البقرة آية ٢٦

(٤) الأشموني - ١ ص ٢٥٥

(٥) سورة الأعراف آية ١٩٤

(٦) سورة الأَنْفَال آية ٦٨

(٧) الأشموني - ٢ ص ٢٧٣

المذهب النحوي . فهو يستدل مثلاً لقاعدة نصب المضارع بعد إذن إذا سبقت بفاء أو بواو بقوله تعالى : ( وإذاً لا يلبثون )<sup>(١)</sup> وبقوله كذلك ( فإذا لا يؤتون )<sup>(٢)</sup> وذلك بقوله : وقد قرىء وإذن لا يلبثوا وقرىء فإذا لا يؤتوا<sup>(٣)</sup> . وإذا كان قد أيد النصب بقرءة لم ينسبها إلى صاحبها فتراه يغلب رفـع الفعل المضارع في هذه الحالة كذلك بالقرءة فيقول في هذا الصدد : والغالب الرفع وبه قرأ السبعة<sup>(٤)</sup> .

ونراه أيضاً في مكان آخر يحود وجهاً إعرابياً معيناً وهو نصب المستثنى في الاستثناء المتصل إذا كان الكلام السابق لاغير موجب ، ويستدل لذلك بقوله تعالى : ( ولا يَلْتَمِثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ )<sup>(٥)</sup> وبقوله كذلك : ( ومن يَتَّقِ اللَّهَ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ )<sup>(٦)</sup> ، فيقول في هذا الصدد : والنصب عرـبي جيد ، وقد قرىء به في السبع ( وامرأتك ، والضالين )<sup>(٧)</sup> من الآيتين السابقتين<sup>(٨)</sup> .

وفي قاعدة أخرى وهي حكم الاسم المقترن بأل إذا عطف على منادى نراه يسجل لذلك وجهين إعرابين ، أحدهما النصب وثانيهما الرفع ، ويدل ذلك بقوله تعالى : ( يا جبالُ أوَّبي معه الطَّيْرُ )<sup>(٩)</sup> ففي نصب الطير يقول :

(١) سورة الاسراء آية ٧٦

(٢) سورة النساء آية ٥٣

(٣) أوضح المسالك - ٣ ص ١٧١

(٤) نفس المرجع السابق .

(٥) سورة هود آية ٨١

(٦) سورة الحجر آية ٥٦

(٧) سورة هود ٨١ والحجر ٥٦

(٨) أوضح المسالك - ٢ ص ٦٢

(٩) سورة سبأ آية ١٠

قرأه السبعة بالنصب واختاره أبو عمرو وعيسى<sup>(١)</sup> كما يذكر بأن الخليل وسيبويه قد اختارا قراءة الرفع<sup>(٢)</sup> أي أن ابن هشام يؤيد الوجهين الاعرابيين بقراءتين مختلفتين احدهما بالنصب والاخرى بالرفع .

وفي مكان آخر نجد ابن هشام في أوضح المسالك يستدل على معنى معين لحرف ما بقراءة وردت بلفظ يناسب ذلك المعنى ، فقاعدة مجيء من للتبويض استدلت عليها بقوله تعالى : ( حَقِّ تَشْفِئُوا مِمَّا تَحِبُّونَ )<sup>(٣)</sup> بدليل قراءة هذه الآية حتى تَشْفِئُوا بعض ما تحبون<sup>(٤)</sup> .

ولم يقف احتفاء المؤلفات النحوية بالقراءات وتسجيل كل ما أيد بها من قواعد وآراء على موسوعات النحو وأمهات مراجعه بل تمدى ذلك إلى شرح ابن عقيل وهو أقل من الكتب التي سبقته استيعاباً وشمولاً . . ومع ذلك وجدناه يتلمس لكثير من القواعد ما يؤيدها من القراءات سواء ما تواتر منها أم كان شاذاً ، فهو يورد مثلاً ما ذكرته المراجع الأخرى من جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه فيمثل لذلك إذا كان المفعول هو الفاصل فيها بقراءة ابن عامر فيقول : فمثال ما فصل فيه بينهما بمفعول المضاف قوله تعالى : ( وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم )<sup>(٥)</sup> في قراءة ابن عامر بنصب أولاد وجر شركاء<sup>(٦)</sup> .

ولا يقتصر ابن عقيل على الاستدلال بما صح من القراءات كما سبق في قراءة ابن عامر بل نراه يمثل بالقراءة الشاذة لقاعدة جواز حذف المضاف إليه مع

(١) أوضح المسالك - ٣ ص ٨٧

(٢) نفس المرجع .

(٣) سورة آل عمران آية ٩٢

(٤) أوضح المسالك - ٢ ص ١٢٨

(٥) سورة الانعام آية ١٣٧

(٦) شرح ابن عقيل - ٢ ص ٦٧

بقاء المضاف على حاله دون أن يعطف على مثل المحذوف فيقول في هذا : ومثله قراءة من قرأ شذوذاً ( فلا خَوْفٌ عليهم ° ) (١) أي فلا خوف شيء عليهم (٢).

ونراه أيضاً يتحدث عن تشنية الذي والتي وكونها تم بحذف الياء منهما فيقال : اللذين واللتين والمذان واللتان ويسجل في هذا الصدد رأي الكوفيين القائل يجوز تشديد النون حتى مع الياء تعويضاً بالتشديد عن ياء الذي والتي فيقول في ذلك : ويجوز التشديد أيضاً مع الياء ، وهو مذهب الكوفيين فيقال اللذين واللتين (٣) وقد قرىء ( ربَّنَا أَرِنَا اللُّذِينَ ) (٤) بتشديد النون .

وهكذا وبما ذكرناه من المراجع النحوية وما ورد فيها من ذكر للقراءات يتبين لنا من خلال ذلك أن أصحاب هذه المراجع عندما كانوا يستدلون بالقراءة أو يؤيدون بها وجهة ما فهم يؤيدون أو يستدلون بالقرآن ، وليس فقط بطريقة القراءة للفظ .

ولعل هذا يفسر لنا اعتمادهم في كثير من القواعد على القراءة بنوعها المتواتر منها والشاذ دون أن يؤثر على تأييدهم أو استدلالهم ما كان لبعض النحاة من موقف معين نحو الأخذ بالقراءة أو الاستشهاد بها .

ومن هنا نقول : إن أثر القراءات في كتب النحو ومراجعته ان هو الا امتداد لأثر القرآن بشكل عام في هذه الكتب وتلك المؤلفات ؛ كما أن موقفهم هذا يعتبر رداً حياً على هؤلاء النحاة الذين اتسموا بموقف المتهم من القراءات بكل أنواعها وبدون استثناء .

(١) سورة آل عمران آية ٦٩ ، الأنعام ٤٨ ، الأعراف آية ٣٥

(٢) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٦٦

(٣) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٢٣

(٤) سورة فصلت آية ٢٩

وفي صنيمهم هذا انتصار لرأي من اعتمد من النحاة على القراءة فيما بناه من  
قواعد أو ارتآه من آراء وليس في ذلك عجب أو غرابة فما القراءات إلا من  
الرسول العظيم الذي لا ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحي يوحى .



## الفصل الثالث

### القرآآت وأثرها في بناء القوآعد النحويّة

إن أثر القراءات في المذاهب النحوية أو المراجع النحوية ما هو في واقعه إلا أثر للقراءات في بناء القاعدة النحوية ذاتها فنحن عندما نتحدث في هذا الصدد ، أي في صدد تبيان أثر القراءات في بناء القواعد النحوية ومظاهر هذا التأثير فلسنا في الحقيقة إلا موضحين لأثرها الذي تحدثنا عنه في مذاهب النحو ومراجعته .

وإذا ما تحرينا دقة البحث في موضوع يتعلق بالنحو ومدى ما كان للقراءات من أثر فيه فلا بد من القول بأن هذه القراءات لم تكن كلها ذات تأثير في هذا المجال لأنها في الواقع كما نرى تنقسم إلى أربعة أنواع .

١ - قراءة نحوية .

٢ - قراءة لغوية .

٣ - قراءة صوتية .

٤ - قراءة صرفية .

فالقراءة النحوية هي ما تعيننا في بحثنا أكثر من غيرها وحسبنا تمثيلا لها ما سنمثل به في صدد الحديث عنها ، وأما القراءة اللغوية فمثل قراءة قوله

تعالى : ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ) (١) بكسر السين في عسى  
أو بفتحها ومثلها كذلك قراءة ( مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ) (٢)  
وقراءة قوله تعالى ( كَيْفَ نُنشِئُهَا ) (٣) وكيف ننشئها وأمثلة ذلك  
كثيرة يضيق عنها الحصر أو القصر .

وأما القراءة الصوتية فكقراءة قوله تعالى ( لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ ) (٤)  
وكقوله ( فَيَهْدَاهُمْ ) (٥) وذلك بأثبات هاء السكت في درج  
الكلام (٦) وكامالة الألف في قوله تعالى : ( والضحى ) (٧) كقراءة  
أبي عمرو (٨) .

وأما القراءة الصرفية فكقراءة قوله تعالى ( لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ) (٩)  
وقراءة ( ايلافهم ) (١٠) بتحقيق الهمزة وكقراءة قوله تعالى كذلك ( إِنْ  
كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ) (١١) بإبدال الواو ياء مع ادغامها في الياء .

كل هذه القراءات وأمثلتها أكثر مما ذكرنا لا تعيننا في بحثنا بقدر ما تعيننا  
القراءة التي تتعلق بقاعدة نحوية أو رأي نحوي وهو ما نعقد هذا الفصل  
من أجله .

- 
- (١) سورة محمد آية ٢٢
  - (٢) سورة الضحى آية ٣
  - (٣) سورة البقرة آية ٢٥٩
  - (٤) سورة البقرة آية ٢٥٩
  - (٥) سورة الانعام آية ٩٠
  - (٦) أوضح المسالك - ٣ ص ٢٩٥ ، الاشموني ج ٤ ص ٢١٩
  - (٧) سورة الضحى آية ١
  - (٨) أوضح المسالك - ٣ ص ٢٩٥
  - (٩) سورة الاعراف آية ١٠ ، سورة الحجر آية ٢٠
  - (١٠) سورة قريش آية ٢
  - (١١) سورة يوسف آية ٤٣

وعلى ذلك نقول : بأن القراءات بكل أنواعها سواء منها ما تواتر أو شذ كانت أرضاً ممرعة خصبة جال فيها علماء النحو وأخذوا منها ما أخذوا أو ردوا منها ما ردوا حتى كونوا بذلك ثروة نحوية عظيمة لا زلنا نقلب صفحاتها على مر الأيام والسنين .

وإذا ما تتبعنا كل ما ورد في المراجع النحوية من القراءات وما دار حولها من قواعد وآراء سيتبين لنا بأن الأثر الذي خلفته القراءة في القاعدة النحوية وبنائها كان على أنواع شتى توضح لنا شمول الأثر واستيعابه لكل ما دار حول النحو وكتبه وعلمائه ومذاهبه . إذ لم تكن القراءات في تأثيرها تتجه في مجال واحد أو تؤثر في ناحية معينة بل وجدناها أوسع من ذلك وأشمل ولايضاح هذه الحقيقة أقول : بأن القراءات قد اتخذت في تأثيرها في القواعد النحوية خمسة مظاهر هي كما يأتي :

أولاً : قراءات تولدت عنها قواعد نحوية مختلفة أو شاركت في بناء هذه القواعد : لا نستطيع في الواقع أن نحصر كل القواعد التي نتجت عن قراءة ما أو تولدت منها ، فهي أكثر من أن تحصر أو تحد في رقم ، ولكن ما نستطيع أن نقوله في هذا الصدد هو أن القراءة كان لها أثر كبير في توليد كثير من القواعد بمعنى أن القراءة ذاتها إما أنها كانت سبباً في وضع القاعدة التي لم تكن موجودة قبل وجود القراءة ، أو أسهمت بقوة في بناء هذه القاعدة ، ولقد كانت القواعد التي أسهمت القراءات في بنائها أو عملت على هذا البناء ابتداء قواعد متنوعة بالنسبة لأصحابها فمنها القواعد العامة التي لم تنسب إلى شخص أو مذهب ومنها ما نسب إلى مذهب معين أو إلى شخصية معينة ، فمن القواعد التي أسهمت القراءات في بنائها وهي قواعد عامة ما يلي :

١ - قاعدة نصب الفعل المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء ، حملاه على

التمني ، لقد أخذت هذه القاعدة من قراءة حفص لقوله تعالى : ( لَعَلَّيْ  
أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ / أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ ) (١) بنصب « أطلع »  
كما أخذت كذلك من قول القائل :

علَّ صروف الدهر أو دولاتها تدلنا اللمة من للماتها  
فتستريح النفس من زفراتها

بنصب تستريح بعد الفاء وقد منع البصريون ذلك وتأولوه بما فيه بعد (٢)  
وأقره الفراء (٣) وهو الصحيح لثبوت ذلك في القرآن (٤) في قوله تعالى :  
( لَعَلَّهُ يَزَّكِّيَ / أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذَّكْرَى ) (٥) .

٢ - قاعدة حكم الفعل المضارع المقسطن بالفاء أو بالواو إذا ولي فعل  
الشرط وجوابه وجواز رفعه على الاستئناف أو جزمه على العطف أو نصبه  
بإضمار أن .

أخذت هذه القاعدة من القراءات التي قرئت بها لقوله تعالى : ( وَإِنْ  
تُبَدُّوْا مِمَّا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ  
لِمَنْ يَشَاءُ ) (٦) حيث قرأ عاصم وابن عامر برفع « فيغفر » كما قرأ غيرهم  
بالجزم ، وقرأها ابن عباس بالنصب كما أخذ من قوله تعالى : ( مَنْ يُضْلِلِ  
اللهُ فلا هاديَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ) (٧) حيث قرىء بالوجه الثلاثة (٨) .

(١) سورة غافر آية ٣٦ ، ٣٧

(٢) الأشموني ج ٣ ص ٣١٣

(٣) نفس المرجع ص ٣١٢

(٤) شرح شواهد الأشموني للعيني ج ٣ ص ٣١٢

(٥) سورة عبس آية ٣ ، ٤

(٦) سورة البقرة آية ٢٨٤

(٧) سورة الاعراف آية ١٨٦

(٨) أوضح المسالك ج ٣ ص ١٩٥

وقد أسهمت هذه القراءة في بناء هذه القاعدة مع قول التابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام  
ونأخذ بعده يجنب عيش أجب الظهر ليس له سنام  
بالوجه الثلاثة في الفعل « نأخذ » (١) .

ومن القواعد التي بنيت من القرآن ابتداء ما يلي :

١ - قاعدة نصب أو رفع الفعل المضارع الواقع بعد أن الخففة من الثقيلة  
والمسبوقة بفعل من أفعال الرجحان .

أخذت هذه القاعدة من قوله تعالى : ( وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونُ  
فِي تَنْزِيلٍ ) (٢) حيث قرأها أبو عمرو وحزة والكسائي برفع تكون كما قرأها  
غيرهم بالنصب (٣) .

٢ - قاعدة جواز الوقف على الاسم المنقوص باثبات الياء : أخذت هذه  
القاعدة من قراءة ابن كثير لقوله تعالى : ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) (٤) .

ومن القواعد المذهبية التي بنيت من القراءة ما يلي :

١ - قاعدة معاملة ثم كالفاء والواو في نصب الفعل المضارع بعد فعل الشرط ،  
فكما يقال مثلاً : أن تعمل الخير وتحسن إلى الفقراء يشبك الله . وان تعمل  
الخير فتحسن إلى الفقراء يشبك الله بنصب الفعل تحسن يقال كذلك : إن تعمل  
الخير ثم تحسن إلى الفقراء يشبك الله وذلك بنصب الفعل المضارع بعد ثم (٥)  
فقد بنى الكوفيون هذه القاعدة على قراءة الحسن لقوله تعالى : ( وَمَنْ يَخْرُجْ

(١) الأشموني ج ٤ ص ٢٤

(٢) سورة المائدة آية ٧١

(٣) الأشموني ج ٣ ص ٢٨٣

(٤) سورة الرعد آية ٧

(٥) المغني ج ١ ص ١١٩

مَنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ (١) بنصب الفعل المضارع « يدرك »

٢ - قاعدة إعمال أن المخففة من الثقيلة إعمال الثقيلة : هذه كقاعدة يراها البصريون (٢) وقد بنوها على قراءة نافع لقوله تعالى : ( وَإِنْ كُنَّا لَنُؤْفِقُنَّهُمْ رَيْثُكَ أَعْمَالَهُمْ ) (٣) .

وقد تبنى من القراءة قاعدة مشتركة بين البصريين والكوفيين وذلك قاعدة إعمال إن عمل ليس إذا دخلت على الجملة الاسمية ، فهذه قاعدة بناها الكسائي على قراءة سعيد بن جبير (٤) لقوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ ) (٥) وقد وافقه عليها معظم الكوفيين وطائفة من البصريين وقد تقدم ذكر هذه القاعدة .

وأما القواعد الشخصية التي ارتآها أشخاص معينون ونسبت من ثم إليهم فإن النحاة قد اعتمدوا كثيراً على القراءات في بناء وتأسيس مثل هذه القواعد ولعل السبب في إقبال هؤلاء على القراءة يستوحونها قواعدهم كون كثير منهم قد جمع بين الإشتغال بالقراءات من ناحية والاهتمام بالنحو من ناحية أخرى فكانت بذلك طبقة من القراء النحويين اللغويين أمثال عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء وأبي الأسود الدؤلي والكسائي والحليل .

ولم يكن اعتماد النحوي على القراءة في بناء قاعدة شخصية مرتبطاً بمذهبه الذي ينتمي إليه ، بل كان أحياناً وهو ما نعميه في هذا الباب يختص بالقاعدة التي يرتئها مستنداً إلى القراءة التي يعتقد فيها بأنها تؤيد ما قد رآه بل إن من

(١) سورة النساء آية ١٠٠

(٢) الانصاف مسألة ٢٤ ص ١٣٤

(٣) سورة هود آية ١١١

(٤) الأشموني ج ١ ص ٢٥٥

(٥) سورة الاعراف آية ١٩٤

الدعاة الذين اعتمدوا على القراءة في بناء قواعدهم من لم ينتم إلى مدرسة أو مذهب معين كابن هشام أو من كان ينسب إلى مدرسة ما ولكن قد اتسم باستقلال الشخصية كابن مالك .

وعلى ذلك أقول : بأن القواعد الشخصية التي بنيت على القراءات إنما هي آراء مستقلة في الغالب عن المذاهب والمدارس التي ارتأها أصحابها بعيداً عن التأثير بما ينتمون إليه من قريب أو بعيد .

ولكن هذا لا يعني أن تنسب هذه الآراء فيما بعد إلى هذا المذهب أو تلك المدرسة وخاصة إذا كانت لنحوي له مكانته في مذهبه أو مدرسته فليس من البعيد مثلاً أن يرى الكسائي رأياً نحوياً يعتمد فيه على قراءة معينة ثم لا يلبث هذا الرأي أن ينسب إلى المذهب فيقال هذا رأي الكوفيين وقد وقع مثل هذا كثيراً .

وذلك كقاعدة نصب المضارع بعد الفاء إذا وقعت بعد الترجي قياساً له على التمني وكذلك قاعدة اعمال أن عمل ليس إذا دخلت على الجملة الأسمية وقد ذكرنا سابقاً أن الأولى نسبت إلى الفراء وأقرها كما أن الثانية قد نسبت إلى الكسائي واعتبرت القاعدتان قاعدتين كوفيتين .

غير أن هذه النسبة بالذات لا تعني بالضرورة أن يكون علماء المذهب الواحد قد أقروا ذلك الرأي وأيدوه ، فلقد لمسنا في المذهب الواحد اختلافاً كبيراً بين علمائه وأفذاذه وهذا ما يجعلنا نقول بأن الرأي الواحد إذا لم يؤيد من قبل الآخرين يظل شخصياً حتى ولو نسب إلى المذهب أو المدرسة ولن يكون مذهباً إلا إذا اعتمده أغلب نحاة المذهب وعلمائه .

وعلى ذلك نرى أن القواعد الشخصية التي بنيت على قراءات مختلفة من الكثرة ما لا نستطيع أن نحصرها في هذا المكان غير أننا نعرض لأمثلة منها ، وهي :

١ - قاعدة تأنيث الفعل للفاعل المنفصل بيلاً في النثر : جوز النجاة مثل  
هذا في الشعر اعتماداً على قول الشاعر :

ما برئت من ربيعة وذم في حربنا إلا بنات المم  
ولم يجوزه أحد في النثر إلا ابن مالك<sup>(١)</sup> وقد اعتمد في ذلك على قراءة  
قوله تعالى : ( إن كانت إلا صبيحة )<sup>(٢)</sup> وقوله كذلك : ( فأصبحوا  
لا يرى إلا مساكنهم )<sup>(٣)</sup> برفع صبيحة ومساكن .

٢ - قاعدة العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار فهذه القاعدة قد  
تقدمت وهي فضلاً عن كونها قاعدة من قواعد المذهب الكوفي إلا أنها قد  
ارتثيت كذلك من قبل شخصيتين بصريتين مما بونس والأخفش<sup>(٤)</sup> وقد  
اعتمدنا في رأينا ما اعتمد عليه الكوفيون وهو قراءة قوله تعالى : تسألون  
به والأرحام . يجر كلمة الأرحام بدون إعادة الخافض معها .

٣ - جواز حذف المبتدأ المقترن بالفاء بعد الشرط : بناها ابن مالك على  
قراءة طاووس<sup>(٥)</sup> لقوله تعالى : ( ويسألونك عن اليتامى قُلْ إصلاحٌ  
لهم خيرٌ )<sup>(٦)</sup> أي : أصلح لهم فهو خير على اعتبار أن الأمر في الآية الكريمة  
قد تضمن معنى أداة الشرط .<sup>(٧)</sup>

٤ - مجيء إلى زائد للتوكيد : رأها القراء واستدل لها بقوله تعالى :

(١) أوضح المسالك ج ١ ص ٢٥٩ الأشموني ج ٢ ص ٥٣

(٢) سورة يس آية ٢٩

(٣) سورة الاحقاف آية ٢٥

(٤) الأشموني ج ٣ ص ١١٤

(٥) شواهد التوضيح لابن مالك ص ١٣٣

(٦) سورة البقرة آية ٢٢٠

(٧) شواهد التوضيح ص ١٣٣

(فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) (١) في قراءة من فتح الواو من الفعل « تهوي » (٢) وقد قيل أن الفعل قد ضمن معنى تميل (٣) فلا زيادة .

٥ - قاعدة دخول لام الابتداء على خبر أن المفتوحة : أجازها المبرد (٤) بناء على قراءة سعيد بن جبير (٥) لقوله تعالى : (إلأنهم ليأكلون الطعام) (٦) بفتح همزة ( أن ) ويرى غيره أن اللام زائدة وليس دخولها مقبسا بعد أن المفتوحة . (٧)

### ثانياً قراءة أيدت بها قاعدة نحوية :

لم يقتصر أثر القراءات في القاعدة النحوية على بنائها أو استنتاجها منها ، بل تعداه كذلك إلى تأييد القاعدة وتثبيتها فقد كان العلماء يلقون بأرائهم وقواعدهم يتلوهون لها ما يستطيعون الحصول عليه من أدلة وشواهد من القرآن والحديث أو من الشعر والنثر : وبمقدار ما يكون عليه دليل القاعدة من قوة وصحة تكون عليه القاعدة من الثبات والصحة كذلك .

ولقد كانت القراءات مجالاً واسعاً للأئمة والعلماء وجدوا فيها من الأدلة ما يتسع لقواعدهم ونظرياتهم سواء منهم البصريون أم الكوفيون وسواء البصريون أم الشاميون إلا أن الكوفيين ظلوا في هذا المجال أسبق من غيرهم سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى المدرسة والمذهب .

(١) سورة إبراهيم آية ٣٧

(٢) الأشموني ج ٢ ص ٢١٤

(٣) البرهان ج ٤ ص ٢٣٤ ، الأشموني ج ٤ ص ٢١٤

(٤) الممع للسيوطي ج ١ ص ١٨٢ ، الأشموني ج ١ ص ٢٨٠ ، المغني ج ١ ص ٢٣٣

(٥) المغني ج ١ ص ٢٣٣

(٦) سورة الفرقان آية ٢٠

(٧) المغني ج ١ ص ٢٣٣

وإذا كان العلماء بالفعل قد استندوا إلى القراءة في تأييد ما يرون فلا غرابة في ذلك فالقراءة كما ذكرنا إن هي الا قرآن وبالتالي يكون الاحتجاج بها بمرتبة حجية القرآن نفسه بقطع النظر عما ورد في هذا الصدد من تأييد أو دفع أو معارضة فإنه بالرغم من كل ذلك تبقى القراءة الصحيحة في منزلة القرآن من حيث صحة الاحتجاج بها وقوته وهي وإن لم تكن كذلك فهي على الأقل أولى بالاعتبار من بيت شعري أو قول نثري عرف قائلها أم لم يعرف وعليه أقول :

لقد اجتهد كثير من علماء النحو ووضموا القواعد الخاصة بهم فمنهم من وجد لنفسه الدليل فأيد به ما رأى ومنهم من لم يجد حق جاء من بعده من المؤلفين الذين نقحو النحو وبيوه وشرحوا متونه ومنظوماته فأوردوا لهؤلاء العلماء آراءهم وسجلوا لهم قواعدهم ثم تطوعوا من أنفسهم في بعض الأحيان بالاستدلال لهذه الآراء بما يرونه من القراءات المناسبة فكونوا بهذا وذلك حصيلة قيمة ثرة من القواعد الثابتة التي قامت على القراءة فاستمدت بذلك القوة والصحة والثبات وتحصنت من كل معارضة أو رد أو دفع .

ومن القواعد التي حظيت بقراءات تؤيدها وتسندها ما يأتي :

١ - حذف المضاف إليه مع قبل وبعد دون نيته لا لفظاً ولا تقديراً : تعتبر هذه الحالة من حالات قبل وبعد <sup>(١)</sup> وهي الحالات التي استقصاها العلماء وسجلوها وقد أيدت بقراءة القاري لقوله تعالى ( قل الأمر من قبل ومن بعد ) <sup>(٢)</sup> وذلك بتنوين كلمتي قبل وبعد على اعتبار أنها قد قطعتا عن الإضافة لفظاً ومعنى وهما في هذه الحالة نكرتان لتنوينها . <sup>(٣)</sup>

٢ - الاسم المفرد المقترن بأل والمعطوف على منادى ، وذلك مثل يا محمد

(١) الأشموني ج ٢ ص ٢٦٩ المقتضب ج ٤ ص ٢٠٧

(٢) سورة الروم آية ٤

(٣) المقتضب للبرد ج ٤ ص ٢٠٧ الأشموني ج ٢ ص ٢٧٠

والغلام ، مثل هذا المعطوف يجوز فيه الرفع عطفاً على لفظ محمد ويجوز فيه  
النصب مراعاة لمحلّه (١) وقد أيد وجه النصب بقراءة السبعة لقوله تعالى ( يا  
جِبَالُ أَوْتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ) (٢) كما أيد الرفع بقراءة اختارها الخليل  
وسيبويه (٣) .

٣ - صرف الممنوع من الصرف لإرادة التناسب - أيدت هذه القاعدة  
بقراءة نافع والكسائي (٤) ( سَلَسِيلاً وَأَعْتَلَالاً وَسَعِيرًا ) (٥) صرف  
لمناسبة اقترانه بكلمة أغللاً وهي مصروفة كما أيدت بقراءة الأعمش بن مهران (٦)  
لقوله تعالى ( وَلَا يَتَخَوُّنَا وَيَعْوِقَا وَنَسْرًا ) (٧) بصرف يعوق ويعوق  
وهما يحتويان على سبب المنع من حيث علميتهما ووزن الفعل فيهما وذلك لمناسبة  
نسرًا وهي كلمة منونة (٨) .

٤ - رفع الفعل المضارع الدال على الحال بعد حتى : أيدت هذه القاعدة  
بقوله تعالى : ( وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ ) (٩) وذلك برفع الفعل  
المضارع يقول لدلالته على الحال وذلك حسب قراءة نافع (١٠) .

٥ - نصب الاسم المشغول عنه إذا لم يقم سبب لوجوب نصبه أو رفعه (١١)

(١) أوضح المسالك ج ٣ ص ٨٧

(٢) سورة سبأ آية ١٠

(٣) أوضح المسالك ج ٣ ص ٨٧

(٤) الأشموني ج ٣ ص ٢٧٥

(٥) سورة الانسان آية ٤

(٦) الأشموني ج ٣ ص ٢٧٥

(٧) سورة نوح آية ٢٣

(٨) الأشموني ج ٣ ص ٢٧٥

(٩) سورة البقرة آية ٢١٤

(١٠) المغني ج ١ ص ١٢٦

(١١) الأشموني ج ٢ ص ٨٢

أيدت هذه القاعدة بقراءة قوله تعالى ( جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ )<sup>(١)</sup> بنصب جنات ، كما أيدت هذه القاعدة بقول الشاعر : علقمة أو بلعارث بن كعب .

فارساً ما غادروه ملحمًا غير زميل ولا نكس وكل

٦ - قد تحذف الصفة ويبقى موصوفها : وقد استدل النحاة لهذه القاعدة بقوله تعالى : ( يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا )<sup>(٢)</sup> فالسفينة موصوفة وقد حذفت صفتها وهي كلمة سالحة أي يأخذ كل سفينة سالحة غصبًا وقد أيد وجود الحذف وصحته بقراءة الآية ( وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة سالحة غصبًا )<sup>(٣)</sup> وهناك جزء بيت من الشعر هو : ولم أعط شيئًا ولم أمنع : أي لم أعط شيئًا طائلاً وهذا القول للعباس بن مرداس .

٧ - قاعدة اتيان ( مع ) اسماً : استدل عليها سيبويه في حكايته : ذهبت من معه ، كما استدل على ذلك بتنوين هذه الكلمة ، إذ يقال معاً (٤) وقد أيدت هذه القاعدة (٥) بقراءة قوله تعالى : ( هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي )<sup>(٥)</sup>

٨ - قاعدة الحاق الفعل بعلامتي التثنية والجمع إذا كان فاعله مثنى أو مجموعاً المعروف أن الفعل إذا أسند للفاعل المثنى أو المجموع جرد من علامتها فيقال : جاء الحمدون وجاء الحمدان ولا يقال جاؤوا أو جاءا ، وقد أجاز جمع من النحاة مثل هذا التركيب ونسبوا إليه أنه لغة لطية<sup>(٦)</sup> وقد استدلوا

(١) سورة الرعد آية ٢٣

(٢) سورة الكهف آية ٧٩

(٣) الأشموني ج ٢ ص ٧١

(٤) المغني ج ١ ص ٣٣٣

(٥) الاتقان ج ١ ص ١٧٦ سورة الأنبياء آية ٢٤

(٦) الأشموني ج ٢ ص ٤٨

عليه بأدلة كثيرة منها قول الرسول عليه الصلاة والسلام : يتماقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار ومنها قول الشاعر :

يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يعدل

كما استشهد لها كذلك بالقرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : ( وأسروا النَجْوى الذين ظَلَمُوا ) (١) وقد أيد ابن مالك هذا الوجه بقراءة الحسن ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ) (٢) حيث قال في ذلك : وفي قراءة الحسن شاهد للغة ( أكلوني البراغيث ) (٣) .

٩ - مجيء أن بمعنى لعل، وقد تكون أن مفتوحة الهمزة بمعنى لعل كما في قوله تعالى : ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) (٤) وقد أيدت هذه القاعدة بقراءة الآية هكذا : ( وما يشعركم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ) (٥) وقد رأى هذا الرأي من النحاة الخليل بن أحمد ؛ وأيده فيها الزجاج ورده الفارسي حيث قال : « التوقع الذي في لعل ينافية الحكم بعدم إيمانهم » (٦) .

١٠ - قاعدة انابة غير المفعول به عن الفاعل إذا وجد : تتمين انابة المفعول به عن الفاعل إذا وجد ولا تجوز نيابة غيره عنه وهذا مذهب سيبويه ومن تابعه (٧) .

- 
- (١) سورة الأنبياء آية ٣
  - (٢) سورة الاسراء آية ٧١
  - (٣) شواهد التوضيح ص ١٧٢
  - (٤) سورة الانعام آية ١٠٩ - البرهان - ٤ ص ٢٣٠
  - (٥) تفسير أبي السمود - ٢ ص ١٢٧
  - (٦) المغني ج ١ ص ٢٥١
  - (٧) الأشعوري ج ٢ ص ٦٧ .

وقد ينوب غير المفعول به عن الفاعل وذلك كالظرف والجار المجرور ،  
وقد ذهب إلى هذا الرأي الكوفيون ووافقهم عليه الأخفش (١) واستدلوا  
لذلك بأبيات من الشعر منها :

لم يعن بالعلياء إلا سيدا ولا شفى ذا النغي إلا ذو هدى  
وقوله كذلك :

وإنما يرضى المتيب ربه ما دام معنياً بذكر قلبه  
وقد أبدت هذه القاعدة (٢) بقراءة أبي جعفر : ( لِيَسْجُزِيَ قَوْمًا بِمَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ ) (٣) ، بأنابة الجار والمجرور ( بما ) مع وجود المفعول به  
وهو لفظ ( قوماً ) .

١١ - قاعدة تقدم الحال على صاحبها المجرور واستدل لهذه القاعدة  
بقراءة من قرأ قوله تعالى : ( وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ) (٤) بنصب  
مطويات وبقراءة قوله تعالى : ( مَا فِي بُطُونِهِمْ هَذِهِ الْأَنْعَامُ خَالِصَةٌ  
لِذِكُورِنَا ) (٥) وفي ذلك يقول الأشموني : ( واستدل المهيز بقراءة من قرأ  
الآيتين بنصب ( مطويات ) و ( خالصة ) (٦) . واستدل لها ببيت من الشعر  
للنابغة وهو :

رهط ابن كوز محققي أذراعهم  
فمهم ورهط ربيعة بن حذار  
فمحققي حال من فيهم .

(١) نفس المرجع ج ٢ ص ٦٨

(٢) نفس المرجع ص ٦٧

(٣) سورة الحاثية آية ١٤

(٤) سورة الزمر آية ٦٧

(٥) سورة الأنعام آية ١٣٩

(٦) الأشموني ج ٢ ص ١٨١

١٢ - يرى البصريون أن ألف ( كلا وكلتا ) ليستا للتثنية بل هي كألف عصا ورحا بدليل جواز إِمالتها (١) ويعتمدون في هذا الرأي على قراءة حمزة والكسائي لقوله تعالى : ( كَلِمَاتُ الْجَنَّةِ آتَتْ أَكْلُهَا ) (٢) وبقوله تعالى : ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ) (٣) وذلك بإحالة الألف في لفظي كلا وكلتا في الآيتين .

١٣ - قاعدة حذف الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر . يرى الفراء قياسية هذا الحذف إذا كان الضمير منصوباً مفعولاً به (٤) وقد نقل الصقار أنه مذهب الكسائي كذلك . وجملوا منه قول الشاعر :

قد أصبحت أم الخيار تدعي عليّ ذنباً كله لم أصنع  
على اعتبار أن ( كل ) مبتدأ وقد حذف الضمير العائد عليه من ( أصنع )  
وقد نقل ابن مالك الإجماع على جواز هذا الحذف (٥) بينما منعه البصريون (٦)  
واستنكره أبو حيان في البيت المذكور بقوله : لا أعلم له سلفاً في ذلك (٧) .  
ويحوز البغدادي في خزائنه هذا الوجه بقلة لوروده في المتواتر (٨) وذلك  
في قراءة ابن عامر في سورة الحديد فقط : ( وكلّ وعَدَّ اللهُ الحُسنى ) (٩)  
بينما قرأها بالنصب في سورة النساء (١٠) .

(١) الانصاف مسألة ٦٢ ص ٢٦٣

(٢) سورة الكهف آية ٣٣

(٣) سورة الاسراء آية ٢٣

(٤) خزانة الادب للبغدادي ج ١ ص ٣٥٩

(٥) نفس المرجع .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

(٨) نفس المرجع .

(٩) سورة النساء آية ٩٤ - سورة الحديد آية ١٠

(١٠) خزانة الادب ج ١ ص ٣٥٩

ويبدو أن القرآن لا يميز مثل هذا الحذف إلا إذا كان المبتدأ لفظ  
 « كل » ويرده البغدادي بقوله : والصحيح أن هذا الحذف يجوز بقلة في خبر  
 مبتدأ غير لفظ كل (١) ويؤيد ما ذهب إليه من رد بقراءة يحيى وإبراهيم  
 والسلمى قراءتهم الشاذة (٢) وهي قوله تعالى : ( أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ  
 يَبْتَغُونَ ) (٣) أي يبغونه .

ثالثاً : قراءة ردت بها قاعدة نحوية : لم تقتصر مهمة القراءة على توليد  
 القاعدة النحوية أو دعمها وتأييدها ، بل كانت في بعض الأحيان كذلك ناقضاً  
 لهذه القاعدة ودافماً لها ، فقد اعتمدت بعض المذاهب كما اعتمد بعض النحاة على  
 القراءات في نقض ما قد يرى غيرهم من آراء لم تنسل موافقتهم أو تأييدهم  
 فنجدهم قد اتخذوا من القراءة دليلاً عكسياً على صواب ما يرون وخطأ ما  
 يراه غيرهم ، ونستطيع في هذا المجال أن نعتبر كل رأي شخصي أو مذهبي  
 ( بني على قراءة ما واختص بمن نسب إليه ) ناقضاً لغيره وراداً أي أن  
 مثل هذه القراءة التي اعتمد عليها ذلك النحوي أو هذا المذهب يعتبر من هذا  
 الباب الذي نحن في صددده . ونضيف إلى ذلك الأمثلة التالية :

١ - قاعدة بناء حيث على الضم وعدم اعرابها وليس غير : نقض هذا  
 يجوز اعرابها اعتماداً في ذلك على قراءة من قرأ حيث بالكسر (٤) في قوله  
 تعالى : ( مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ) (٥) .

٢ - قاعدة إضافة الزمن المهم إلى فعل معرب أو جملة إسمية ووجوب

(١) خزائن الادب ج ١ ص ٣٦٠

(٢) نفس المرجع .

(٣) سورة المائدة آية ٥٠

(٤) البرهان ج ٤ ص ٢٧٤

(٥) سورة الاعراف آية ١٨٢

اعرابه لدى البصريين ، نقض هذا الوجوب بقراءة نافع (١) لقوله تعالى :  
( هذا يومَ ينفع ) بفتح يوم وقراءة غير أبي عمرو وابن كثير ( يوم لا تمليك  
نفس ) (٢) بالفتح كذلك .

ونستطيع كذلك أن نعتبر من هذا النوع كل قراءة اعتمد عليها النحاة  
وترتب عليها استثناء من عموم أو حكم معلوم وذلك كقاعدة تأنيث الفعل  
للفاعل المنفصل بالا في النثر ، وهي القاعدة التي تقدم ذكرها في صدد الحديث  
عن أثر القراءة في بناء القاعده النحوية ، وهي من القواعد التي اختص بها ابن  
مالك ونقض حصر النحاة لهذا التأنيث في الشعر فقط (٣) حيث استطاع  
بقراءة قوله تعالى : ( إن كانت إلا صبيحة ) (٤) بالرفع وقوله أيضاً:  
( فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ) (٥) أن ينقض هذا الحصر  
وينشئ في الوقت نفسه قاعدة أخرى .

رابعاً : قراءة ترتبت عليها وجوه إعرابية في الآية الواحدة :  
كانت القراءات في بعض الأحيان سبباً في اختلاف النحاة في توجيه الآية  
الكرمية من حيث اعرابها ، وأمثلة ذلك ما يلي :

١ - قراءة بعضهم لقوله تعالى : ( إننا كُلفُ فيها ) (٦) وقد وقف  
النحاة من إعراب ( كُلفُ ) المواقف الآتية : يرى الفراء والزخشيري :  
أن ( كُلفُ ) توكيد لاسم أن ويرى ابن مالك أنها حال (٧) أي حال من الضمير

(١) المغني ج ٢ ص ٥١٨

(٢) سورة الانقطار آية ١٩

(٣) أوضح المسالك ج ١ ص ٣٥٨

(٤) سورة يس آية ٢٩

(٥) سورة الأحقاف آية ٢٥

(٦) سورة غافر آية ٤٨

(٧) المغني ج ٢ ص ٥١٠

المستقر في الجار والمجرور المرفوع، ويعارض ابن هشام في معنيه هذين الاعرابين ويقول والصواب أنها بدل ، وابدال الظاهر من ضمير الحاضر بدل كل جائز إذا كان مفيداً للاحاطة (١) .

ولم يقتصر ابن هشام على ابداء رأيه في اعراب كلا بسـل وجدناه يضعف رأي ابن مالك في إعرابه المذكور من ناحيتين وهما (١) تقديم الحال على عامله الظرف (٢) قطع كل عن الاضافة لفظاً وتقديراً لتكون نكرة (٣) وبالتالي يصح أن تكون حالاً .

٢ - قراءة ابن أبي عميلة لقوله تعالى : ( فَإِنَّهُ أَنَّمْ قَلْبَهُ ) (٤) بنصب قلبه : وقف النحاة في اعراب هذه الكلمة كما يأتي : يرى مكي أنها تمييز ويضعفه ابن هشام ويمررها تشبيهاً بالمفعول به أو بدلاً من اسم ان (٤) .

٣ - قراءة قوله تعالى : ( وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ) (٥) برفع ونصب ( مودة ) وقد ترتب على هاتين القراءتين ما يلي : إذا قرئت كلمة ( مودة ) بالرفع كانت ما بمعنى : الذين وهي اسم ( ان ) أي : أن الذين اتخذتمهم أوثاناً من دون الله مودة بينكم ، ومن قرأها بالنصب كانت ( ما ) كافة وأوثاناً مفعول ومودة مفعولاً ثانياً أو مفعولاً لأجله (٦) .

٤ - قراءة قوله تعالى : ( لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُواْ وَجُوهَكُمْ قِبَلَ

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٣

(٤) المقفي ج ٢ ص ٥٧٢

(٥) سورة العنكبوت آية رقم ٢٥

(٦) اعراب القرآن للزجاج ج ٣ ص ٩٢٠

المَشْرِقِ والمَغْرِبِ (١) بنصب البر وهي قراءة السبعة (٢) وقد قرئت بالرفع كذلك ، فعلى القراءة الأولى يكون لفظ ( البيرة ) خبراً لليس وعلى الثانية يكون اسمها وهو أقوى بحسب المعنى (٣) .

٥ - قراءة قوله تعالى : ( وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ )  
المَقْوُ (٤) قرئت كلمة العفو بالنصب كما قرئت بالرفع ، وعلى القراءتين يختلف اعراب الآية : فعلى نصب العفو تعرب ما مفعولاً به لينفقون وعلى قراءة الرفع تعرب ( ما ) استفهامية وهي مبتدأ وذا موصولة والعفو خبر لمبتدأ محذوف تقديره : المنفق (٥) .

٦ - قراءة قوله تعالى : ( قَالَتْ مَوْسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ ) (٦)  
فقد قرئت كلمة السحر كما ذكرنا كما قرئت هكذا ( السحر ) أو ما جئتم به سحر فعلى القراءة الأولى تعرب ما موصولة وهي مبتدأ والسحر خبرها ، وعلى الثاني ( ما ) مبتدأ وما بعده خبر وكلمة السحر بدلاً من ( ما ) أو خبراً لمبتدأ محذوف تقديره أهو السحر (٧) ويقوي الوجه الأول : القراءة الثالثة وهي : ما جئتم به سحر (٨) .

٧ - قراءة قوله تعالى : ( هَيْتَ لَكَ ) (٩) فقد قرئت كلمة هيت بفتح

- 
- (١) سورة البقرة آية ١٧٧  
(٢) المحتسب لابن جني ج ١ ص ١١٧  
(٣) تفسير أبي السعود ج ١ ص ١٤٩  
(٤) سورة البقرة آية ٢١٩  
(٥) أبو السعود ج ١ ص ١٦٧ اعراب القرآن ج ١ ص ١٩١ القواعد النحوية لمبد الحميد حسن ص ١٦٣  
(٦) سورة يونس آية ٨١  
(٧) المغني ج ١ ص ٢٩٨  
(٨) نفس المرجع السابق  
(٩) سورة يوسف آية ٢٣

الماء كما قرئت بكسرها فعلى الأولى تعرب اسم فعل ماض بمعنى تهبأت أو اسم فعل أمر بمعنى أقبل ، وعلى قراءة الكسر تكون فعلا بمعنى تهبأت (١) .

خامساً : قراءة تولدت عنها طرائف نحوية :

إن مما يسجل للقراءات وما خلفته من آثار في علم النحو أنها كانت سبباً في استحداث بعض الغرائب النحوية التي نددت عن المؤلفين بين الناس : ولنا نعي بالغرابة هنا الشذوذ وإنما نعي بذلك أن القراءة قد نتجت عنها قاعدة غير مألوفة أو شائعة ولعل ذلك من الأسباب التي جعلت القواعد النحوية أكثر من أن تحصر كما أنها سبب من الأسباب التي جعلت بعض النحاة يقولون تلك العبارة المشهورة عجبت لنحوي يخطيء بمعنى أن مجال الكلام وتعدد الوجوه في القول الواحد له من القواعد ما يبرره ويصححه دون أن يستطيع أحد تخطيطه طالما أن له ما يؤيده من صريح القول ومآثوره ، ومن أمثلة القراءات التي تولدت عنها مثل هذه الغرائب أو النوادر ما يأتي :

١ - إهمال أن الناصبة للمضارع وحملها على ما المصدرية ، المعروف أن

« أن » حرف ناصب ينصب الفعل المضارع إذا ما سبقه كقوله تعالى :

( والذي أطمعُ أنْ يتَغَيَّرَ لي ) (٢) .

ويرى البعض إهمالها وحملها على ما المصدرية ورفع الفعل المضارع بعدها

وقد أيدت هذه الوجهة بقراءة ابن محيص لقوله تعالى : ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ

يَتِمَّ الرِّضَاعَةَ ) (٣) وذلك برفع يتم على اعتبار أن « أن » مصدرية فقط

ولا عمل لها (٤) كما أيدت هذه القاعدة بقول لم يعرف قائله وهو قول

(١) المغني ج ١ ص ٢٢٢ أبو السعود ج ٣ ص ٦٢

(٢) سورة الشعراء آية ٨٢

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٣

(٤) المغني ج ١ ص ٣٠

الشاعر (١) :

أن تقرأن على أسماء ويحكنا مني السلام وأن لاتشعرا أحدا  
وإذا ما قارنا بين الدليلين وكون الدليل الثاني لم يعرف قائله تظل القراءة  
هي المؤيد الوحيد والقوي لهذه القاعدة الغريبة .

٢ - النصب بأن المضمر في غير المواضع المقررة لذلك : يعتبر هـ - ذا  
النصب غريباً ولم يؤيد من كلام العرب إلا بالقليل المأثور كقول الشاعر :  
ألا أيها الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي  
وكقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وقولهم كذلك : خذ اللص قبل  
ياخذك ، كما أبدت كذلك بقراءة النصب للفعل « فيدمغه » من قوله تعالى :  
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (٢) . وقوله تعالى كذلك في قراءة الحسن :  
قل أغير الله تأمروني أعبد .

٣ - جر لات للزمان : المعروف أن لات تنصب ما بعدها ولكن الغراء  
يرى أنها قد تجر الزمان الواقع بعدها (٣) وقد اعتمد في هذا القول على من قرأ  
قوله تعالى : ( ولات حين مناص ) (٤) يجز لفظ حين ، ولا يخفى ما في  
ذلك من الغرابة والخروج عن المألوف في مثل هذا اللفظ .

٤ - معاملة لم الجازمة معاملة لن الناصبة ونصبها للفعل المضارع بعدها (٥)  
المعروف عن لم والمهود فيها أنها تجزم الفعل المضارع بعدها ، وقد ذكر

(١) المغني ج ١ ص ٣٠

(٢) أوضح المسالك ج ٣ ص ١٨٠ الاشموني ج ٣ ص ٣١٥

(٣) الاشموني ج ١ ص ٢٠٦ ، المغني ج ١ ص ٢٥٥

(٤) سورة ص آية ٣

(٥) المغني ج ١ ص ٢٧٧

البعض بأنها تنصب كلن<sup>(١)</sup> وقد بنيت هذه الوجهة من قراءة قوله تعالى :  
( أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ )<sup>(٢)</sup> بنصب الفعل المضارع : وفي ذلك  
من الغرابة ما يفنينا عن ذكره وهو ما جعل ابن هشام يتعقبه ويقول في  
صدده : « وفيه نظر إذ لا تحل لن هنا وإنما يصح أو يحسن حمل الشيء على  
ما يحل محله كما قدمنا »<sup>(٣)</sup> .

وقد خرجت هذه القراءة على أن الفعل مؤكد بالنون الخفيفة ففتح لها ما  
قبلها ثم حذف ونويت<sup>(٤)</sup> .

٥ - نصب الفعل المضارع بعد الحصر إذا كان مقترناً بالفاء<sup>(٥)</sup> أخذت  
هذه القاعدة من قراءة قوله تعالى : ( وإذا قضى أمراً فإنما يقول له  
كُنْ فَيَكُونُ )<sup>(٦)</sup> بنصب الفعل المضارع لاقتترانه بالفاء ووقوعه بعد إنما  
الخاصة ، ولم يتوفر في هذه الآية ما يبرر نصب المضارع بالشروط والحالات  
التي عهد نصبه عليها إذا اقترن بالفاء .

وبذلك يتبين لنا أن مجال القراءة كان أوسع من أن يستدل بها على قاعدة  
مشهورة ، بل تعداه إلى بناء وتأييد قواعد تعتبر في حقيقتها من الغرابة بمكان .  
ولقد كان من القراءات كذلك ما يبدو في ظاهرها مخالفة للقواعد النحوية  
وهي في واقعها ليست بغريبة كما في النحو الأول وقد كانت أيضاً سبباً في الجدل  
والنقاش حولها ، فلقد كان للنحاة حولها مواقف عديدة يقفونها ويختلفون

(١) ابن عقيل ج ٢ ص ٣١٨

(٢) سورة الانشراح آية ١

(٣) للبرهان للزركشي ج ٤ ص ٣٨٠

(٤) المفني ج ١ ص ٢٧٧

(٥) الأثبوني ج ٣ ص ٣٠٥

(٦) سورة البقرة آية ١١٧

فياً بينهم حيا لها حق سجلت لهم في هذا الصدد قراءات كثيرة دار حولها نقاشهم وجدلهم ، الأمر الذي إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم بالفعل كانوا ينفقون من أوقاتهم الشيء الكثير حيا ل القراءه ، ومن هذه القراءات التي ليس فيها غرابة ولكنها تبدو كذلك مايلي :

١ - قال تعالى : ( إن هذان لساحران ) (١) قرئت هذه الآية بوجهين ، أحدهما ما تقدم والآخر بنصب ( هذين ) بالياء حسب رأي بعض النحاة ، ولعل القراءة الثانية لا خلاف في توجيهها لأن هذين اسم ان والسلام مؤكدة وساحران خبر ، ولكن القراءة الأولى وهي تخفيف إن ورفع ( هذان ) هي القراءة التي دار حول توجيهها خلاف كبير بين النحاة وبما قيل في توجيهها ما يلي : ( إن ) بمعنى نعم و ( هذان ) مبتدأ ، ويضعفه وجود اللام مع الخبر (٢) وقيل كذلك أن ( ان ) مخففة واسمها ضمير الشأن محذوف (٣) ويضعف هذا الوجه كذلك أن « ان » مكسورة الهمزة لا تخفف ويضم اسمها ، لأن الحذف لا يتناسب مع ما سبق للتأكيد كما يقول ابن هشام (٤) .

وقيل فيها كذلك أن هذا الاستعمال جار على لغة بلحارث بن كعب السبي تستعمل المثني بالألف في كل حالاته (٥) .

ولسنا في حاجة إلى أن نطيل أكثر من ذلك فقد تقدم الحديث عن هذه الآية الكريمة في مجاله .

٢ - ومن أمثله القراءه التي دارت حول توجيهها آراء عديدة قراءة قوله

(١) سورة طه آية ٦٣

(٢) المنفي ج ١ ص ٣٨

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) نفس المرجع

تعالى : ( مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ، وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ) (١) .

استعرض ابن هشام لهذه الآية الكريمة قراءتين ، إحداهما قراءة السبعة برفع الفعل المضارع « يأمركم » ، والثانية بنصبه (٢) .

ومضى ابن هشام في استعراض ما قيل في توجيه القراءتين ..

فأما قراءة الرفع فهي على الاستثناف وقطع الفعل عما قبله والفاعل ضمير مستتر يعود لله أو للرسول ولا نافية ، وأما قراءة النصب فتوجهها كما يلي : يعتبر النصب هنا على عطف الفعل على يؤتیه ولا زائدة ومؤكدة . وقيل أنه معطوف على الفعل يقول (٣) .

ويدلي الزمخشري برأيه في ذلك فيؤيد عطف الفعل المضارع يأمركم على يقول ولا : تحتمل الزيادة وغيرها (٤) .

٣ - قال تعالى : ( هُوَ الَّذِي بَنَىٰ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) (٥) قرىء لفظ (أطهر) من الآية الكريمة بالنصب (٦) وهذا مظهر غريب هنا إذ يفرض في هذا اللفظ أن يكون مرفوعاً كما يلي بذلك موقعه من الاعراب وبهذا وردت القراءة المشهورة فيه ، ولكن أهل المدينة يقرؤونه منصوباً (٧) ولغرابة ذلك

(١) سورة آل عمران آية ٧٩ ، ٨٠ ،

(٢) المغني ج ١ ص ٢٥٢

(٣) المغني ج ١ ص ٢٥٢

(٤) المغني ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

(٥) سورة هود آية ٧٨

(٦) المحتسب لابن جني ج ١ ص ٣٢٥

(٧) المقتضب للبرد ج ٤ ص ١٠٥

وجدنا المبرد يخطئها بقوله : ( فهو لحن فاحش وإنما هي قراءة ابن مروان ولم يكن له علم في العربية ) (١) .

وإجمالاً فإن قراءات كثيرة كانت مدعاة لاختلاف النحاة وذهابهم في توجيهها كل مذهب، وكفى بذلك دليلاً على أن القراءة قد شغلت النحاة استدلالاً بها أو رداً عليها ودفاعاً عنها أو توجيهاً لظاهرها فكان لهم بذلك جدل ونقاش وحوار كوثن ثروة كانت على مدى الأيام محصلة هذا الجهد الرائع الذي بذله هؤلاء الأفاضل في سبيل القرآن ولغة العرب .



---

(١) نفس المرجع السابق .

## الفصل الرابع

# النحو والقراءات الشاذة

لقد ظهر في مجال القراءات نوعان مختلفان من القراءة أحدهما القراءة الصحيحة وثانيها القراءة الشاذة وقد وضع العلماء لكل من هذين النوعين شروطاً وضوابط وتعريفات ويبدو أنهم اعتبروا القراءة الشاذة هي ما عدا القراءات السبع أو العشر مما لم يتواتر أو ينقل عن الصحابة الأجلاء<sup>(١)</sup> ولكن من اعتمد على الضوابط لم يرض بالتعريف السابق كابن الجزري اعتقاداً منه أنه لا يجوز حصر الصحة في نطاق السبعة أو العشرة وإخراج غيرها منها ، فقد تتوفر الشروط في قراءة يقال عنها أنها شاذة بينما لا تتوفر كلها في ما عداها فالضابط هو الميزان الذي ينتظم كل قراءة صحيحة سواء أكانت من العشر أو من غيرها .<sup>(٢)</sup>

وإذا كانت القراءات العشر قد اكتسبت الصحة من توافر الضوابط فيها فهذا لا يعني أن هذه الصحة قد اقتصررت عليها وأنه لا يجوز أن يتمداها إلى غيرها .

(١) الاتقان للسيوطي - ١ ص ٧٥

(٢) نفس المرجع .

وأما الضوابط التي وضعها العلماء لذلك فهي ثلاثة : أولها : صحة سندها عن الرسول ﷺ ، وثانيها : موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية . وثالثها : موافقتها للرسم العثماني (١) .

فإذا ما توفرت هذه الشروط الثلاثة في قراءة ما كانت صحيحة لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين (٢) ومقى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة ، سواء أكانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف . (٣)

وقال أبو شامة : ( لا ينبغي أن يفتر بكل قراءة تمزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة إلا إذا دخلت في ذلك الضابط ) (٤) .

ومن هذا يتبين لنا أن مقياس الصحة وعدمها خاضع لتوفر الشروط الثلاثة لا لكونها إحدى القراءات السبع أو العشر أو خارجة عنها ، وفي مثل هذا الضابط من التحقيق العلمي الموضوعي الذي يرتكز على العلم والمنطق والعقل لا على العواطف والأهواء ، ما يجعل المرء يطمئن إلى أي حكم في هذا الصدد . غير أن تعيين القراءة الشاذة من غيرها وتمييزها عنها حسب ما تقدم من الضوابط أمر لا يعنيننا في موضوعنا كثيراً لأن بحثنا ينصب على أثر القراءة الشاذة في النحو العربي .

والنظرة النحوية إلى هذا النوع من القراءات قد شكلت حسب الرأي

(١) البرهان - ١ ص ٣٣١ ، مناهل العرفان - ١ ص ٤٩١

(٢) مناهل العرفان - ١ ص ٤١٦

(٣) الاتقان للسيوطي - ١ ص ٧٥

(٤) نفس المرجع ،

القائل بأن القراءة الشاذة هي غير السبع أو العشر لا حسب الضابط المذكور ،  
فالقراءة الشاذة في النحو وعند النحاة هي القراءات التي خرجت عن نطاق  
القراءات التي يعتقد كل المحققين صحتها وسلامتها ، وهو ما يجدر بنا أن نجعله  
مبحثاً في هذا المجال ، وأما الضابط المذكور فهو بحث يتعلق بمعلم القراءات  
والقرآن بعيداً عن النحو واللغة .

### مكانة القراءة الشاذة بين العلماء والنحاة:

لعل وصف هذا النوع من القراءة بالشاذ يلقي ضوءاً على طبيعة هذه  
القراءات ، وكونها قد فقدت عنصراً هاماً من عناصر صحتها أو سلامتها ،  
وهو عنصر السند الصحيح إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقد ورد في  
تقسيم القراءة إلى ستة أنواع ، النوع الشاذ وفيه يقول السيوطي : الشاذ وهو  
ما لم يصح سنده كقراءة نصب اليوم من قوله تعالى : ملك يوم الدين ، وبناء  
الفعل للمجهول في قراءة (إِيَّاكَ نُمَسِّدُ) <sup>(١)</sup> وفي قراءة رفع لفظ الجلالة <sup>(٢)</sup>  
في قوله تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) <sup>(٣)</sup> .

ونحن إذا ما سلطنا بتعريف القراءة الشاذة وهي الخارجة عن القراءات العشر  
وهي ما فقدت صحة الاسناد كان إزاماً علينا أن ننظر إليها نظرة حذر قبل  
أن نأخذها أو نحكم لها ، وحتى نستطيع أن نتلمس تقويماً لهذا النوع من  
القراءات لا بد لنا من الاطلاع على ما ارتأه العلماء منها ولتفصيل ذلك نقول:  
من العلماء من رأى أن القراءة الشاذة تعتبر أقوى في الصناعة من توجيه

(١) فاتحة الكتاب آية ٥

(٢) البرهان - ١ ص ٣٤١

(٣) سورة فاطر آية ٢٨

القراءة المشهورة<sup>(١)</sup> وتجنيدها في فهم ما تحتمله الآية من تأويلات وتقديرات فمن ذلك مثلاً قراءة قوله تعالى : ( والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيماهما )<sup>(٢)</sup> وذلك بوضع الإيمان بدل اليدين ، وفيه كما لا يخفى تحديد للقدر الذي يقطع من الأيدي .<sup>(٣)</sup>

و كقراءة قوله تعالى كذلك: وله أخ أو أخت من أم: بزيادة لفظ أم الذي أوضح نوع الأخت المقصود في الآية .<sup>(٤)</sup>

ونجد ابن جنبي من دافع عن القراءات الشاذة حيث كشف عن ذلك في مقدمة كتابه المحتسب إذ أورد ما يفيد بأنه لم يقم بتأليف كتابه المذكور الا لإثبات قوة هذه القراءات وفصاحتها ، لا كما يدهي عليها الآخرون<sup>(٥)</sup> ، وستعرض لذلك فيما بعد .

وعلى المقابل كذلك وجدنا كثيراً من العلماء يفضون من شأن هذه القراءة ومكانتها بين غيرها من القراءات وليس أدل على مثل هذا الموقف من القول بعدم قرآنية هذه القراءات وبالتالي عدم جواز التعبد بها في أي مجال من مجالات العبادة بل ذهب في شأن هذه القراءة إلى أبعد من هذا حيث اختلف في إمكانية العمل بها من حيث الأحكام الدينية ، فقد نقل إمام الحرمين في البرهان عن ظاهر مذهب الشافعي أنه لا يجوز العمل بها وتبعمه في ذلك أبو نصر القشيري وجزم به ابن الحاجب في الوقت الذي يرى فيه آخرون صحة العمل بها كاهتمام أبي حنيفة تتابع الأيام التي يصومها الصائم في كفارة اليدين<sup>(٦)</sup> عملاً بقراءة (فصيام

(١) البرهان - ١ ص ٣٤١ ، الاتقان - ١ ص ٨٣

(٢) سورة المائدة آية ٣٨

(٣) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

(٤) نفس المرجع السابق

(٥) مقدمة كتاب المحتسب لابن جنبي ص ٣٢ ، ٣٣

(٦) الاتقان - ١ ص ٨٢ بتصرف

ثلاثة أيام متتابعات) (١) .

هذه مكانة القراءة الشاذة بشكل عام ، فقد رأينا من يحتضنها ويؤلف فيها ويبرز مكانها من القوة في ثناياها كما رأينا من يسقطها من حساب القرآن ويحيلها إلى رتبة الأحاد ومنزلته ، أي أنها صحيحة السند ولكنها فقدت موافقة الرسم والعربية بأي وجه (٢) .

ولقد غالى آخرون في تقويم القراءة الشاذة كما قلنا حيث اعتبروها أكثر قوة وتوجيهاً من غيرها من القراءات المشهورة .

وأما النحاة فلم يكونوا بأحسن حالاً من هؤلاء العلماء فقد رأيناهم كذلك ينفرون من هذه القراءات ولا يستشهدون بها إلا إذا عز لديهم الشاهد وامتنع عليهم الدليل وهم مع هذا قد وقفوا حيالها كما وقف العلماء الآخرون منها ؛ فمنهم أي النحاة من اتخذ مبدأ قبول القراءة أياً كان نوعها كالكوفيين مثلاً ، ومنهم من كان حذراً من الأخذ بالقراءات عموماً مما جعله لا يأخذ منها إلا بقدر وبشرط أن تكون قراءة صحيحة ولا خلاف في صحتها وأما الشاذ منها فلا حظ له عنده وذلك لدى معظم البصريين .

بل من النحاة كذلك كأبي بكر بن مقسم من تطرف في نظرتة إلى القراءات عموماً سواء ما صح منها أو ما شذ حيث أخذ يبني حكمه على صحتها من خلال موافقتها للقواعد النحوية ، فما وافقها منها فهو صحيح وما لم يوافق فهو غير صحيح (٣) وفي ذلك خروج عن الطريق السوي مما كان سبباً في عقد المجالس لكل من يقول به : حيث يقرر منعه وتأنيبه وفي ذلك يقول صاحب الاتقان .

(١) سورة المائدة آية ٨٩

(٢) الاتقان - ١ من ٧٧

(٣) الاتقان - ١ ص ٧٧

فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب العظيم من الكبائر (١) .  
ولسنا نعدم من خلال هذا وذلك علماء نحاة وقفوا أنفسهم في جمع القراءات  
الشاذة وتوجيهها ومن هؤلاء الفارسي ومكي وابن خالوية وأبو البقاء العكبري (٢)  
وعلى رأسهم كذلك ابن جني صاحب كتاب المحتسب الذي أشرنا إليه قبل  
قليل . وحسب مؤلفه في الدفاع عن القراءة الشاذة وتصديه لكل من يهون  
منها أن يقول في مقدمة كتابه بعد أن تحدث عن تقسيم القراءة إلى صحيحة  
وشاذة ( وضرب أسماء أهل زماننا شاذاً أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة )  
وفي هذه العبارة ما لا يخفى من مخالفة ابن جني لما يراه العلماء في القراءة الشاذة  
ثم نراه كذلك يواصل الحديث فيقول : ( ألا أنه مع خروجه عنها « أي خروج  
هذا الضرب وهو الشاذ عن القراءات السبع » نازع بالثقة إلى قرانه ، محفوف  
بالروايات من أمامه وورائه ولعله أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجمع  
عليه ، نعم وربما كان فيه ما تلتطف صنعته وتخطو قوى أسبابه وترسوله  
قدم لإعراجه ) (٣) .

ولا يخفى ما في عبارته من مخالفة لما يراه العلماء في القراءة الشاذة وخاصة  
عندما يقول : ( فسماه أهل زماننا شاذاً ) (٤) ثم لا يخفى كذلك ما في  
كلامه من ثقة بقوة هذه القراءة وفصاحتها .

وإننا لنراه كذلك لا يقف عند هذا الحد في تقرير ثقته بهذا النوع من  
القراءات التي أطلق عليها غيره القراءات الشاذة بل وجدناه يقرر بأنه لم يقل  
هذا القول تشنيعاً على ما صح من القراءة أو تحريضاً للمدول عنها فيقول :

(١) نفس المرجع .

(٢) مباحث في علوم القرآن ص ٢٥٢

(٣) مقدمة كتاب المحتسب لابن جني ص ٣٢ ، ٣٣

(٤) نفس المرجع .

ولسنا نقول ذلك تعريضاً للعدول عما أقرته الثقات منهم لكن غرضنا من أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً : وأنه ضارب في صحة الرواية يجرانه أخذ من سمت العربية مهلة ميدانه لتلا يري راء أن العدول عنه إنما هو غض منا أو تهمة له . ومعاذ الله وكيف يكون هذا والرواية تميمه إلى رسول الله (١) والله يقول : ( وما أتاكم الرسول فخذوه ) (٢) .

وقد سار ابن جني في منهج كتابه مستعرضاً سور القرآن الكريم وكل قراءة وردت في هذه السور وتوجيهها بما يرى ، فهو تارة يؤيد وتارة يضعف وتارة يعلل . فمن سورة البقرة مثلاً يأخذ قراءة سعيد بن جبير لقوله تعالى : ( ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ) (٣) « أي آدم » .

نرى ابن جني يقر هذه القراءة وينقض بها قاعدة تقول بأن لام التعريف تدخل على الأعلام فتفيد تعظيمها فيقول في ذلك : في هذه القراءة دلالة على فساد قول من قال : إن لام التعريف إنما تدخل الأعلام للمدح والتعظيم نحو العباس وما جرى مجراه ، ووجه الدلالة من ذلك : إن قوله : الناس إنما يعني به آدم عليه السلام فصارت صفة غالبية كالنابغة والصعق (٤) .

وبمعنى آخر يريد أن يقول بأن اللام كما تدخل على الأعلام للمدح تدخل عليها كذلك للذم .

ومن سورة النساء يتعرض ابن جني لقراءة ابن يزيد ( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ) (٥) برفع كلمة الأرحام فيؤيد هذه القراءة فيقول

(١) مقدمة كتاب المحتسب لابن جني ص ٣٢ ، ٣٣

(٢) سورة الحشر آية ٧

(٣) سورة البقرة آية ١٩٩

(٤) المحتسب - ١ ص ١١٩

(٥) سورة النساء آية ١

( ينبغي أن يكون رفعه على الابتداء وخبره محذوف أي : والأرحام مما يجب أن تتقوه وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه ) (١) .

كما نجد زيادة على التأييد يتفوه بتزيينها وتحسينها معللاً لذلك فيقول :  
« وحسن رفعه لأنه أوكد في معناه » (٢) .

ومن سورة الأنعام يضعف ابن جنبي قراءة ابن يعمر ( تماماً على الذي أحسن ) (٣) برفع أحسن فيقول : هذا مستضعف الاعراب عندنا المحذوفك المبتدأ العائد على الذي لأن تقدير تماماً على الذي هو أحسن وحذف هو من هنا ضعيف : وذلك أنه إنما يحذف من صلة الذي : الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها (٤) .

ويضعف كذلك قراءة السلمي لقوله تعالى : ( ألم تر أن الله ) (٥) بتسكين الفعل المضارع فيقول : فيها ضعف لأنه إذا حذف الألف للجزم فقد وجب ابقاؤه للحركة قبلها دليلاً عليها . (٦) .

ولم يعد ابن جنبي منفذاً يدافع من خلاله عن هذه القراءة فيلتمس لها علة تشبيه الفتحة بالكسرة المحذوفة طلباً للخفة كما في قول الشاعر :

( قالت سليمان اشتر لنا دقيقاً ) حيث سكنت الراء المكسورة تخفيفاً .

وقد شبت بها فتحة الراء في الآية حيث سكنت مثلها طلباً للتخفيف (٧)  
ونرى ابن جنبي في قراءة أخرى يتصدى للقراء فيخطئهم في تسفيهم وتخطئتهم

(١) المحتسب - ١ ص ١٧٩

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) سورة الانعام آية ١٥٤

(٤) المحتسب - ١ ص ٢٣٤

(٥) سورة ابراهيم آية ١٩

(٦) المحتسب - ١ ص ٣٦٠ ، ٣٦١

(٧) المحتسب - ١ ص ٣٦٠ ، ٣٦١

لقراءة معينة فنجده مثلاً ينمى على ابن مجاهد والأعرج تخطئتها المطلقة لقراءة السلمي : ( أفحكم الجاهلية يبغون )<sup>(١)</sup> برفع كلمة حكم وإبدال التاء في تبغون ياء فيقول : قول ابن مجاهد أنه خطأ فيه سرف<sup>(٢)</sup> .

غير أنه يتزن في حكمه ويستدرك على نفسه فيقول : ولكنه وجه غيره أقوى منه<sup>(٣)</sup> وهذا يعني أن وجه الرفع ليس خطأ بل هو جائز عملاً بقول الشاعر :

قد أصبحت أم الخيار تدعي عليّ ذنباً كله لم أصنع  
وهكذا نرى ابن جنّي في محتسبه ذلك العالم الفذ المنفتح المتزن الذي يحكم على الأمور بدافع العلم والعقل لادفاع العصبية والماطفة ، فما يرتئيه قوياً فهو قوي وما يرتئيه ضعيفاً مبتدلاً فهو كذلك ، وكل هذا بروح علمية موضوعية سليمة مما جعل كتابه المحتسب يعتبر كنزاً عظيماً ومرجعاً نفيساً تحتويه المكتبة العربية في مجال اللغة والنحو .

وبالإضافة كذلك إلى موقف ابن جنّي وغيره ممن جمعوا هذا النوع من القراءات نجد المراجع النحوية والمؤلفات اللغوية قد انتثر فيها هذا النوع من القراءة بشكل محدود حيث بنيت عليه بعض القواعد النحوية ابتداء كما أيدت بها قواعد أخرى .

فمن الأول مثلاً : قاعدة تقديم الحال على عاملها إذا كان ظرفاً أو جاراً ، ومجروراً : فهذه قاعدة غير مقبولة وأجازها من النحاة الفراء والأخفش ،

(١) سورة المائدة آية ٥٠

(٢) المحتسب ص ١٠ ، ٢١٠ ، ٢١١

(٣) نفس المرجع السابق ص ٢١١

وتبعها الناظم (١) وقد تقدم ذكر لها في غير هذا الموضع .

وقد بنوا هذه القاعدة على قراءة شاذة وهي قوله تعالى : ( والسَّمَوَاتُ  
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ) (٢) بتقديم مطويات على عاملها الجار والمجرور ، وكذلك  
بقوله تعالى : مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ، بنصب خالصة وتقديمها  
على كلمة لذكورنا (٣) .

ومما أيد به قاعدة ما قراءة : ( لَمْ يَكُ الذِّينُ كَفَرًا وَ ) (٤) وقراءة  
( وَاَتَّحَيْنَ مَنَاصِبِ ) (٥) وذلك بجذف النون من يكن في الآية الأولى ورفع  
حين على أنه اسم لات : وقد أيد بالقراءة الأولى قاعدة جواز حذف النون  
من مضارع كان إذا التقى بساكن بعده (٦) كما أيد بالقراءة الثانية قاعدة حذف  
خبر لات وإبقاء اسمها وهو عكس المشهور فيها (٧) .

هذه القواعد يضاف إليها ما بني من القواعد التي تعرض لها أمثال ابن  
جنى تلقي لنا ضوءاً على أن القراءة الشاذة لم تكن في عزلة عن النحو ومقاصد  
النحاة ، بل كان لها دوراً يتناسب والقدر الذي ينسب إليها من التقدير والاعتبار .  
ولكن بعد هذا كله أين يقع موقف النحاة المتطرفين حيال القراءة الشاذة من  
التقدير والتصويب أو من الدحض والاعتراض ؟ وكذلك أين يجب أن تكون  
القراءة الشاذة من بين شواهد النحو وأدلتها ومصادره ، كل هذه التساؤلات

(١) الأشموني - ٢ ص ١٨١

(٢) سورة الزمر آية ٦٧

(٣) الأشموني - ٢ ص ١٨١

(٤) سورة البينة آية ١

(٥) سورة ص آية ٣

(٦) الأشموني - ١ ص ٢٤٥

(٧) الكتاب لسبويه - ١ ص ٥٨ الأشموني - ١ ص ٢٥٧

يجب أن نجيب عليها متطوعين إليها من خلال ما قد قدمناه من المواقف المختلفة للنحاة والعلماء .

فإذا نحن رأينا النحاة قد تحزوا منها أو ابتعدوا عن الاستدلال بها أو رأيناهم يأخذون بها وبينون عليها فهم في ذلك تنازعهم نزعتان : نزعة متساهة منطلقة كعلماء الكوفة ونحاتها ، ونزعة متشددة حذرة كعلماء البصرة ونحاتها فأما الأول فهم من عرف عنهم ذلك وأما الآخرون فلم تكن نزعتهم تلك حيال القراءات الشاذة فقط بل كانت كما تقدم حيال ماصح منها كذلك .

وعلى هذا ليس لنا ما نقوله في هذا الصدد سوى طرح هذا السؤال هـ-و ما القيمة التي يجب أن تمنحها القراءة الشاذة في مجال القاعدة النحوية ؟ والجواب على هذا مايلي :

إذا كان بعض النحاة قد حاول أن يسمو بالقراءة الشاذة لأي سبب كان إلى مصاف القراءات الصحيحة ، فهذا لا يكفي لمنح هذه القراءات قوة الاستدلال أو صلاحية الاستشهاد .

فقراءة يمتبرها العلماء ليست من القرآن كما لا يجوز التعمد بها<sup>(١)</sup> أو العمل بوجوبها فهي جديرة بعدم منح النحاة لها القداسة والسلامة اللتين أعطيتا للقرآن الكريم وبالتالي لا يمكن أن ينظر إلى القراءة الشاذة تلك النظرة التي ينظر بها إلى الصحيحة وخاصة إذا اعتمدنا التعريف الأول للقراءة وكونها غير القراءات السبع أو العشر . لأننا إذا اعتمدنا الضابط في تقويم القراءة استوت في ذلك جميع القراءات وبالتالي قيمتها النحوية مستمدة من مقدار ومدى توفر هذا الضابط فيها ، لا لكونها إحدى القراءات السبع أو العشر ويكون التحرز منها آنذاك لا مبرر له إلا إذا أكد شذوذها .

---

(١) الاتقان ١ ص ٨١

وبناء على هذا كله وتكون القراءة التي شذت عن الصحيح لأي سبب من الأسباب ليست قرآناً يتعبد به وبالتالي ليس فيها من السند أو التواتر ما يقطع بصحتها ، اعتقد أنها بمثل هذه المواصفات تنزل عن مرتبة الشاهد إلى مرتبة المثال وتتساوى في قوة الاستدلال بها مع البيت الشعري المنسوب إلى قائل معين، وتظل هذه القراءة أقوى وأجدر بالاستدلال والاستشهاد من شاهد شعري أو نثري لم يعرف قائله .

\* \* \*

## الخاتمة

وختاماً وبعد ما ذكرناه من خلال ما قدمنا وعرضناه من آثار جمة للقرآن والقراءات في النحو واللغة نستطيع أن نقول : إن هذا الأثر الذي خلفه كتاب الله العظيم في هذا العلم لا يحدر أن يمر هكذا دون أن تكون له نتائج أبعاد من كونه فقط مصدراً قيماً للاستشهاد والاستدلال .

فهذا أمر قد توفر للقرآن على مر الأيام والدهور ولكن يجب أن يتعدى أمر الاستشهاد إلى دور أكثر تركيزاً وملاءمة لقدسيته وصحته وسلامته ولست أتصور أن يقتصر أثر أصح مصادر النحو وأقواها وأسلمها على مجرد كونه مصدراً من مصادر النحو ويقف به الأمر عند هذا .

بل لا بد من أن يعتمد عليه في بناء نحو جديد خال من كل الشوائب التي تنتشر في قواعده وجزئياته .

وأنه لجدير بذلك كل الجدارة فنحن لو قارنا بينه وبين أي مصدر من مصادر النحو التي أشرنا إليها في بداية هذا البحث لأدركنا بأن القرآن لما فيه من قدسية ترتفع إلى أسنى درجات الفصاحة والبلاغة والسلامة يعتبر أصح هذه المصادر على الإطلاق ، ويكفي بنا لو أردنا استيقاناً من هذا القول أن نعيد النظر إلى مراحل التوثيق التي مرت به في كتابته أو جمعه على مر العصور والسنين ، فهو كفيلاً بأن يجعلنا نتعرف على السر في اعتماد القرآن واعتباره أول المصادر وأقواها .

ومن هذا المنطلق الذي قدمناه نرى أن من واجبنا الديني والقومي أن

نعمد الى لغتنا ونخلصها من أخلاطها وشوائبها ومن فروعها وشعبها ، فلا يجدر بلغة القرآن أن تكون مطاطة تصلح لكل وجه وتستوعب كل غلط أو خطأ لدرجة أن تضيع في متاهاتها الحدود وتحتفي في وجوها معايير الصحة أو عدمها ، لدرجة يصبح معها الخطأ في أي منحى من مناحي التعبير أمراً يدعو الى العجب والاستغراب كما عبر بعضهم عن ذلك بقوله : عجبت لنحوي يخطيء .

وفي اعتقادي أن هذا التشعب والشمول الذي نلمسه في نحونا حيث نجد لأي تعبير من التعبيرات مخلصاً نخرجه عليه ونخلصه به كما نرى القاعدة ذات وجوه وشذوذات وتأويلات : في اعتقادي أن هذا التشعب ليس فيه من الاتساع الحمود الذي ينسب البعض إلى اللغة العربية حيث يقولون : إن تعدد الوجوه اللغوية في القاعدة الواحدة مظهر حي من مظاهر سعة اللغة وشمولها وهو ما يحمد للعربية من بين اللغات .

بل هو في نظري ضرب من الاضطراب ونوع من الاختلال لا يصح أن ينسب إلى لغتنا أو يعتبر محمداً من محامدها لأن أقل ما يعيب مثل هذا الأمر أنه لا يجعل للخطأ مجالاً يرده أو يمنعه وبالتالي يشتهه الغلط بالصواب ولا يعود للقاعدة أو الضابط أي أثر في تقويم التعبير أو تصويبه ، ولربما كذلك يفسح مثل هذا الأمر مجالاً واسماً في تأويل آيات القرآن الكريم والتصرف فيها بما قد لا تحمد عقباه .

إذن ليس تعدد الوجوه في القواعد النحوية أو التعبيرات اللغوية أو انتشار القواعد الكثيفة والآراء المتنوعة : ليس هذا في اعتقادي إلا ترفقاً علمياً اقتضته في وقت من الأوقات فترة زمنية معينة قضت أحوالها وملايساتها على العلماء والنحاة أن يلجأوا إلى الجدل والمناقشة والتأويل والتصويب والتخطئة والتفريع .

إذ لم يكن لهم في تلك الأوقات إلا أن يلاؤا بحالهم بمثل هذه الأمور  
والمنظرات واستعراض مقدراتهم العقلية وطاقاتهم العلمية والاستنتاجية مما  
ترتب عليه ذلك الحشو الذي نلسمه في مراجع اللغة عموماً ومراجع النحو على  
الخصوص .

فلكل مذهب اتجاهه ولكل مدرسة طريقته ولكل بصري رأيه ولكل  
كوفي نظريته ولكل أندلسي تخريجه ، كما أن لكل بغدادي تأويله وتقعيده .  
وإذا أردنا أن نخرج برأي من خلال ذلك كله أو نحكم ذلك كله في أمر  
ما أو تعبير معين طلعت علينا هذه الاختلافات وتلك الآراء بما يفرض علينا  
أن نصوب كل ما يقال وأن نحذر من تخطئة ما يبدو من خلال قاعدة ما أنه غير  
صحيح قبل أن نقروى ونبحث ونستقصي فإذا كان الجمهور مثلاً يرون أن فعلاء  
صفة مؤنث أفضل مثل حمراء لا يجمع على فعلاوات أي لا يقال حمراوات ، إذا  
وجدنا الجمهور يقول هذا وجدنا نحاة آخرين يرون صحة هذا الجمع فنحن حيال  
ذلك لا نستطيع أن نخطيء من يقول حمراوات طالما أن منفذاً قد ينفذ منه  
مثل هذا الجمع إلى الصواب .

وإذا أردنا كذلك أن نخطيء من يقول : جاءت الزبيدون كما يقول  
البصريون طلع علينا الكوفيون بصحة ذلك على تقدير جاءت جماعة الزبيدين  
وإذا أردنا أن نخطيء من يقول : رأيت الرجلان على اعتبار أن المثني ينصب  
ويجر بالياء وجدنا من يصوب لنا ذلك على لغة من يستعمل المثني بالألف في  
كل حالاته .

إذن أين الصواب وأين الخطأ ؟ فإذا كان كل ما يقال أو معظم ما يقال  
تغلب فيه نسبة الصواب نسبة الخطأ : فلماذا إذن توضع القواعد والموازن ؟  
ولماذا كذلك نحشو أذهاننا بها لتردها في مجالاتها ونستعرض بها جدارتنا  
الاستيعابية لندعي بها بعد ذلك علماً مقوماً وضابطاً .

ولقد تغيرت الحياة كثيراً وتطورت وسائل العيش ومظاهره ، ولما كانت اللغة مظهراً حياً من مظاهر الحضارات والمدنيات كان لابد لها هي الأخرى من أن تتطور وتلائم ومجتمع الناس وطرائق عيشهم ووسائله ، فذلك الحشو الزائد والآراء المتضاربة التي فرضتها ظروف معينة وعصور معينة على علماء تلك الظروف والمصور ، لم تعد الآن ملائمة لما جد من ظروف وأحوال .

فالعقيدة الحديثة ليست بقادرة على استيعاب ذلك الجسد والنقاش اللذين كانا يشيعانها النحاة حتى تخضت عنها تلك الآراء المتعددة التي تفتح باب الصواب على مصراعيه لكل تعبير أو قول دون أن يكون للتخبط أي مجال أو وجه .  
واللغة من ناحية أخرى : عليها أن تحتضن مظاهر الحياة الحديثة بكل أبعادها وامتداداتها بتركيز وسلامة بعيدين عن التمثيط والتمميع والتشعب وأمكانية صرف التعبير أياً كان إلى احتمالات ووجوه قد تخرج عن قصد المتكلم أو مراده بما لا تحتمله الحياة العملية والعلمية الحديثة .

فعلی هذا اذن كيف نستطيع أن نجتاز بلغتنا ذلك البحر الذي تتلاطم أمواجه بحيث لا نستطيع ناشتنا أن نقف على شواطئه كـيما تنال شيئاً من أمواهه ؟ نعم كيف نستطيع أن نخلص لغتنا مما يشيع عنها من تعقيد هي في الحقيقة بريئة منه لو أننا أردنا لها صلاحاً وتقدماً .

كل هذا يمكننا من خلال الميزان العظيم الذي دونت اللغة من أجله كما وضع النحو نفسه بسببه ألا وهو القرآن الكريم . الذي يجدر بنا أن نتخذ منه مقياساً نطلق من خلاله إلى وضع نحو يتميز بالبساطة والاختصار وسهولة التناول والاستيعاب ، وإذا ما كان القرآن السبب المباشر في وضع علم النحو من أساسه فيمكن أن يكون بالتالي سبباً في تنقيح العلم الذي وضع من أجله وبسببه وتخليصه مما علق به من تفرع وتشعب ، لا قيمة لها في عصرنا الحاضر حيث يهنا ويعنينا كثيراً أن تتسهم فيه لغتنا مكانها اللائق بين اللغات الحية التي

ثتواءم وتطور الحياة وتتناسب وما جدء فيها من مدنية تفرض على أي لغة في العالم أن تكون طيمة حياها مطواعة نحوها تستوعب بكل قدرة مظاهرها وجوانبها .

وعلى هذا يمكننا إذا ما أردنا لنحونا الصلاح والتيسير أن نفر فيه كل ما اعتمد منه على شاهد قرآني، بحيث لا يجعل منفذاً أو مجالاً لأي ناقد أو معارض أو مجادل وأما ما لم يوجد له شاهد من القرآن الكريم فيمكننا التصرف فيه كقاعدة تكرار الالغير التوكيد سواء أكان الاستثناء مفرغاً أم غير مفرغ ، وكذلك قاعدة الاتيان بفعول الفعل المهمل ظاهراً إذا لزم من اضماره عدم مطابقته لمقصده لأنه خبر عما لا يطابق المفسر كل هذه القواعد وأمثالها تؤكد المعقول بلا فائدة أو ثمرة إذ لا قيمة لها في التعبير أو التركيب وما هي إلا ترف علمي وعقلي يمكننا أن نلغيه أو نخفقه بما يبعده عن تعدد الوجوه والآراء والاكفاء بطريقة واحدة لا تسلم المرء إلى متهات يخرج منها خاوي الوفاض . كما أن اباحة الآراء المتعددة قد تجعل العبارة تحتل معاني كثيرة لا تتطلبها الحياة العملية الحديثة .

وبمعنى آخر : يمكننا أن نأتي على كل قاعدة لم تسند بدليل قرآني ونتصرف على سندها الذي تستند إليه فان كان قولاً عربياً موثقاً به نثبتها بعد أن نبعده عنها كل ما يشعها أو يعدد الرأي فيها ونأخذ بأقوى ما قيل فيها من آراء فقاعدة اسناد الفعل إلى ضمير الفاعل المنى أو المجموع مثلاً قد أيدت بأدلة عربية قوية لا مجال للشك فيها فمثل هذه تثبت دون النظر إلى ما خالفها على الاطلاق وكذلك عود الضمير من الفاعل إلى ما تأخر في اللفظ والترتيب ، فهذه قاعدة قد أيدت كذلك بأدلة لا يختلف في صحتها اثنان وعليه لا قيمة لكل خلاف ورد حولها لأنه في نظري يعتبر ضرباً من الجدل الذي لا فائدة منه أبداً .

وأما القواعد الأخرى التي اعتمدت على القياس أو على الآراء الشخصية

أو على أقوال غير معتمدة فأرى امكانية التصرف فيها بما تقتضيه ظروف الأمر وتطور الكتابة بما تفرضه مظاهر الحضارة والمدنية والاجتماعية واللغوية .

بكل هذا نثبت من اللغة ما يتناسب وإياها ونلغي منها ما يختلف معها ويحتمل التطوير والتغيير : وأما القاعدة التي لها من القرآن حظ الاستشهاد والاستدلال فليس لنا ولا يجدر بنا أن يكون لنا فيها مجال للتغيير أو التطوير فبالقرآن نثبت القاعدة وبالقرآن كذلك نستطيع أن نلغي مفهوماً خاطئاً سائداً في الأمة بما يجعلنا نقدم على أي تغيير أو تطوير ونحن على ثقة تامة بحسن ما نصنع وجودته خدمة للغة القرآن والدين والشريعة .

فباعتماد القرآن اذن مصدراً لنحونا ولقننا نستطيع أن نحصل على النتائج الآتية :

١ - تخليص النحو من الشوائب التي طرأت عليه لشيوع الجـدـل وحب المناظرة واستعراض الطاقات الفكرية والتفاخر بها .

٢ - تخليص اللغة من التأرجح الذي نلمسه فيها من تعداد الآراء بما لا يوفر للتعبير ميزاناً سليماً للصحة أو عدمها .

٣ - إزالة التهمة التي علقت باللغة العربية وهي رميها بالجمود والصعوبة اللذين لا يوفران للمرء أياً كان سهولة تناولها أو تعلمها .

٤ - اقبال المتعلمين على اللغة ونحوها برغبة وشغف يبعدها عن النفور والتعقيد .

٥ - تركيز القواعد وتثبيتها في ذهن المتعلم بما يضمن له بالتالي سلامة قوله أو تعبيره أو كتابته .

٦ - اقبال الأجانب على مختلف أجناسهم ولغاتهم على تعلم اللغة دون أن تكون قواعدها خضماً لا يستطيعون الفوص فيه مهما بلغوا أو بذلوا من الجهد والحرص والاجتهاد .

٧ - تبسيط اللغة وتيسيرها بما يجعلها تشق مكانها بين اللغات العالمية التي تتسم بالبساطة وسهولة التعبير .

وإني في خاتمة هذا كله . . أرجو أن أكون قد وفقت في تبيان ما للقرآن العظيم من أثر في هذا العلم الشريف ، فان كنت قد قصرت فشفيمي في هذا التقصير أن الكلام في كتاب الله لا يمكن أن يحيط به عالم أو كاتب أو أديب، فهو أكبر من أن يجد بادراك هؤلاء أو استيعابهم وحصرهم .

فقد كان القرآن ولا يزال وسيظل كذلك معجزة الله في الأرض ، لا يستطيع البشر مها حاولوا أن يلموا بها أو يحدوها أو يدركوها فهي معجزة تتفتق باستمرار وعلى مدى الأيام عن معجزات تحار فيها العقول والألباب .

وما ألهمني الله به مما قلته ما هو في نظري إلا قليل من كثير ، فالطريق طويل ولكن الزاد قليل فحمد الله على توفيقه وشكر آله على عطائه والله من وراء القصد وهو بكل شيء عليم .



## مراجع البحث

### القرآن الكريم :

- الاتجاهات الحديثة في النحو للاستاذ محمد أحمد برانق
  - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ط الحلبي الطبعة الثالثة ١٩٥١
  - أحسن الحديث للدكتور رمضان البوطي
  - أخبار النحويين البصريين للسيرا في المطبعة الكاثوليكية بيروت
  - الأخطاء اللغوية للاستاذ محمد علي النجار
  - أدبيات اللغة العربية لمجموعة أساتذة
  - أسرار العربية لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري
  - تحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار ط الترتي بدمشق ١٩٥٧ م .
  - الأشموني ط الحلبي
  - أصول الفقه الاسلامي لزكي الدين شعبان
  - الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري ط الكويت .
  - أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والاسلام لعلي الجندي
  - اعراب القرآن للزجاج تحقيق ابراهيم الابياري ط المؤسسة المصرية العامة .
  - الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ط دار الفكر بيروت و ط دار الكتب القاهرة
  - الاقتراح للسيوطي
  - أنباء الرواة للقطبي ط دار الكتب المصرية .
  - الانصاف في مسائل الخلاف لكهال الدين أبي البركات الأنباري ط
- حجازي بالقاهرة

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام تحقيق محي الدين عبد الحميد ط النصر - القاهرة
- الايضاح لأبي القاسم الزجاجي تحقيق مازن المبارك نشر مكتبة دار العروبة - القاهرة .
- البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ط الحلبي الأولى ١٢٧٦ - ١٩٥٧ م
- بغية الوعاة للسيوطي الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ - القاهرة
- البيان والتبيين للجاحظ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
- تاريخ ابن خلدون ( العبر وديوان المبتدأ والخبر ) ط لبنان
- تاريخ آداب العرب للرافعي الطبعة الثالثة ط الاستقامة القاهرة ١٩٥٣
- تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان دار الهلال ١٩٥٧
- تاريخ القرآن وغرائب رسمه محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الطبعة الثانية ط الحلبي ١٩٥٣
- تحقيق الاستاذ عبد الخالق عضية على كتاب المقتضب للمبرد
- تحقيق الاستاذ محي الدين عبد الحميد على شرح ابن عقيل
- التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني ط بيروت مكتب لبنان
- تعليق ابن المنير على الكشاف للزخشي ط الحلبي الأخير ١٩٦٦
- تفسير أبو السعود ط المصرية الطبعة الأولى ١٩٢٨ م ١٣٤٧ هـ
- تفسير البيضاوي لأبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي المطبعة العثمانية المصرية .
- تفسير الفخر الرازي
- تفسير القاسمي لمحمد جمال الدين القاسمي ط الحلبي
- تفسير النسفي لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ط بيروت دار الكتاب العربي

- هذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ط روضة الشام
- حاشية الصبان على شرح الأشموني ط الحلبي
- حقائق وعبر لاسكندر الخوري
- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي تعليق عبد السلام محمد هارون ط دار الكتاب
- الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار ط بيروت
- رسم المصحف والاحتجاج به للدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي .
- سر صناعة الاعراب لابن جني ط الحلبي ٥٤
- شذور الذهب تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط السعادة الطبعة السابعة
- شرح ابن عقيل تحقيق محيي الدين عبد الحميد الطبعة السادسة ط السعادة بصر .
- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهرى ط الحلبي
- شرح المفصل لابن يعين ط المنيرية بصر
- شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
- صحيح البخاري ط علي صبيح وأولاده
- ضحى الاسلام للدكتور أحمد أمين ط لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الخامسة .
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ط الخانجي القاهرة ١٩٥٤
- العربية ليوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار
- العقد الفريد لابن عبد ربه ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
- عيون الأخبار لابن قتيبة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري ط مصطفى الباي الحلبي
- فتح القدير للشوكاني الطبعة الاولى ط الحلبي ١٣٤٩ هـ

- ألفرقان محمد محمد عبد اللطيف الخطيب ط دار الكتب المصرية ١٩٤٨
- الفوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبد السلام ط الكويت ١٣٨٧ هـ
- ١٩٦٧ م
- القاموس المحيط للفيروز آبادي ط الحلبي الثانية - ١٩٥٢ م - ١٣٧١ هـ
- القراءات واللهجات عبد الوهاب حمودة
- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم
- القواعد النحوية مادتها وطريقها للأستاذ عبد الحميد حسن مطبعة العلوم بالقاهرة .
- الكتاب لسبيويه تحقيق عبد السلام محمد هارون دار القلم
- الكشاف للزنجشري ط الحلبي ١٩٤٨ م والطبعة الأخيرة ١٩٦٦
- لسان العرب لابن منظور الدار المصرية للتأليف والترجمة
- اللغة والنحو للدكتور فؤاد حنا ترزي
- مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح الطبعة الرابعة دار العلم للملايين بيروت
- مجاز القرآن لأبي عبيدة ط مكتبة الخانجي
- مجالس العلماء للزجاجي ط الكويت ١٩٦٢
- المحتسب لابن جنبي لجنة أحياء التراث الاسلامي - القاهرة
- مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري تحقيق الألباني ط الكويت
- المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف
- مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزومي الطبعة الثانية مطبعة الحلبي بمصر
- الزهر في علوم اللغة للسيوطي ط الحلبي الرابعة ١٩٥٨ م
- المستدرک للحاكم ط النصر الحديثة في الرياض
- المسند للإمام أحمد ط دار المعارف الثالثة
- معجم الأدباء لياقوت الحموي ط دار المأمون - القاهرة
- مع القرآن للأستاذ حسن الباقوري

- مفتي اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام تحقيق محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني القاهرة
- مفتاح الاعراب للأستاذ محمد مرجان
- المفصل للزخشمري ضمن كتاب شرح المفصل لابن يعيش ط المنيرية بمصر
- المقتضب للمبرد تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة لجنة أحياء التراث الاسلامي
- مقدمة ابن خلدون ط الحلبي
- مقدمة الدكتور ضيف على كتاب الايضاح للزجاجي
- مقدمة كتاب المحقّب لابن جني
- مقدمة كتاب المغني لابن هشام
- مقدمة كتاب الانصاف لابن الأنباري
- مناهل القرآن للزرقاني ط الحلبي الثالثة
- من تاريخ القرآن لمحمد بن طاهر الكردي
- من تاريخ النحو للأفغاني ط دار الفكر - بيروت
- المصنف لابن جني ط الحلبي الأولى ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م
- من مقدمة ابن خلدون اختيار رضوان ابراهيم ط وزارة الثقافة والارشاد القومي
- المواهب الفتحية للدماميني
- النحو العربي الدكتور مازن المبارك
- نزهة الألباء لعبد الرحمن بن محمد الأنباري ط دار نهضة مصر
- نشأة النحو للشيخ محمد الطنطاوي
- همع الموامع للسيوطي ط السعادة
- وفيات الأعيان لابن خلكان ط السعادة الأولى ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

\* \* \*



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
١١	التمهيد
١١	العرب قبل الاسلام
١٣	لغة العرب وخصائصها
١٦	السليقة الاعرابية
١٧	ظهور الاسلام
١٨	الفتوحات الإسلامية
١٩	اختلاط العرب بالمعجم وأثر ذلك
٢٠	انحراف الألسنة
٢١	ظهور اللحن في قراءة القرآن الكريم
٢٢	الحاجة إلى ضوابط الاستعانة بها في قراءة القرآن
٢٣	نشأة النحو وعلاقة القرآن بها
٢٤	من وضع النحو حقيقة
٢٦	عوامل وضع النحو
٣٠	مصادر هذا النحو
٣١	القرآن الكريم
٣٢	قيمة هذا المصدر
٣٣	كلام العرب

٣٨	قيمة هذا المصدر
٤٠	الحديث الشريف
٤٢	قيمة هذا المصدر
٤٤	القياس
٤٦	قيمة هذا المصدر
٤٨	هذه المصادر في الميزان
٥٠	مظاهر العناية بالقرآن الكريم

### « الباب الأول »

٦٣	القرآن الكريم أول مصادر النحو
٦٥	التمهيد
	الفصل الأول : المذاهب النحوية ومواقفها من الاستدلال
٧٦	بالقرآن الكريم
٧٧	المذهب البصري
٧٨	منهج البصرة في وضع قواعدها
٨٢	المذهب البصري وموقفه من الاستشهاد بالقرآن الكريم
٨٥	آراء للخليل بن أحمد
٨٧	آراء لسبيويه
٩٠	كتاب سيويه
٩٢	الكتاب والقرآن الكريم
٩٨	آراء للأخفش
١٠٣	المذهب الكوفي
١٠٥	المذهب وموقفه من الاستشهاد بالقرآن
١٠٧	الكسائي والقرآن الكريم

١٠٩	آراء أخرى للكسائي
١١١	آراء للقرءاء
١١٤	المذهب البغدادي
١١٦	آراء لابن جني
١١٨	آراء للفارسي
١٢٠	آراء لابن الأنباري
١٢١	انصاف ابن الأنباري
١٢٤	المذهب الأندلسي
١٢٦	آراء لابن عصفور
١٢٨	آراء لابن مالك
١٣٢	من مصنفات ابن مالك
١٣٦	المذاهب المصري والشامي
١٤٠	آراء للنحاس
١٤١	آراء لابن بابشاذ
١٤٣	ابن هشام والقرآن الكريم
١٤٥	أثر القرآن الكريم في الكتاب
١٢٥	الفصل الثاني : القرآن في المناظرات والمجالس النحوية
١٦٧	الفصل الثالث : القرآن في معضلات النحو وطرائفه
١٧٦	أثر القرآن في الطرافة النحوية
١٨٠	الفصل الرابع : أخطاء العامة ولحونها في ميزان القرآن
	« الباب الثاني »
١٩١	القرآن الكريم والقاعدة النحوية
١٩٣	تمهيد

- ١٩٤ الفصل الأول : القرآن الكريم وأثره في مبنى القاعدة
- ١٩٥ أثر القرآن الكريم في استحداث القاعدة
- قاعدة ورود ظن للشك ان وليتها ان الخففة وليقين ان
- ١٩٦ وليتها ان المثقلة
- ١٩٧ قاعدة تكرار البذل
- ١٩٧ قاعدة حذف المضاف والمضاف إليه
- ١٩٨ قاعدة أعمال اسم الفاعل عمل فعله وهو دال على المعنى
- ٢٠٠ دخول الفاء في جواب ما
- ٢٠٠ قاعدة إبدال الجملة من المفرد
- ٢٠١ قاعدة حذف جملة الشرط مع أدواته
- ٢٠٣ مجيء ما الشرطية دالة على الزمن
- ٢٠٤ قاعدة أعمال ما عمل ليس مجازاة للغة المجازيين
- ٢٠٥ قاعدة حذف اسم لات وابقاء خبرها
- ٢٠٥ قاعدة حذف اسم لات وابقاء خبرها
- ٢٠٥ قاعدة حذف اسم لات وابقاء خبرها
- ٢٠٥ قاعدة زيادة ما بعد من وعن والباء
- ٢٠٩ أثر القرآن الكريم في تثبيت القاعدة وترسيخها
- ٢١٠ قاعدة أم المنقطعة وكونها بمعنى بل والهزة
- ٢١٢ قاعدة مجيء الواو للترقيب
- ٢١٤ قاعدة مجيء كان وأخواتها تامة
- ٢١٦ قاعدة جواز حذف الواو والفاء مع معطوفها إذا علما
- ٢١٩ قاعدة حذف مفعولي أو أحدهما اقتصاراً أو اختصاراً
- ٢٢٠ قاعدة جواز العطف بالرفع على منصوب ان بعد أن تستكمل خبرها
- ٢٢١ قاعدة زيادة الباء في خبر المبتدأ
- ٢٢١ قاعدة جواز بقاء الفاء الداخلة في خبر أن أو أن

- ٢٢٣ أثر القرآن في نقض القاعدة
- ٢٢٤ قاعدة إعادة الخافض مع المعطوف على ضمير مخفوض
- ٢٢٤ قاعدة اللام الداخلة على الخبر مع أن المهملة وكونها لام ابتداء
- ٢٢٥ قاعدة زيادة من إذا توفرت فيها شروط معينة
- ٢٢٧ قاعدة مجيء الفاء العاطفة للترتيب والتعقيب
- ٢٢٨ قاعدة حذف الفاعل ومواضع ذلك
- قاعدة ضرورة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بفاصل توكيد
- ٢٣٠ أو غيره إذا كان المعطوف على ضمير رفع متصل
- ٢٣١ قاعدة اعتبار الميم في كلمة اللهم نائبة عن جملة
- ٢٣٢ قاعدة كون لن للتأنيد
- ٢٣٣ قاعدة عدم وقوع الحال المؤكدة إلا بعد للجملة الإسمية
- ٢٣٣ قاعدة وقوع جملة القسم خبراً
- ٢٣٤ قاعدة عدم مجيء ان النافية إلا وبعدها إلا
- ٢٣٥ أثر القرآن في تفريع القاعدة
- ٢٣٦ تفريع التعريف
- ٢٣٧ تفريع المعاني
- ٢٣٧ تفريع العمل والنوع معاً
- ٢٤٠ تفريع العمل فقط
- ٢٤٣ تفريع أحكام القاعدة
- ٢٤٦ الفصل الثاني : القرآن الكريم وأثره في تعليل القاعدة النحوية
- ٢٥٢ قاعدة العمل في البديل
- ٢٥٣ قاعدة المفعول المطلق وكونه يقع حدثاً وغير حدث
- ٢٥٥ الفصل الثالث : القاعدة النحوية بين أدلتها
- ٢٥٧ قاعدة اعتمدت على أنواع ثلاثة من الأدلة

- ٢٥٧ قاعدة مجيء في بمعنى التعليل
- ٢٥٨ قاعدة جواز حذف الاستفهام
- ٢٥٩ قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن والحديث والكلام غير الموثوق
- ٢٦٠ قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن والحديث
- ٢٦٠ قاعدة وقوع جملة القسم خبراً عن المبتدأ
- ٢٦٠ قاعدة دخول الفاء على خبر المبتدأ
- ٢٦١ قاعدة اعتمدت على دليل من القرآن والكلام الموثوق
- ٢٦١ قاعدة كسر همزة ان عند وقوعها في موضع الحال
- ٢٦٠ قاعدة نصب الفعل المضارع بأن سواء أكانت مضمرة أم مذكورة
- ٢٦٢ قاعدة اعتمدت على دليل قرآني مع دليل من كلام غير موثوق
- ٢٦٢ قاعدة مجيء من الموضوعة للعاقل أصلاً لغير العاقل
- ٢٦٢ قاعده اعمال ما عمل ليس
- ٢٦٣ قاعدة اعتمدت على القرآن والقياس
- ٢٦٤ قاعدة اعتمدت على دليل قرآني فقط
- ٢٦٤ قاعدة جواز حذف الحسب
- ٢٦٤ قاعدة حذف المبتدأ وجواز ذلك
- ٢٦٥ قاعدة اعتمدت على الحديث الشريف والكلام الموثوق فقط
- ٢٦٥ قاعدة تصرف سوى وجرها بمن
- ٢٦٦ قاعدة إعراب منين بالحركات الثلاث
- ٢٦٦ قاعدة استعمال ما حاشا كمدا
- ٢٦٦ قاعدة اعتمدت على الحديث وكلام غير موثوق
- ٢٦٦ قاعدة اتصال نون الوقاية باسم الفاعل
- ٢٦٧ قاعدة ثبوت الخبر بعد لولا
- ٢٦٨ قاعدة اعتمدت على كلام عربي موثوق فقط

٢٦٨	قاعدة وصل الألف واللام بالفعل المضارع على أنها موصولة
٢٦٧	قاعدة مجيء المبتدأ نكرة إذا كانت مبهمة
٢٦٩	قاعدة توسط خبر ليس بينها وبين اسمها
٢٧٩	قاعدة اعتمدت على كلام عربي غير موثوق
٢٨٩	قاعدة اعمال لات في غير لفظ الحين من الألفاظ المرادفة له
٢٦٩	قاعدة مجيء المتصل بعد إلا
٢٧٠	قاعدة عطف الاسم على الفعل

### « الباب الثالث »

#### الآيات القرآنية بين المفسرين واللغويين

٢٧٣	التمهيد
٢٧٥	الفصل الأول : تفسير القرآن الكريم وعلم النحو
٢٧٨	كتب التفسير وعلاقتها بالنحو
٢٨٦	الفصل الثاني : إعراب القرآن
٢٨٧	القرآن الكريم والاعراب
٢٨٧	متى أعراب القرآن
٢٩٠	مظاهر اعراب القرآن
٢٩٢	كتب اعراب القرآن
٢٩٢	اعراب القرآن للزجاج
٢٩٣	نماذج لما تناوله الكتاب
٢٩٦	الفوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبد السلام
٢٩٧	نماذج لما تناوله الكتاب
٣٠٠	الفصل الثالث : الآية القرآنية في مجال الخلاف على اعرابها بين النحويين

## « الباب الرابع »

- ٣٥٠ القراءات والنحو
- ٣٠٧ تمهيد
- ٢٠٩ الفصل الأول : القراءات وحقيقة الحروف السبعة
- ٣٠٩ حقيقة القراءات
- ٣٠٩ القراءات وحديث الحروف السبعة
- ٣١٨ أنواع القراءات
- ٣١٩ الفصل الثاني : علاقة القراءات بالنحو
- ٣٢٠ موقف النحاة من القراءات
- ٣٣٨ القراءات في المراجع النحوية
- ٢٤٥ الفصل الثالث : القراءات وأثرها في بناء القواعد النحوية
- قراءات تولدت عنها قواعد نحوية مختلفة أو شاركت في بناء
- ٣٤٧ هذه القواعد
- ٣٤٧ قاعدة نصب الفعل المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء
- قاعدة حكم الفعل المضارع المقترن بالفاء أو بالواو إذا ولي فعل
- الشرط وجوابه ، وجواز رفعه على الاستئناف أو جزمه على
- ٣٤٨ العطف أو نصبه باضمار أن
- ٣٤٩ قواعد بنيت من القراءة ابتداء
- قاعدة نصب أو رفع الفعل المضارع الواقع بعد أن الخففة من
- ٣٤٩ الثقيلة والمسبوقة بفعل من أفعال الرجحان
- ٣٤٩ قاعدة جواز الوقف على الاسم المنقوص بإثبات الياء
- قاعدة معاملة ثم كالفاء والواو في نصب الفعل المضارع بعد
- ٣٤٩ فعل الشرط

- ٣٥٠ قاعدة اعمال ان المحففة من الثقيمة اعمال الثقيمة
- ٣٥١ قواعد شخصية بنيت على قراءات مختلفة
- ٣٥٢ قاعدة تأنيث الفعل للفاعل المنفصل بالا في النثر
- ٣٥٢ قاعدة العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار
- ٣٥٢ جواز حذف المبتدأ المقترن بإلغاء بعد الشرط
- ٣٥٢ قاعدة مجيء إلى زائدة للتوكيد
- ٣٥٣ قاعدة دخول لام الابتداء على خبر ان المفتوحة
- ٣٥٣ قراءة أيديتها قاعدة نحوية
- قاعدة حذف المضاف إليه مع قبل وبعد دون نبتة لا لفظاً  
ولا تقديراً
- ٣٥٤ قاعدة حكم الاسم المفرد المقترن بأل والمعطوف على منادى
- ٣٥٥ قاعدة صرف الممنوع من الصرف لارادة التناسب
- ٣٥٥ قاعدة رفع الفعل المضارع الدال على الحال بعد حق
- ٣٥٥ قاعدة نصب المشغول عنه إذا لم يتم سبب لوجوب نصبه أو رفعه
- ٣٥٦ قاعدة حذف الصفة وبقاء موصوفها
- ٣٥٦ قاعدة مجيء مع اسماء
- قاعدة الحاق الفعل بعلامتي التثنية والجمع إذا كان فاعله مثنى  
أو مجموعاً
- ٣٥٦ قاعدة مجيء ان بمعنى لعل
- ٣٥٧ قاعدة إنابة غير المفعول به عن الفاعل إذا وجد
- ٣٥٨ قاعدة تقدم الحال على صاحبها المجرور
- ٣٥٩ قاعدة ألف كلا وكلتا وكونها ليست للتنفيذ كما يرى البصريون
- ٣٥٩ قاعدة حذف الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر
- ٣٦٠ قراءة ردت بها قاعدة نحوية

- ٣٦٠ قاعدة بناء حيث على الضم وعدم اعرابها وليس غير ذلك  
قاعدة إضافة الزمن المهم إلى فعل معرب أو جملة اسمية
- ٣٦٠ ووجوب اعرابه لدى البصريين
- ٣٦١ قراءة ترتبت عليها وجوه اعرابية في الآية الواحدة
- ٣٦٤ قراءة تولدت عنها طرائف نحوية
- ٣٦٤ قاعدة اهمال أن الناصبة للمضارع وحملها على ما المصدرية
- ٣٦٥ قاعدة النصب بأن المضمرة في غير المواضع المقررة لذلك
- ٣٦٥ قاعدة جرات للزمان
- قاعدة معاملة لم الجازمة معاملة لن الناصبة ونصبها للفعل  
المضارع بعدها
- ٣٦٥
- ٣٦٦ قاعدة نصب الفعل المضارع بعد الحصر إذا كان مقترناً بالفاء
- ٢٧٠ الفصل الرابع : النحو والقراءات الشاذة
- ٣٧٢ مكانة القراءة الشاذة بين العلماء والنحاة
- ٣٨٢ الخاتمة
- ٣٨٩ مراجع الرسالة ومصادر البحث فيها
- ٣٩٤ الفهرست
- ٣٩٥ الخطأ والصواب

## الخطأ والصواب

صواب	خطأ	سطر	صفحة
للعرب	العرب	٣	١٣
في قراءة القرآن	في القرآن	٥	٢١
عاميتهم	عامتهم	١٩	٢٧
آراءه	آرائه	٩	٤٤
صوغ	صوع	١٠	٤٤
حاز	حار	١٦	٤٨
لَمَنْ	لِمَنْ	١٥	٩٦
إن	أن	٤	١٠٢
إعمالها	أعمالها	١٣	١٠٢
مجيء إلى للتوكيد	مجيء للتوكيد	٩	١١٣
تهوى	تهوي	١١	١١٣
أُتخذتم	اتخذتم	١٢	١٢٣
الزنبورية	الزبنورية	٨	١٧٢
آلهة	آلهة	١٩	١٧٢
ل (ضبيّ)	نصب	١٢	١٨٤
تعدي	تعديه	١٣	١٨٥
سوحوا	سوهوا	١٢	١٨٦
نأصبه	نأصبه	٥	٢١٧
يا	ياء	٨	٢٣١
وضع	وضح	٥	٢٤٥

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥٢	١٤	للقرآن	القرآن
٢٦٦	١١	أحب الناس إلى	أحب الناس إلى
٢٨٠	١٣	أشداء	أشداء
٢٧٣	٣	وحده	وحده
٣٠١	٣	تميز	تميز
٣٠٣	١	إذا	إذا
٣١٥	٢	ننشرها	ننشرها
٣٤١	٣	فإذا	فإذا
٣٤٣	٧	الذين	الذين
٣٤٩	١٢	هادي	هادي
٣٥٠	٤	إن	إن
٣٥٢	١٣	إصلاح	إصلاح
٣٧٣	٥	أم	من أم

### تنويه

تم ضبط الكلمات القرآنية - في الآيات التي كانت موضع الاستشهاد  
على رواية حفص عن عاصم  
وهي القراءة المتداولة في المصاحف